جامعة محمد الخامس-أكدال
كلية الآداب والعلوم الإنسانية
الربـــاط

مركز رسائل النور
استانبول: تركيا

تــنظيــم

كلية الآدب والعلوم الإنسانية بالرباط مع مركز رسائل النور باستانبول

ندوة علمية دولية في موضوع:

# "تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر للهجرة"

## (جهود بديع الزمان النورسي)

البـرنـامـج

يومي ١٧ و١٨ مارس ١٩٩٩

مدرج الشريف الإدريسي

# مقدمة

**تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر للهجرة (جهود بديع الزمان النورسي)**

صحا العالم الإسلامي في هذا القرن على دوي مدافع الغزو الاستعماري الأوربي وجيوشه المجهزة بالأسلحة المتطورة، وضجيج عرباته ودباباته التي اكتسحت كافة البلاد الإسلامية، صحا العالم الإسلامي على هذا ورأى المستعمر وقوته المادية والعسكرية وتقدمه العلمي، ورأى المسلمين يرزحون تحت نير الاحتلال، والسيطرة الأجنبية، وسيادته منتهكة وبلادهم وخيراتهم مغتصبة، وحريتهم مسلوبة.

هكذا كان اللقاء بين الشرق والغرب في تلك المرحلة، غرب قوي متقدم متطور، وشرق ضعيف متخلف جامد خامل، كان لهذا الغزو الجائر تأثير بليغ في نفوس المفكرين والعلماء المخلصين في العالم الإسلامي فهبوا يحاولون إيقاض المسلمين وإخراجهم من التخلف والجمود، وإصلاح أوضاعهم ومناهجهم ومؤسساتهم، وتعالت الأصوات والدعوات من سائر الأنحاء تدعو إلى التمسك بروح الإسلام وتعاليمه وأخلاقه وتجديد العقل المسلم وتخليصه من القيود التي قيدت نشاطه وحيويته، وتعدد الدعوات وتنوعت المناهج والمدارس الفكرية، كل يدعو إلى التجديد من وجهة نظره الخاصة.

وصاحب هذا الغزو العسكري العنيف غزو فكري وحضاري لا يقل عنه عنفا، ولما علم المستعمر أن سر قوة المسلمين يكمن في وحدتهم وعقيدتهم، وجه جهوده لتمزيق تلك الوحدة، وإضعاف تلك العقيدة، ونزل بكل ثقله ووطأته على الخلافة الإسلامية التي كانت رمز وحدة المسلمين، فأشعل نيران الغش حولها، وحاك الدسائس والمكائد ومضى في توجيه الضربات إليها من كل جانب حتى تمكن من إسقاطها.

كانت تركيا في تلك المرحلة تمثل الحصن الحصين للإسلام لذلك كانت هجمة الغزو الفكري والحضاري عليها أشد شراسة وعنفا، ولكن الله العلي العظيم هيأ لها رجالا أحرار صدقوا ما عاهدوا الله عليه، فوقفوا كالجبال الراسية في وجه تيار الفكر الإلحادي الغازي، ووهبوا حياتهم لخدمة دينهم وأمتهم.

كان إمام هؤلاء وأستاذهم وقائدهم بديع الزمان سعيد النورسي الذي هيا القدر الإلهي لحماية شجرة الإيمان بعد أن جفت وانكسرت تحت لفح رياح الغزو الفكري اللافح.

كان رحمه الله مفكرا مصلحا وعالما جليلا ومجاهدا مخلصا عظيما نذر نبعا لخدمة أمته ودينه وللدفاع عن شجرة الإيمان الطيبة، جعل من قلمه نبعا فياضا ومصباحا منيرا لايخبو فكتب رسائل النور التي بددت ظلام الإلحاد وأشاعت النور والأمل في نفوس المسلمين، عالج في تلك الرسائل قضايا العالم الإسلامي في تلك السنين بأسلوب المفكر المطلع، ومنهج المربى الحكيم. لكن التراث العلمي وجهود هذا المفكر الفذ في إظهار حقائق الإيمان بأسلوب علمي جديد، وفي التصدي الفكري وفي تفسير القرآن وإثبات إعجازه ببراهين جديدة باهرة، وجهوده في التربية الإيمانية وفي إصلاح الفكر الاجتماعي، وفي تجديد حقائق العقيدة وترسيخها وفي تربية جيل من الشباب على الأخلاق الإيمانية وعلى المبادئ النبيلة كل ذلك لم ينل ما يستحق من البحث العلمي والجاد والدراسة الفاحصة المفيدة.

والاستفادة من علوم هذا العالم بالجدة وفكره الذي اتسم بالجد نظمت شعبة الدراسات الإسلامية بتعاون مع مركز بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط رسائل النور باستنبول ندوة دولية بعنوان تجديد الفكر الإسلامي في القرن الرابع عشر للهجرة (جهود بديع الزمان النورسي) يومي ٢٩ و٣٠ ذي القعدة ١٤١٩ هـ/١٧ و١٨ مارس ١٩٩٩ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط بالمملكة المغربية.

وهذا الكتاب الذي نقدمه اليوم للقراء، قد أسهم في مادته مجموعة من الأساتذة الباحثين بمختلف الجامعات المغربية والدولية، وقد جاء مشتملا على مدخل وأربعة فصول وخاتمة.

أما الفصل الأول فهو (قراءة في حياة النورسي وعصره) والفصل الثاني: التجديد في عرض حقائق الإيمان وقضايا الفقه وأصوله عند النورسي.

الفصل الثالث: التجديد في علوم القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة عند النورسي.

الفصل الرابع: التجديد في الفكر الحضاري والاجتماعي عند النورسي.

أما الخاتمة في إعداد وأعمال هذه الندوة وإخراجها للطبع الطالبان هشام جرمي وسعيد بإشراف الأستاذ العربي بوسلهام والأستاذ أحمد أبو زيد بكلية الآداب والعوم الإنسانية بالرباط جامعة محمد الخامس -أكدال

**كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط ٢٦ رمضان ١٤٢٠هـ/٤ يناير ٢٠٠٠م**

## الجلسة الافتتاحية

١- كلمة السيد قيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط

٢- كلمة السيد ممثل مركز رسائل النور باستانبول بتركيا

٣- كلمة اللجنة المنظمة.

**بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على أشرف المرسلين**

إن مسألة التجديد الديني تشكل لب الشريعة الإسلامية وكعالها، فبواسطته يتحقق معنى صلاحيتها لكل زمان ومكان وبه يكون الاقتدار على الاجتهاد في النوازل والأحكام والعمل على تطوير أسباب الوجود الاجتماعي والاقتصادي والسياسي للمسلمين. والتجديد في الدين لذلك ليس مطلوبا شرعاً فحسب، بل إن الله تعالى ضامنه والمبشر به على لسان نبيه محمد عليه صلوات الله وسلامة وذلك بموجب الحديث النبوي الصحيح الذي يقضي بأن الله يبعث للأمة الإسلامية على رأس كل مائة سنة من يجدد لها أمر دينها والله تعالى رفع العلماء إلى اعلى المراتب البشرية التي يكون المرء بها في حال التقوى والخشبة إذ قال تعالى " إنما يخشى الله من عباده العلماء" ونبينا، عليه أفضل الصلوات والتسليم، أخبرنا أن مداد العلماء يفضل دماء الشهداء حين تعرض الأعمال على خالق النفوس ومدبر الأكوان.

وقد حفل القرن الرابع عشر الهجري بثلة من العلماء الكبار الذين ارتقى بهم علمهم وعملهم إلى الدرجة التي استحقوا ان ينعتوا فيها بنعت المجددين في الدين وكذلك كان الشأن عند الصفوة المختارة والمعلومة من علماء الإسلام في الهند وأفغانستان والباكستان وإيران وتركيا، وفي مصر والشام وتونس والمغرب وغيرها من بلدان العالم العربي. وإذا كان للجامعة المغربية معرفة متفاوتة الدرجات بفكر الأفذاذ من أولئك العلماء أمثل جمال الدين الافغاني، ومحمد إ قبال ومحمد عبده، والألوسى، والثعالبي، وابن باديس والحجوى، والطاميرى، والعلوي ابن العربي، والعلوي ابن احمد وعلال الفاسي وأمثال هؤلاء، والحق هم كثيرون،.. إذا كانت الجامعة على اطلاع ودراية بأثر من ذكرنا ويتأثيرهم في مجال الاجتهاد والتجديد في الدين.. فإن معرفتها في ما أظن لاتزال في حاجة إلى التوسع

والامتداد لتشمل أضرابا لهم في بلاد إسلامية أخرى لاتزال المعرفة بفكر رجالاتها قليلة إما صعوبة التواصل اللغوى، وإما لحصول ظروف حالت دون ذلك.. وأحسب ان اجتماعكم اليوم، في هذه الندوة المباركة، بهدف التعريف بفكر المفكر المسلم التركى الجنسية بديع الزمان سعيد النورسى، إنما هو اجتماع يندرج في هذا الإطار.. وإن ما يسفر عنه فكركم من عطاء علمي يطال مختلف المناحى الفكرية لهذا المفكر المسلم الكبير، هو ولاشك اسهام سيكون له أثره في تطوير معرفتنا بالتجديد الديني في عالمنا الإسلامي المعاصر.. والضامن في ذلك هو، بعد الله تعالى، انكباب هذه الصفوة من العلماء الأجلاء من داخل المغرب وخارجه. وانني أغتنم هذه المناسبة لأتوجه لهم جميعا بتحية الشكر والتقدير الخالصين لما بذلوه من عناء وتجشموه من مشاق في حضور هذا الملتقى العلمي الرصين مع وفرة مشاغلهم وتعدد انشغالهم.

كما أنني أحيي التعاون ممثلا في شعبة الدراسات الإسلامية وبين مركز رسائل النور باستانبول في تركيا وأرجو من الله تعالى أن يكون خطوة أولى على درب التعاون الثقافي بين المؤسسات الجامعية في المغرب وبين المؤسسات الثقافية في تركيا. ولاأريد للفرصة أن تفوتني دون أن انوه بالجهد الطيب المتواصل الذي بذلته اللجنة المحضرة لهذا اللقاء فالى أعضائها أتوجه بشكري وامتناني مثلما أتوجه بتحية الشكر إلى كل الذين أسهموا، من قريب أو بعيد في إنجاحها.

وختاما فانني أتقدم برفع عبارات الولاء والتقدير لمقام جلالة الملك الحسن الثاني نصره الله راعى العلم والعلماء والمجاهد من أجل إعلاء كلمة الإسلام وجمع شمل المسلمين والذي يصرف لقضية التجديد الديني في الإسلام جهداً عظيما. حفظه الله لشعبه... والمسلمين وحفظه في ولي العهد المحبوب الأمير الجليل سيدي محمد وفي صنوه الرشيد الأمير مولاي رشيد وفي باقي الأسرة الشريفة وأمطر شآبيب الرحمة والغفران

على المجاهد الأعظم محمد الخامس وإنه بالاستجابة جدير. كلل الله أعمالكم بالتوفيق والنجاح، والسلام عليكم ورحمة الله تعالى وبركاته.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**رب اشرح لي صدري ويسر لي امري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على محمد سيد المرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين**

من صميم القلب نحييكم، باسمي وباسم مركز رسائل النور باستانبول بأجمل كلام وأفضل تحية وهي تحية الإسلام فالسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

اساتذتي الأفاضل، أيها الأخوة والأخوات الكرام

فإن الحمد لله تعالى أولاً وآخراً، إذ جمعنا على الهدى ووفقنا لنتدارس القرآن وعلوم الإيمان مستلهمين ذلك من خادم القرآن والإيمان بديع الزمان سعيد النورسي.

ولكن قبل أن نخوض في هذه المداولات الفكرية والمناقشات العلمية والنجاوى القلبية لابد لي أن اقدم أجمل شكر

وأجز له، وأفضل امتنان وأزكاه لجامعة محمد الخامس ولقيدوم كلية الآداب والعلوم الإنسانية الأستاذ الدكتور سعيد بن سعيد المحترم ولرئيس شعبة الدراسات الإسلامية الأستاذ الدكتور احمد ابو زيد الحترم ولجميع الأساتذة الكرام والإخوة الأفاضل الذين ساهموا وساعدوا في تحقيق هذا الجمع المبارك والشمل الميمون، وبذلوا جهودهم لتهيئة هذا المناخ العلمي الملائم لمدارسة جهود بديع الزمان سعيد النورسى في التجديد فاللهم اجزل ثوابهم واجعل كل خطوة من خطواتهم التي قدموها في سبيل الإيمان والقرآن في ميزان حسناتهم يوم لاينفع مال ولابنون الا من اتى الله بقلب سليم.

ولقد شهدنا في غضون السنوات القليلة الماضية، في المؤتمرات العالمية التي عقدت في استانبول وكذا في المؤتمرات القطرية العديدة، وفي الندوات العلمية التي عقدت في مصر، وفي الحلقة الدراسية في الأردن، ومن خلال البحوث العلمية التي ألقيت فيها من قبل مئات من الأساتذة الأفاضل والعلماء الموقرين، من انحاء شتى من العالم ومن أجناس شتى بل من أديان وعقائد مختلفة.. شهدنا ان الجميع مجمعون على ان بديع االزمان سعيد النورسى، مجدد اذ كان كل واحد من هؤلاء العلماء ينظر إلى النورسى من زاوية اختصاصه وعلمه، فيثبت بالبراهين والأدلة العلمية جهود النورسى التجديدية في ناحية اختصاصه فمثلا اصحاب القرآن وتفسيره وعلومه قدموا بحوثهم في ميدان اختصاصهم وآخرون قدموا في أمور الدعوة إلى الله، وآخرون في أمور الاجتماع، وآخرون في الفلسفة وهكذا فكل أدلى بدلوه واستخرج من كنوز مؤلف النورسي "كليات رسائل النور" ما يثبت جهوده التجديدية في هذا العصر وستزيد بحوثكم القيمة -أيها الكرام- هذه الشهادة في حق النورسي وتبرز آفاقاً جديدة أمامنا بإذن الله.

ومما يبشر بالخير ويبهج قلوبنا حقا ان النورسي لم يعد محصوراً على تركيا بل أصبح ملك المسلمين جميعاً بل ملك الإنسانية، فقد احتضنته جامعات الدول العربية والإسلامية بل حتى جامعات الغرب.

**I- وأمريكا اساتذتي الأفاضل ايها الأخوة والاخوات الكرام**

انني إذ اقف أمامكم ترحيبا بكم أتضرع المولى القدير ان يشرح صدورنا بالإيمان ويطلق لساننا لما يحبه ويرضاه، ويفيض على أقوالنا واعمالنا من اسرار قوله تعالى : {**اليه يصعد الكلم الطيب والعمل الصالح يرفعه**} ويجعلنا فمن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، ويرزقنا الانتفاع بعلوم الإيمان ويهب لنا من رحمته الاخلاص في القول والعمل

**وصل اللهم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم**

**والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته**

**الحمد لله وحده**

**والصلاة والسلام على مولانا رسول الله**

**كلمة اللجنة المنظمة**

**(الجلسة الافتتاحية)**

أبدأ بتقديم واجب الشكر والامتنان إلى السيد القيدوم على رعايته الكريمة لهذه الندوة وعلى المساعدات والتسهيلات النبيلة التي قدمها لنا من أجل إنجاح أعمالها، وعلى المشاركة الفعلية والعملية في تنظيمها وتسديد ترتيباتها.

كما أتقدم بالشكر الجزيل إلى السيد ممثل مركز رسائل النور الذي نفضل بالاستجابة للدعوة، وبالتعاون العلمي معنا من أجل التعرف والتعريف بالفكر الإسلامي الحديث بتركيا. وبجهود واحد من أعلامه البارزين الا وهو العالم الجليل والمفكر المجدد بديع الزمان النورسي.

سيدي القيدوم أيها السادة والسيدات إننا عندما بدأنا التفكير والمذاكرة من أجل تنظيم هذه الندوة العلمية كان يساورنا الخوف والتردد، لأننا لم نكن نعرف عن الفكر الإسلامي الحديث في تركيا الا القليل جدا ولأن بديع الزمان النورسي لم يكن يعرفه منا الا أفراد قلائل ولان كتبه لم تكن موجوده فطلبنا من اخواننا في مركز بحوث "رسائل النور" ان

يساعدونا وان يتعاونوا معنا وان يمدون بكتب هذا المفكر الإسلامي الكبير فتفضلوا مشكورين وأرسلوا الينا مجموعة كليات رسائل النور.

ولما أطلع عليها السادة الأساتذة وجدوا فكر اسلاميا عميقا، وعالما مجاهدا جليلا، ومفكرا مجددا رائدا، ومربيا حكيما، فزال التردد والتخوف وحلت محله الرغبة الصادقة في المشاركة، ومن بركا ت المفكر الرباني ومن سر القبول الذي وضع له في الأرض وفي القلوب ان الاستجابة لدعوتنا والاقبال على المشاركة كان كبيرا، فاق ما كنا نتوقع، لما شرعنا في التنظيم واردنا ان نحدد محاور الندوة وجدنا ان جوانب فكر بديع الزمان النورسي والمجالات العلمية والفكرية التي كتب فيها كثيرة نستحق كلها البحث والدراسة المعمقة أرتأينا ان تكون هذه الندوة بداية للتعريف الأفقي الموسع بجهود هذا المفكر التجديدية في عرض حقائق الإيمان وأصول العقيدة وفي علوم القرآن وبيان أسراره. وفي السنة النبوية وفي الفكر الحضاري والاجتماعي على ان نخصص بحوث وحلقات دراسية أخرى أو ندوات للتعمق في كل جانب من هذه الجوانب وفي غيرها.

أيها السادة والسيدات إن جهود النورسي في تجديد الفكر الإسلامي، كانت حلقة بارزة من حلقات الجهود التي بذلت في العالم الإسلامي في العصر الحديث لهذه الغاية لقد ظهر مفكرون مصلحون في مصر والمغرب وتونس والجزائر والشام، والهند وبباكستان وغيرها، رفعوا أصواتهم، وأتعبوا أقلامهم في سبيل النهوض بالأمة وإخراجها من الجهل والتخلف والجمود وفي سبيل التصدى للاستعمار وأفكاره ومكائده.

وكانت تركيا رمز وحدة الأمة الإسلامية فنزل عليها الاستعمار بكلكله ومازال يكيد ويمكن حتى اسقط الخلافة الاسلامية، وتحت تأثير هذه الصدمة العنيفة وفي عنفوانها ظهر بديع الزمان النورسي، وتصدى لمكائد المستعمر ودسائسه ووقف في وجه مخططاته كالجبل الراسي وجاهد وضحى من أجل الابقاء على شجرة الايمان حية، فكتب رسائل

النور وبث روحه في قرائها في كل مكان ففعلت بحمد الله فعل الغيث الطيب النافع في التربة الخصبة الكريمة.

كان القرآن الكريم هو المصدر والمنبع والنور الذي استمد منه النورسى وسائله. كان يعيش مع القرآن وللقرآن، هو أنيسه في وحشته ورفيقه في وحدته وجهاده ومحنته وابتلائه، كان ربانيا في حياته وسلوكه ورسائله وتفكيره لم تشغله دنيا الناس ومناعها وزينتها عن رسالته المقدسة.

يستقبل الحياة بقلب متفائل ويتناول قضايا الفكر الإسلامي ومشاكل المسلمين بقلم المربي الشقيق الحليم الذي يرد امره كله لله. ومن أحمل ما قرأت له : انه لما صدر العفو عن رفاقه في المنفي وترك وحده لم يزد على انه قال : لعل الله تعالى اراد بذلك ان يستخدمه في خدمة القرآن الكريم، ومن أحسن ما قرأت له أيضا انه قال في تفسير او تعليل ما عرف في تاريخ الاسلام بالفتنة الكبرى. قال : لعل الله اراد بالإسلام خير بوقوع تلك الفتنة. إذ بسببها هب العلماء المخلصون للدفاع عن العقيدة الاسلامية وبيان أصولها وصيانتها وإحاطتها بسياج قوي من الأدلة لتبقى محفوظة على الدوام.

إننا بإزاء مفكر رباني يستمد من نور القرآن، ومن قلب غمرة الإيمان. وغمره سرت على الأمة الإسلامية مفكر جدير بأن تقرأ كتبه ورسائله ويستفاد من فكره ومنهجه.

في ختام هذه كلمة أشكر الأساتذة الذين إستجابوا للدعوة واحدد الشكر للسيد القيدوم وللسيد وممثل مركز رسائل النور.

## الجلسة الأولى

## محورها : قراءة في حياة النورسى وعصره

١- د. احسان قاسم الطلحي -ممثل مركز بحوث رسائل النر استانبول

٢- ذ. عشراتي سليمان-استاذ باحث بالمعهد العالي للحضارة الاسلامية بالجزائر

٣- ذ. محمد امحزون-أستاذ التاريخ بكلية الأداب بمكناس

## جوانب من حياة
## بديع الزمان سعيد النورسى

احسان قاسم الصالحي

مركز بحوث رسائل النور–استنابول

**إن حياة بديع الزمان سعيد النورسي حافلة بالأحداث الجسام إلا أننا نوجزها بالآتي فنقول:**

إنه عاصر عهد السلطان عبد الحميد الثاني وفترة الإتحاد والترقي وأحداث الحرب العالمية الأولى وسقوط الدولة العثمانية ثم العهد الجمهوري والحزب الواحد الحاكم ثم فترة تعدد الأحزاب وحياة ديمقراطية في البلاد.

فقد ولد سعيد النورسي سنة ١٢٩٣ هـ (١٨٧٩م) في قرية (نورس) التابعة لولاية بتليس شرقي الأناضول. وتتلمذ على أخيه الكبير (الملا عبد الله) واقتصرت دراسته في هذه الفترة على الصرف والنحو، ثم بدأ ينتقل في القرى والمدن بين الأساتذ والمدارس، ويتلقى العلوم الإسلامية من كتبها المعتبرة بشغف عظيم، يرفده ذكاؤه المشرق، الذي اعترف به أساتذته جميعهم بعد إمتحانات صعبة، كان يجريها له كل منهم، واجتمع له مع الذكاء قوة الحافظة، حتى أنه درس وحفظ كتاب (جمع الجوامع) في أصول الفقه في أسبوع واحد.

ولم تلبث شهرة هذا الشاب ان انتشرت بعد ان فاق في مناقشاته علماء منطقته جميعا، فسموه (سعيد المشهور). ثم ذهب إلى مدينة (تللو) حيث اعتكف مدة في إحدى الزوايا، وحفظ هناك القاموس المحيط للفيروزابادي إلى باب السين.

وفي سنة ١٨٩٢م ذهب إلى (ماردين) ؛ حيث بدأ يلقي دروسه في جامع المدينة ويجيب عن أسئلة الناس، فوشي به إلى الوالي فأصدر أمرا بإخراجه، وسيق إلى (بتليس). فلما عرف واليها حقيقة هذا الشاب العالم ألح عليه ان يقيم معه، وهناك وجد الفرصة

سانحة لمطالعة الكتب العلمية، لاسيما علم الكلام والمنطق وكتب التفسير والحديث الشريف والفقه والنحو، حتى بلغ محفوظه من متون هذه العلوم نحو ثمانين متنا.

ثم ذهب إلى مدينة (وان) سنة ١٨٩٤م وانكب فيها بعمق على دراسة كتب الرياضيات والفلك والكيمياء والفيزياء والجيولوجيا والفلسفة والتاريخ ؛ حتى تعمق فيها إلى درجة التأليف في بعضها وذلك حينما احس في أثناء مجالسته مع بعض المثقفين أنه بحاجة إلى الاغتراف من تلك العلوم فأطلق عليه أهل العلم (بديع الزمان) اعترافا منهم بذكائه الحاد وعلمه الغزير واطلاعه الواسع.

كان الفكر المادي قد بدأ يجتاح العالم كله، ووجهت العلوم الحديثة وجهة بعيدة عن الدين بل مناهضة له. وأخذ العالم الإسلامي يئن تحت وطأة هذا الغزو الفكري. والدولة العثمانية لم تعد قادرة بمؤسساتها القديمة على الوقوف أمامه، وحل المشكلات المستعصية التي أفرزه. وبلغ الأمر إلى الهجوم على القرآن الكريم نفسه، حتى نشر في الصحف المحلية أن وزير المستعمرات البريطاني (غلادستون) قد صرح في مجلس العموم البريطاني مخاطبا النواب قائلا : (ما دام القرآن بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود او نقطع صلة المسلمين به). زلزل هذا الخبر كيان بديع الزمان وأقض مضجعه فعلم ان القرآن مستهدف، فأعلن لمن حلوه : (لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لايخبو سناها ولايمكن إطفاء نورها). فشد الرحال إلى إستانبول عام ١٩٠٧م، وقدم مشروعا إلى السلطان عبد الحميد الثاني لإنشاء جامعة إسلامية في شرقي الأناضول، أطلق عليها اسم (مدرسة الزهراء)-على غرار الأزهر الشريف- تنهض بمهمة نشر حقائق الإسلام وتدمج فيها الدراسة الدينية مع العلوم الكونية الحديثة وفق مقولته :(ضياء القلب هو العلوم الدينية، ونور العقل هو العلم الحديثة، فبإمتزاجهما تتجلى الحقيقة، وبإفتراقهما تتولد الحيل والشبهات في هذا، والتعصب الذميم في ذاك)[1].

---

[1] – صيقل الإسلام-المناظرات

وكانت شهرته العلمية قد سبقته إلى هناك فتجمع حوله الطلبة والعلماء يسألونه وهو يجيب في كل فن بغزارة نادرة. فاعترف له الجميع بالإمامة وبانهم لم يشاهدوا في علمه وفضله أحدا، حتى أن احدهم عبر عن إعجابه الشديد بعد ان اختبره اختبارا دقيقا، قال : (إن علمه ليس كسيبا، وإنما هو هبة إلهية، وعلم لدني).

وفي سنة ١٩١١م ذهب إلى بلاد الشام، وألقى خطبه بليغة من على منبر الجامع الأموي دعا فيها المسلمين إلى اليقظة والنهوض، وبين فيها أمراض الأمة الإسلامية وسبل علاجها، ثم رجع إلى استانبول وعرض مشروعه بخصوص الجامعة الإسلامية على السلطان رشاد، فوعده السلطان خيرا، وفعلا خصص المبلغ فشرع بوضع الحجر الأساس للجامعة على ضفاف بحيرة (وان)، غير أن الحرب العالمية الأولى حالت دون إكمال المشروع.

وعلى الرغم من معارضة سعيد النورسي لدخول الدولة العثمانية الحرب، فإنه حالما أعلنت شكل من طلابه والمتطوعين فرق "الأنصار" وخاضوا غمار الحرب ضد روسيا القيصرية المهاجمة من جهة القفقاس، وألف في خضم المعارك تفسيره القيم (إشارات الإعجاز في مظان الإيجاز) باللغة العربية، وعندما دخل الجيش الروسي مدينة (بتليس) كان بديع الزمان يدافع مع طلابه عن المدينة دفاعا مستميتا، حتى أنه جرح جرحا بليغا، وأسر من قبل الروس وسيق إلى معتقلات الأسرى في قوصتور مل.. (في سبيريا). وهناك استمر على إلقاء دروسه الإيمانية على الضباط الذين كانوا معه والبالغ عددهم (٩٠) ضابطا. وبعد نشوب الثورة البلشفية والاضطرابات التي نجمت منها تمكن من الهروب من الأسر بأعجوبة نادرة وبعناية ربانية واضحة. مارا في طريقه بوارشو وألمانيا وفينا. وعندما وصل إلى استانبول منح وسام الحرب، واستقبل إستقبالا رائعا من قبل الخليفة وشيخ الإسلام والقائد العام وطلبة العلوم الشرعية. وكلفته الدولة بتسنم بعض الوظائف، رفضها جميعا إلا ما عينته له القيادة العسكرية من عضوية في (دار الحكمة الإسلامية)، التي كانت لاتوجه إلا لكبار العلماء، فنشر في هذه الفترة أغلب مؤلفاته.

وبعد دخول الغزاة إلى استانبول احس النورسي ان طعنة كبيرة وجهت إلى العالم الإسلامي، ولذلك شمر عن ساعد الجد، ونشر رسالة (الخطوات الست) سرا هاجم فيها الغزاة بشدة، وأزال دواعي اليأس الذي خيم على كثير من الناس. حتى حكم عليه بالإعدام غيابيا من قبل الغزاة الإنكليز.

ولشهرته الواسعة وجهاده المتواصل دعي إلى أنقرة عدة مرات. ويصف دعوته هذه بالآتي :

"دعيت لزيارة أنقرة سنة (١٩٢٢م) وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي، إلا أنني أبصرت-خلال موجة الفرح هذه- زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر، وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميها.. فتأسفت من أعماق روحي، وصرخت مستغيثا بالله العلي القدير..."[٢].

وهناك وجد أن معظم أركان الدولة لايؤدون حتى الفرائض الدينية، فوجه إلى المجلس النيابي (مجلس المبعوثان) خطابا مؤثرا إستهله ب"أيها المبعوثون إنكم لمبعوثون ليوم عظيم". وحصلت بينه وبين مصطفى كمال مشادة قوية. وعرض على المجلس أيضا مشروع إنشاء الجامعة الإسلامية فلقي القبول، إلا أن ظروفا سياسية حالت دون إكمال المشروع.

تيقن بديع الزمان أن الإصلاح لايمكن أن يتم في الأروقة السياسية مع فساد الأسس وضعف الإيمان. فتوجه إلى مدينة (وان) سنة ١٩٢٣م، واعتزل الناس في جبل (أرك) القريب منها، طول سنتين متعبدا ومتأملا. وفي هذه الفترة تشكلت الحكومة الجمهورية[٣] بعد إلغاء الخلافة[٤]. ثم قام الشيخ (سعيد بيران النقشبندي) بالثورة ضد السلطة آنذاك[٥]،

---

[٢] – اللمعات/٢٦٧.

[٣] – في ١٩٢٣/١٠/٢٩.

[٤] – في ١٩٢٤/٣/٣ بعد أن ألغيت السلطنة في ١٩٢٢/١١/١.

[٥] – في ١٩٢٥/٢/١٣.

وأشار إليه بديع الزمان أن يعدل عن موقفه هذا حيث ستسفك دماء بريئة، ولكنه لم ينتصح بنصيحته، وفعلا أريقت دماء زكية دون جدوى. وأخمدت الثورة، وعلى إثرها سنت القوانين واتخذت القرارات لقلع الإسلام من جذوره وإخماد جذوة الإسمان في قلب الأمة التي رفعت راية الإسلام طوال ستة قرون من الزمان. فمنع تدريس الدين في المدارس كافة، وبدلت الأرقام والحروف العربية في الكتابة إلبالحروف اللاتينية، وحرم الأذان الشرعي وإقامة الصلاة باللغة العربية، وجرت محاولات ترجمة القرآن الكريم وسعي لقراءة الترجمة في الصلوات. كما أعلنت علمانية الدولة، فمنع القيام بأي نشاط أو فعالية في صاحل الإسلام، إذ حظر طبع الكتب الإسلامية، وأرغم الناس على تغيير الزي إلى الزي الأوروبي، فالرجال أرغموا على لبس القبعة والنساء على السفور والتكشف.. وشكلت محاكم زرعت الخوف والإرهاب في طول البلاد وعرضها، ونصبت المشانق لعلماء أجلاء، ولكل من تحدثه نفسه بالإعتراض على السلطة الحاكمة.

ورغم موقف بديع الزمان ذاك من الثورة، إلا انه لم ينج من شرارة الفتن والإضطرابات فنفي مع الكثيرين إلى غربي الأناضول، إلى مدينة (بوردو). ثم نفي وحده إلى ناحية نائية وهي (بارلا) في جنوب غربي الأناضول ووصل إليها سنة ١٩٢٧ك.

ظن أعداء الإيمان سيقضى عليه في (بارلا) تلك القرية النائية، ويخمد ذكره ويطويه السنيان ويجف هذا النبع الفياض. ولكن الله سبحانه وتعالى لطيف بعباده، فرعاه بفضله وكرمه، حتى غدت (بارلا) مصدر إشعاع عظيم لنور القرآن الكريم، إذ ألف الأستاذ النورسي هناك معظم (رسائل النور). وتسربت هذه الرسائل عن طريق الإستنتساخ اليدوي سرا، وانتشرت من أقصى تركيا إلى أقصاها، ولإلتزامه هو وطلابه بالأذان الشرعي والحروف العربية ولإنتشار الرسائل الإيمانية الواسع.

سيقوا من منفى إلى آخر، وزجوا في السجون والمعتقلات في عديد من ولايات تركيا طوال ربع قرن من الزمن، فكان المولى القدير يقيض لهذه الرسائل القرآنية من يستنسخها،

وينشر هذا الفيض الإيماني، حتى أيقظت روح الإيمان الراكدة لدى أهل الإيمان، وأرستها على دعائم علمية ومنطقية في غاية البلاغة بحيث يفهمه العوام ويتزود منه الخواص.

وهكذا استمر الأستاذ النورسي على تأليف رسائل النور حتى سنة ١٩٥٠م فأصبحت في (١٣٠) رسالة، جمعت تحت عنوان (كليات رسائل النور). ولم تتيسر لها أن ترى طريقها إلى المطابع إلا بعد سنة ١٩٠٤م وكان يشرف بنفسه على الطبع حتى كمل طبع الرسائل جميعها.

لبى الأستاذ النورسي نداء ربه الكريم في الخامس والعشرين من رمضان المبارك سنة ١٣٧٩هـ الموافق ٢٣ آذار ١٩٦٠م في مدينة (أورفة). ولكن السلطات العسكرية الحاكمة آنذاك لم تدعه يرتاح حتى في قبره، إذا قاموا-في أوائل شهر تموز-بنبش قبره ونقل رفات هذا العالم الجليل بالطائرة إلى جهة مجهولة، بعد أن أعلنوا منع التجول في مدينة (أورفة) وملؤوها بالجنود المدججين بالسلاح.

**تغمده الله برحمته الواسعة وأسكنه فسيح جناته.**

**سعيد القديم وسعيد الجديد :**

يطلق الأستاذ النورسي على نفسه "سعيد القديم" قبل تأليفه لرسائل النور (سنة ١٩٢٧م) حيث كان يأمل ان الإصلاح وخدمة الدين يمكن ان يكون في بعث الروح في مؤسسات الدولة الإجتماعية والدينية بالطرق السياسية. بينما يعد نفسه بعد تلك السنة "سعيدا الجديد" الذي تولى مهمة إنقاذ الإيمان وترسيخه في القلوب والأذهان، باسلوب منطقي علمي قلبي فطري برسائل النور المستلهمة من فيض القرآن الكريم، وبالالتزام التام بالإخلاص لله، بعيدا عن الأجواء السياسية.

**آثــاره :**

ترك الأستاذ النورسي وراءه موسوعة ايمانية رائعة تسد حاجة هذا العصر وتخاطب مدارك ابنائه، تلك هي "رسائل النور" التي استقاها من فيض نور القرآن الكريم، فهي :

تفسير شهودي للقرآن الكريم، يعتمد على حقائق الآيات الكريمة، وإثبات معانيها، بتوضيحها من خلال استشهادات يتحاور فيها العقل والقلب، وتمتزج فيها الروح واللطائف الأخرى. فهي تفسير لمعاني القرآن الكريم أكثر مما هو تفسير لألفاظ الآيات الكريمة وعباراتها، تعالج القضايا والمقاصد الأساسية التي يدور عليها القرآن الكريم وهي : التوحيد والنبوة والآخرة والعدالة. وتدحض في الوقت نفسه اباطيل الفلاسفة الاوربيين وشبهات اعداء الإيمان حول القرآن والإيمان من أساسها، وتثبت حقائق القرآن والإيمان وأركانه بدلائل قاطعة وأدلة رصينة وأمثلة واقعية قريبة.

**١- آثار سعيد القديم :**

**التي طبعت منها باللغة العربية :**

١- الخطبة الشامية-دواء اليأس-(ط. ١٩١١ و١٩١٢)

٢- رجتة العوام ورجتة العلماء (صيقل الإسلام) (ط. ١٩١٢)

٣- اشارات الاعجاز في مظان الإيجاز (ط. ١٩١٨)

٤- قزل إيجاز على السلم (ط. ١٩٢١)

٥- لمعات من التوحيد الحقيقي، رشحات من بحر معرفة النبي (ص)، لاسيما (ط. ١٩٢١)

٦- قطرة من بحر التوحيد وذيل القطرة (ط. ١٩٢٢)

٧- شمة من نسيم هداية القرآن وذيل الشمة (ط.١٩٢٢)

٨- حبة من نواتات ثمرة من ثمرات جنان القرآن وذيل الحبة (ط.١٩٢٢)

٩- زهرة من رياض القرآن الحكيم وذيل الزهرة (ط. ١٩٢٣)

١٠- ذرة من شعاع هداية القرآن (ط. ١٩٢٢) وذيل الذرة (ط. ١٩٢٣)

١١- حباب من عمان القرآن (ط. ١٩٢٣)

**والتي طبعت منها باللغة التركية :**

١- محاكمات (ط. ١٩١١)

٢- مناظرات (ط. ١٩١١)

٣- ديوان حرب عرفي (ط. ١٩١١ و١٩١٢)

٤- تشخيص العلة (ط. ١٩١٢)

٥- نقطة من نور معرفة الله جل جلاله (ط. ١٩١٩)

٦- سنوحات (ط.١٩٢٠)

٧- حقيقة جكردكلري/١ (ط.١٩٢٠)

٨- لمعات (ط. ١٩٢١)

٩- طلوعات (ط. ١٩٢١)

١٠- شعاعات من معرفة النبي (ص) (ط. ١٩٢١)

١١- رموز (ط. ١٩٢١)

١٢- اشارات (ط. ١٩٢١)

١٣- لمعات (ط. ١٩٢١)

١٤- خطوات ستة (بدون تاريخ) باللغة العربية والتركية

١٥- حقيقة جكردكلري/٢ (ط.١٩٢١)

**٢- آثار سعيد الجديد (رسائل النور)**

١- الكلمات : تضم ٣٣ كلمة باللغة التركية

٢- المكتوبات : تضم ٣٣ مكتوبا باللغة التركية

٣-اللمعات : تضم ٣٣ لمعة باللغة التركية

٤- الشعاعات : تضم ١٥ شعاعا باللغة التركية

٥- اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز : باللغة العربية (من آثاره القديمة وضمه إلى (رسائل النور)

٦- المثنوي العربي النوري (ويضم رسائل من آثاره العربية : لمعات، رشحات، لاسيما، قطرة، ذرة، شمة، حبة، زهرة، شعلة، نور من انوار نجوم القرآن، ونقطة "باللغة التركية")

٧- الملاحق في فقه دعوة النور (وتضم : ملحق بارلا، ملحق قسطموني، ملحق أميرداغ ٢,١ باللغة التركية)

٨-صيقل الإسلام (آثار سعيد القديم) : محاكمات، قزل ايجاز على السلم (في المنطق)، تعليقات على برهان الكلنبوي (في المنطق)، السانحات، لمناظرات، المحكمة العسكرية العرفية، الخطبة الشامية، الخطوات الست.

٩- سيرة ذاتية باللغة التركية

ولقد من الله علينا بفضله وكرمه ترجمة رسائل النور كاملة إلى اللغة العربية. وحققنا العربية منها على اصولها المخطوطة. كما ترجمت الأربعة الأولى منها إلى اللغة الإنكليزية الأخت الفاضلة شكران واحدة. وترجمت كثير من الرسائل الصغيرة إلى ١٥ لغة اخرى أو يزيد.

نورد النص الآتي لينير لنا جانبا من أسلوب رسائل النور المتميز، في عرض حقائق القرآن وترسيخ أركان الإيمان :

(... إن معرفة الله المستنبطة بدلائل (علم الكلام) ليست هي المعرفة الكاملة، ولاتورث الإطمئنان القلبي، في حين أن تلك المعرفة متى ما كانت على نهج القرآن الكريم المعجز، فإنها تصبح معرفة تامة، وتسكب الإطمئنان الكامل في القلب. نسأل الله العلي القدير أن يجعل كل جزء من أجزاء رسائل النور بمثابة مصباح يضيء السبيل القويم النوراني للقرآن الكريم...

وكما أن معرفة الله الناشئة من علم الكلام تبدو ناقصة وقاصرة، فإن المعرفة الناتجة عن طريق (التصوف) أيضا ناقصة ومبتورة بالنسبة نفسها أمام المعرفة التي استقاها ورثة الأنبياء من القرآن الكريم مباشرة...

فالمعرفة المستقاة من القرآن الكريم تمنح الحضور القلبي الدائم، فضلا عن أنها لاتقضي على الكائنات بالعدم ولاتسجنها في سجن النسيان المطلق، بل تنقذها من الأهمال والعبثية وتستخدمها في سبيل الله سبحانه، جاعلة من كل شيء مرآة تعكس الآلهية وتفتح في كل شيء نافذة إلى المعرفة الإلهية.

ولقد شبهنا في "كلمات" أخرى من رسائل النور، لبيان الفروق بين الذين يستلهمون نهجهم من القرآن-ذلك المنهج الأقوم- والذين يسلكون نهج علماء الكلام بمثال هو :

إنه لأجل الحصول على الماء، هناك من يأتي به بوساطة أنابيب من مكان بعيدة يحفره في أسفل الجبال، وآخرون يجدون الماء أينما حفروا، ويفجرونه أينما كانوا، فالأول سير في طريق وعر وطويل والماء معرض فيه للإنقطاع والشحة. بينما الذين هم أهل لحفر الآبار يجدون الماء أينما حلوا دونما صعوبة ومتاعب.

فعلماء الكلام يقطعون سلسلة الأسباب بإثبات استحالة الدور والتسلسل في نهاية العالم، ومن بعده يثبتون وجود واجب الوجود.

أما المنهج الحقيقي للقرآن الكريم فيجد الماء في كل مكان ويفجره أينما كان، فكل آية من آياته الجليلة كعصا موسى تفجر الماء أينما ضربت وتستقرئ كل شيء القاعدة الآتية :

**وفي كل شيء له آية　　　　تدل على أنه واحد**

... إن الإيمان لا يحصل بالعلم وحده، إذ إن هناك لطائف كثيرة للإنسان لها حظها من الإيمان، فكما أن الأكل إذا ما دخل المعدة ينقسم ويتوزع إلى مختلف العروق حسب كل عضو من الأعضاء، كذلك المسائل الإيمانية الآتية عن طريق العلم، إذا ما دخلت معدة

العقل والفهم، فإن كل لطيفة من لطائف الجسم-كالروح والقلب والسر والنفس وأمثالها- تأخذ حظها منها، وتمصها حسب درجاتها. فإن فقدت لطيفة من اللطائف غذاءها المناسب، فالمعرفة إذن ناقصة مبتورة، وتظل تلك اللطيفة محرومة منها)٦

---

٦ - المكتوبة/٤٢٤-٤٢٦.

٧ - الآية ٤٢، سورة الروم.

٨ - أنظر كتابه : سيرة ذاتية ص ٨٣.

٩ - نفس المرجع

١٠ - الآية :٨ سورة الصف

١١ - المرجع السابق، ص٢٤٨.

١٢ - نفس المرجع، ص ٢٦٢.

١٣ - نفس المرجع، ص ٢٨٦.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

# عصر بديع الزمان النورسي : العثمانيون قراءة تاريخية

**ذ محمد أمحزون - أستاذ التاريخ بكلية الآداب والعلوم الإنسانية -مكناس -**

لقد عاصر بديع الزمان النورسي-رحمة الله- أربعة عهود : عاصر أواخر الدولة العثمانية، وعاصر الاتحاديين ثم الكماليين ثم الجمهوريين.

وسأقتصر في هذه الورقة على العثمانيين مبرزاً أوضاع السلطنة في عهد عبد الحميد الثاني، وملفتا النظر إلى سنة من السنن الاجتماعية التي تم استخراجها أثناء دراسة هذا العصر، وهي سنة التغيير.

ويمكن القول بأنه لا يمكن تقدير وتثمين الجهود التي بذلها بديع الزمان النورسي في مجال الدعوة والتجديد إلا بمعرفة عصره.

## أولا : الأوضاع في عهد السلطان عبد الحميد الثاني

عندما اعتلى السلطان عبد الحميد الثاني عرش السلطنة العثمانية عام (١٨٧٦م) كانت الدولة العثمانية قد تعرضت إلى شتى أنواع الاختراقات من قبل الدول الأوروبية، مما جعلها تصل إلى درجة دنيا من الضعف والتدهور.

فبفضل قانون "الامتيازات الأجنبية" تمكنت الدول الغربية من خلق وضع مميز بالنسبة لها، يخول لكل دولة نصرانية حماية أتباعها داخل حدود السلطنة

### أ- المجال الاقتصادي :

ففي المجال الاقتصادي، تم إعفاء الأجانب من الجزية والضرائب المباشرة، ومن جزء كبير من الرسوم الجمركية، فكانت المتاجر والمصانع والمصارف الأوروبية تعمل في البلاد العثمانية بكل حرية، وتتصرف بأرباحها كما تشاء، دون أن تدفع أي ضريبة عن تلك

الأرباح للحكومة أو البلدية. وهي امتيازات لم يكن يحلم بها الرعايا العثمانيون المسلمون أنفسهم.

وقد انعكس ذلك سلباً على قيمة العملة الوطنية، وألغى حكماً كل شروط المنافسة بين التجار الأجانب ووسطائهم : أهل الذمة، من جهة، وبين التجار المحليين ومعظمهم من المسلمين، من جهة ثانية. وجعل زمام المبادرة في أيدي الأولين، فاحتلوا مواقع متقدمة في هرم الثروة، وأصبحوا فاعليين اقتصاديين، مما أضعف التجارة الإسلامية مع الخارج، حيث اخذت تركز على الاستيراد أكثر من التصدير، فتعطل بالتالي نمو الاقتصاد العثماني[١].

**ب- المجال العسكري**

وعلى الصعيد العسكري تمكنت روسيا من تحويل البحر الأسود إلى بحيرة روسية، وزادت من ضغطها على ولايات السلطنة الأسيوية والبلقانية، ومد البريطانيون نفوذهم إلى الخليج ومصر واليمن والسودان وجزيرة قبرص، واحتلت فرنسا تونس، وأخذت تتهيأ للانقضاض على المغرب، فيما كانت إيطاليا تتطلع للاستيلاء على ليبيا، واستقلت بلغاريا ذاتياً، ووضعت البوسنة والهرسك في عهدة النمسا وهنغاريا.

وهذا ما جعل النفوذ العثماني يقتصر على بعض الولايات العربية وداخل الجزيرة العربية، فضلا عن الأناضول ومقدونيا والرميللي وألبانيا.

وقد طرح نراجع الدولة العثمانية أمام هجوم الاستعمار، وتعرض البلدان الاسلامية في آسيا وافريقيا إلى زحف الدول الغربية المستعمرة، وتطلع شعوبها إلى السلطنة العثمانية بوصفها خلافة إسلامية لإنقاذها، طرح هذا الوضع تساؤلات كثيرة في العالم الإسلامي حول شرعية وجدوى الخلافة العثمانية التي لاتتوسع على حساب « دار الحرب » فحسب، بل لاتؤدي واجبها في الدفاع عن دار الإسلام.

**ج - المجال الثقافي والفكري**

وتحت ستار الامتيازات، تدخلت الدول الأجنبية في شؤون السلطنة الثقافية والفكرية، فنشطت مؤسساتها الثقافية وإرسالياتها التبشيرية لتسرب ثقافات ومفاهيم الغرب إلى المجتمع العثماني١٤، عن طريق دعم حرية الصحافة، حظر الرقابة على النشر، وحصانة المراسلات والمطبوعات الأجنبية، بحيث لايجري التعدي عليها أو مصادرتها١٥، ونشر المدارس الأجنبية١٦ وعدم تمكين الحكومة العثمانية من السيطرة على دور البريد الأجنبية في استانبول١٧ وغير ذلك من الاجراءات التي تكرس الغزو الثقافي والفكري داخل حدود السلطنة

وكانت المحافل الماسونية في باريس وراء حركة الترجمة الواسعة للعديد من الكتب الفرنسية إلى اللغات التركية والعربية والفارسية لإثارة النعرة القومية واستغلالها لتمزيق الدولة العثمانية١٨.

ونشر الأفكار والثقافات التي تتنافى مع قيم ومبادئ المجتمع المسلم، والتي ساهمت في خلق جيل جديد من المثقفين يتبنى أفكارها ويروج لها، ويعتبرها الأساس الذي لابديل عنه إلى الإصلاح والتقدم.

وزاد من حجم وكيف هذا الاتجاه البعثات العلمية التي أرسلت إلى الغرب-وخاصة فرنسا- وعاد المبعوثون متشبعين بالاتجاه العلماني وبالدعوة القومية.

وهكذا بدأ أن اختراق أوربا الديني-الثقافي للسلطنة يساوي في مساوئه اختراقها الاقتصادي والعسكري

**-مجال القضاء والأمن**

---

[١٤] – سنو : المرجع السابق، ص ١١٦.

[١٥] – احمد عبد الرحيم مصطفى : في أصول التاريخ العثماني، ص ٢٧٠.

[١٦] – السلطان بعد الحميد ومذاكراتي السياسية، ص ١٨٧.

[١٧] – المرجع نفسه، ص ٩٨.

[١٨] – زكاريا بيومي : قراءة جديدة في تاريخ العثمانيين، ص ٢٠٤.

وفي مجال القضاء والأمن لم يكن في مقدور السلطات العثمانية ولوج بيت رجل أجنبي مهما كان السبب، حتى لو أن جريمة ارتكبت في ذلك البيت، بل كان الذي يقوم بالتحقيق والمحاكمة والفصل : قنصل الشخص الذي يسكن ذلك البيت.

إن البيت الذي كان يسكنه رجل إنجليزي أو فرنسي أو يوناني او برازيلي، كان يعتبر جزءا من انكلترا او فرنسا او اليونان او البرازيل.

وكذلك كان لكل أجنبي الحق في ان يتجول بكل حرية في البلاد العثمانية، فإذا اتفق ان ناله سوء-ولوقضاء وقدرا-فإن حكومته تطالب بديته أضعافا مضاعفة.

وكان احد هؤلاء الاجانب او المحميين يتخطى القوانين، ويخالف مبادئ الأخلاق والانسانية، فإذا تعرض له متعرض شمخ وقال: »انا اجنبي » أو « أنا حماية اجنبية ».

ويروى عبد الله المشنوق شيئا من هذا القبيل قال : « من ذلك حادثة شهدتها بأم عيني : دهست سيارة يقودها رجل أجنبي طفلا في بيروت، فأمر الشرطي السائق بالوقوف، فرفض قائلا بلغته الأجنبية : « القنصلية، لاشأن لي معك » وتابع السائق طريقة تاركا الطفل المسكين يعاني سكرات الموت »[19].

وعندما قام الباشا التركي بإغلاق حانة للخمور لرجل يوناني اجتج القنصل اليوناني على ذلك ثم فتحها ؛ لأن صاحبها يتمتع بحماية دولة مسيحية.

**د- المجال السياسي:**

وعلى الصعيد السياسي استطاعت المحافل الماسونية من خلال انتشارها في الدولة العثمانية أن تبث أفكارها من خلال عناصر مجندة ومدربة تحركها أطماعها الشخصية (مثل مدحت باشا)، حيث ركزت هذه العناصر على السير في طريق التحول العلماني، وإفساح

[19] - الزهراني الأحوال العقدية والعلمية في القرانية ١٣-١٤ و...

المجال لدعم الدعوة القومية الطورانية، بتدريب عناصر عسكرية عثمانية من الولايات تكون قادرة على مساندة هذا الاتجاه في الوقت المناسب ليكتمل مخطط تمزيق السلطنة[٢٠].

كما تم تجنيد عناصر مسيحية ويهودية لهذا الغرض، تحول بعضها إلى الاسلام مثل الكونت قسطنطين ورزيسكي الذي تسمى باسم : مصطفى جلال الدين باشا هو مسيحي من أصل بولندي انضم إلى المحفل الماسوني، مارس نشاطا كبيرا في نشر الفكر الطوراني[٢١].

ولمواجهة طموحات ومواقف السلطان عبد الحميد الثاني، فتحت المحافل الماسونية أبوابها، وبذلت أموالها لتكوين جديد من الجمعيات داخل قطاعات الجيش ومرافق للدولة، وجهزت لانقلاب عسكري سنة ١٣١٤هـ (١٨٩١م)، ولكن سرعان ماأصيبت بإحباط وخيبة أمل، بسبب اكتشاف السلطان عند الحميد لهذا الانقلاب وإلقاء القبض على رجاله ونفيهم.

وكان عدول السلطان عن محاكمتهم وقتلهم والاكتفاء ينفيهم دليلاً على حرج موقف السلطان، وكثرة عدد المتآمرين عليه، وتسلطهم على مراكز كثيرة وحساسة في الدولة، مما يعني اختراق العناصر المحلية المرتبطة بالمحافل الماسونية لأجهزة الدولة[٢٢].

وفيما يتصل بقضية فلسطين استطاع اليهود بموجب « قانون الامتيازات » الالتفاف على القيود التي وضعها العثمانيون للحد من هجرتهم إلى فلسطين، وحولوا خسارتهم على الصعيد الدبلوماسي إلى نجاح ؛ حيث اتبعوا في دخولهم فلسطين سياسة ثابتة في رفضهم للجنسية العثمانية، ولجوئهم إلى حيازة جنسيات اجنبية لكي يتمتعوا بالامتيازات الممنوحة لرعايا القوى الكبرى[٢٣].

وبعد ان يحصل المهاجرون الصهاينة على وثائق حماية بطرق غير مشروعة لدخول فلسطين، يعترف بهم القناصلة الأوربيون كرعايا لهم.

---

[٢٠] – المرجع نفسه، ص ٢٠٩.

[٢١] – المرجع نفسه، ص ٢٠٩.

[٢٢] – المرجع نفسه، ص ٢١٨.

[٢٣] – بلند كمال أوك : الدولة العثمانية في مواجهة الصهيونية، ص ٩.

وبناءً على هذا، قامت القوى الكبرى بإبلاغ الباب العالي بشكل واضح جدا بأن حق رعاياها في السفر والإقامة داخل حدود السلطنة العثمانية مضمون بقانون الامتيازات الأجنبية. وبهذا أصبحت الاجراءات المضادة للصهيونية التي قام بها السلطان عبد الحميد الثاني والمتمثلة في رصد خطوات الحركة الصهيونية وتخطيطاتها إزاء فلسطين، إقناع القوى الكبرى بسحب تأييدها للحركة الصهيونية، إقناع يهود العالم بعدم جدوى خططهم في فلسطين، أصبحت هذه الاجراءات غير قابلة للتطبيق وأفرغت من كل محتواها، حيث بات الأمر يتعلق بأشخاص يتمتعون بحماية القوى الكبرى، وبالتالي لم تتردد البعثات الأوربية والأمريكية من التدخل لدى السلطات العثمانية لحماية المصالح الصهيونية التي أخذت تهدد الوجود العربي الاسلامي في فلسطين بقوة[٢٤].

**ر- مواجهة المخطط الماسوني بحركة الجامعة الاسلامية**

لكن الأمر الذي أصاب بالاهتزاز والهلع دعاة الحركة القومية والمحافل الماسونية والدول الأوربية التي كثرت اجتماعاتها لتقسيم الدولة العثمانية[٢٥]، ودعاهم إلى سرعة تنظيم صفوفهم : هو إعلان السلطان عبد الحميد عن فكرة « الجامعة الاسلامية »

لقد كان لدى السلطان عبد الحميد قناعة كبيرة بأن تجاوز الأخطار الخارجية والداخلية التي تحيط بالدولة لن يكون إلا بالاسلام، ورأى فيه القوة الوحيدة التي تمكنه من إصلاح الأوضاع المتردية بعد أن أصبحت الحكومة المفروضة عليه لا تعبر عن مصالح المسلمين، وأصبحت تسيطر عليها عناصر مغرضة ومشبوهة في سبيل التحول إلى علمنة الدولة سواء اكان ذلك معبرا عن اتجاهها الذاتي ام عن رغبات مؤيدها من القوى الأوربية والمحافل الماسونية[٢٦].

---

[٢٤] – المرجع نفسه، ص ٩.

[٢٥] انظر كتاب : مائة مشروع لتقسيم الدولة العثمانية من تأليف.....

[٢٦] – زكريا بيومي : المرجع السابق، ص ٢٤٢.

وكان الهدف من حركة الجامعة الاسلامية » هو توحيد عناصر الدولة بقصد توفير جبهة للصمود في وجه الغرب، بل والسعي إلى تكتيل كل مسلمي العالم لمقاومة التوسع الأوربي والحركات القومية المسيحية التي كانت تهدد دار الإسلام[٢٧].

وقد أتاحت هذه السياسة الفرصة لظهور بعض العلماء والمفكرين المسلمين في أرجاء الدولة ومساندتهم لفكرة الجامعة الاسلامية، ومن هؤلاء : أحمد جودت باشا، وأبو الهدى الصيادي، وعبد القادر المغربي، ورفيق العظم، ومحمد عاكف ورشيد رضا، وعاطف الاسكليبي ونخص بالذكر هنا بديع الزمان النورسي الذي رفض الأخذ عن الحضارة الغربية في مجال القيم والمبادئ، ودعا إلى العودة إلى الاسلام الصحيح الأول والنهل من العلوم الطبيعية، وإلى ضرورة مساندة فكرة الجامعة الإسلامية[٢٨].

اما المعارضون لفكرة الجامعة الاسلامية فهم مجموعة من الصحفيين النصارى واليهود المحتمين بنفوذ الدول الأجنبية، وبخاصة بريطانيا. ومن هؤلاء فرانسيس مراش الحلبي ورزق الله حسون الارمني ونجيب عزوري احد الروم الكاثوليك وغيرهم...[٢٩].

وبشكل عام، فإن فكرة الجامعة الإسلامية وجدت قبولاً لدى رعايا الدولة من المسلمين بكل فئاتهم وطوائفهم، واستغلها السلطان عبد الحميد لمقاومة أعداء الدولة في الداخل والخارج، ومثلت إطاراً هاما لحركة الكفاح ضد الفرنسيين في الغرب الإسلامي (الجزائر، تونس) وكان من نتيجة ذلك أن اوقفت اوربا هجومها العسكري على بعض الولايات العثمانية، واكتفت ببسط نفوذها من خلال المجال الاقتصادي والثقافي إلى حي.

**ثانيا: عصر بديع النورسي في ضوء السنن الإجتماعية.**

ومن نافلة القول، أن الدولة العثمانية لم تحسم الصراع لمصلحتها، لأنها لم تعد نفسها إعدادا كاملا: علما وعملا وتربية وتخطيطا وتنظيما وإبداعا لمواجهة كثرة الأعداء من

---

[٢٧] – احمد عبد الرحيم، المرجع السابق، ص ٢٤٩.

[٢٨] – زكريا بيومي، المرجع السابق، ص ٢٤٥.

[٢٩] – المرجع نفسه، ص ص ٢٥٤-٢٥٦.

الداخل والخارج . فكانت النتيجة الهزيمة والتفكك، بينما ربحت أوربا المعركة، لأنها استوعبت السنن الكونية أو الطبيعية،واستفادت منها في بناء المعرفة ثم القوة، وأخرجت خبأ الأرض، وامتلكت أدوات العلم والإختراعات ووسائل التسلح، وسخرت كل هذه الإكتشافات لتمد أجنحة سيطرتها على أجزاء كبيرة من السلطنة العثمانية، بل آل الأمر بعد الحرب العالمية الأولى إلى غزوها في عقر دارها، وأملت عليها شروطا مجحفة في إلغاء الخلافة وفرد الإنتداب على كثير من ولاياتها.

**- سنة التغيير**

م، أهم دلالات سنة التغيير أن الله "عز وجل" لا يغير ما بقوم حتى يبدل ويغير ما بأنفسهم، فالتغيير يبدأ من النفوس سواء بالإرتقاء والإرتفاع إلى أعلى أو بالإنتكاس والهبوط إلى اسفل وفقا للسنة الإلهية( إن الله لايغير بقوم حتى يغير ما بأنفسهم)* (آية ١١ من سيورة الرعد.) هامش

فإذا وجدت الأسباب فالنتائج تتبعها، إذ إن حدوث التغيير من الله "عز وجل" مترتب على حدوثه من البشر سلبا وإيجابا والتغيير بالنسبة للدولة العثمانية يمكن النظر إليه من زاويتين : الأولى سلبية، والثانية إيجابية.

**الزاوية الأولى :**

لقد تغير كل شيء من حول السلطنة العثمانية، حيث دخلت أوربا في طور جديد بسبب التقدم الهائل الذي أحرزته في العلوم والمجالات المختلفة : "فهذه الجمادات تتكلم بغير لسان، وتكتب من غير قلم ولابنان، والوحوش حشرت مع الأنعام، والمراكب تجوب السهوب والفيافي وتفترع الأعلام، بل طارت في الهواء تسابق الرياح، وتساهم ذوات الجناح، واستولى أخوك المستيقظ على قوى الطبيعة فقرن بين الماء والنار وولدهما البخار، واستخدم الكهرباء ولانور فاخترق بذلك الجبال، واختبر أعماق البحار، وعرف مساحة لهواء... ونفذت أشعة بصره الكثائف، ووصلت أمواج صوته إلى كل مكان سحيق، فقرب

أبعاد الأرض وجمع بين أقطارها، بل عرج بهمته للقبة الفلكية، فعرف الكواكب مدارها ومادتها ومقدراها..."[30].

وبالرغم من هذه الوقائع والمتغيرات، فإن الدولة العثمانية لم تفكر في قضية التجديد، وفتح باب الاجتهاد لمواكبة العصر والتفاعل مع الأحداث المستجدة في واقع الحياة، وبدلاً من ذلك انفتحت ثغرة كبيرة بسبب الركود العلمي والجمود الفقهي استغلها النصارى واليهود المتربصون فدسوا على السلاطين العثمانين "قوانين" أو تنظيمات مستمدة من النظم الأوربية أدت إلى دخول الدولة في نفق التبعية للغرب والتقليد الأعمى له، مما سهل بعد ذلك هزيمتها في الميادين السياسية والاقتصادية والثقافية قبل الإجهاز عليها في الميدان الحربي.

**الزاوية الثانية :**

عندما اندثرت الدولة العثمانية، وتفككت أوصالها. وأصبحت نهباً للدول الأوربية والمستعمرة، وانكمشت في رقعة صغيرة في الأناضول، وأمليت عليها شروط قاسية كان الهدف منها استئصال الإسلام والقضاء عليه بشكل نهائي في حياة الإنسان التركي المسلم، قيض الله (عز وجل) للمسلمين الأتراك العالم الرباني المجدد بديع الزمان النورسي الذي وجدت عنده الأمة التركية القيادة لرشيدة والتوجيه السديد، والهمة لتغيير الواقع من سيء إلى أحسن ؛ إذ هو من حملة الشريعة ومن ورثة الأنبياء المؤتمنون على الرسالة، والقائمون بفريضة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وكان بعلمه ومواقفه وسلوكه القدوة الحسنة للناس في تطبيق تعاليم الاسلام في الواقع، حيث ظهر في وقت كانت الدولة العثمانية مقبلة على الانهيار، ودعاة التغريب

---

[30] – محمد رشيد رضا : فاتحة العدد الأول من مجلة المنار، ٢٢ شوال ١٣١٥هـ/١٧ مارس ١٨٩٨. (نقلا عن مجلة المنار الجديد، العدد ١، رمضان ١٤١٨هـ/يناير ١٩٩٨م.

والعلمنة في أوج قوتهم، فتصدى لحركة التنظيمات الغربية، ومن ثم لحركة حزب الاتحاد والترقي التي كان أنصارها يحاربون الإسلام من موقع السلطة.

ومن قبل ساند حركة "الجامعة الإسلامية" في عهد السلطان عبد الحميد بقصد توفير جبهة للصمود في وجه الغرب، لمقاومة التوسع الاوربي والحركات القومية المسيحية التي كانت تهدد دار الإسلام. ودعا بهذا الصدد إلى العودة إلى الإسلام الصحيح[٣١]، والنهل من العلوم الطبيعية.

وقد لقي-بسبب الجهر بآراءه في الدفاع عن الإسلام وعقيدته وشريعته، والثبات عليها، ودعوة جماهير الناس إليها- أصناف المضايقات والمتاعب من اعتقال وسجن ونفي، ومن ثم قضى حياته مشردا ما بين سجن ومنفى.

فحين زجت جمعية الاتحاد والترقي بكثير من العلماء إلى قاعات المحاكم، كان هو من ضمن من سيق إلى المحاكمة، بعد قيام حركة ٣١ مارت (أبريل) سنة ١٩٠٩م (١٣٢٧هـ) في عهد السلطان عبد الحميد.

وفي عام (١٩٣٥م) وجهت إليه الحكومة التركية اتهاما بأنه شكل جمعية سرية ضد النظام، واقتيد إلى محاكمة أسكيشهر، ومنها نفي إلى "قسطموني".

وفي عام ١٣٦٢هـ (١٩٣٤م) قدم للمحاكمة في مدينة "دينزلي" بتهمة : تشكيل جمعية سرية تحرض الشعب على القيام بتمرد ضد الحكومة، وهدم ما قامت به الثورة الكمالية، ووصف مصطفى كمال بأنه دجال وهادم للدين. وقد استمرت محاكمته تسعة أشهر ظل خلالها سجيناً، وانتهت المحاكمة ببراءته، لكنه أجبر على الإقامة في "أميرداغ" وهي منطقة تابعة لمحافظة "أفيون"[٣٢].

---

[٣١] – انظر ص ٨ من هذا البحث.

[٣٢] – محمد حرب : العثمانيون في التاريخ والحضارة،ص ص ٣٤١، ٣٤٣.

وعندما قام الانقلاب العسكري في ١١ يوليو عام ١٩٦٠ في تركيا -وهو الانقلاب الذي قام به الجيش بقيادة جمال كورسيل ضد حكم عدنان مندريس وجلال بيار ورفيق كورلتان والذي أدى إلى إعدام الثلاثة-أمر الانقلابيون الجدد بفتح قبر سعيد النورسي الذي وافته المنية في اورفة في ٢٣ مارس ١٩٦٠م، فأخرجت جثته وأعيد دفنها في أسبرطة. وفي مكان مجهول لايعرفه أحد حتى الآن، دفنت جثة الراشد والمفكر والعالم الرباني المجدد بديع الزمان سعيد النورسي- رحمه الله رحمة واسعة[٣٣].

**الخـاتمـة**

يعدّ بديع الزمان النورسي بحق من الرواد في العمل التجديدي في وقت أحكم فيه الحصار على الإسلام والمسلمين.

**ويتجلى عمله التغييري في :**

- بيان أسباب تأخر المسلمين واستنهاض الأمة الاسلامية لإزالة كل مظاهر التخلف منها:
- تخليص المسلمين من البدع والعادات، وتوطيد العقيدة في نفوسهم والعودة إلى أساس الإيمان
- الدعوة إلى اصلاح التعليم، حيث يعكس كتابه( محاكمات) فكرة الحاجة إلى تجديد جاد في أصول تدريس العوم الإسلامية.
- إقامة الشورى التي تجعل الأجيال تتلاحق في خبراتها وتجاربها
- دعوته أن يتجاوز اهتمام المسلمين علوم الشريعة إلى الاهتمام نفسه في العلوم التجريبية الحديثة، وذلك بالنظر في مستحدثات العصر ووضعها في أطرها التعليمية والتربوية ومن ثم تعميمها في المجتمع.

---

٣٣ - المرجع نفسه، ص ص ٣٤٤-٣٤٥.

ومما لاريب فيه أن عصر بديع الزمان النورسي، كان مليئا بالأزمات والمشاكل والتحديات التي واجهت الإسلام والمسلمين في تركيا، إلا أن بديع الزمان النورسي استطاع - رغم كونه لم يسلم من الاضطهاد السياسي والاعتقال و النفي في عهد الاتحاديين والكماليين- أن ينشر فكره بين الناس بفضل علمه وفطنته وحكمته، فكثر طلابه والمؤمنون بفكره لاسيما وأنه سخر حياته للتربية والتعليم وتثقيف القبائل والعسكائر في شرق تركيا من ناحية و التصدي للتيار الشيوعي والتيار العلماني التغريبي من ناحية ثانية.ودور بديع الزمان النورسي في التغيير يوضح كيف تلتقي السنن الربانية، ومنها سنة اشتراط الجهد البشري وابتلاء بعض الناس ببعض، مع سنة العهد الرباني بنصر أوليائه وإظهار دينة وإن طال امد الابتلاء.

**بسم الله الرحمن الرحيم**

# من معالم التجديد عند النورسي

**د. محسن عبد الحميد استاذ الفكر الإسلامي وتفسير القرآن الكريم بكلية علوم التربية- بغداد- العراق**

درستُ رسائل النور دراسة دقيقة في الأقل مرتين كاملتين، فكتبتُ في ضوئهما كتابي "النورسي متكلم العصر الحديث"[٣٤] وقدمت لكتاب النورسي النفيس "الآية الكبرى" ولكتابه القيم "إشارات الإعجاز" وألقيت محاضرات علمية عنه وعن أفكاره وعصره في أقسام الدراسات العليا في كلية الآداب بالرباط وكلية العلوم الإسلامية في جامعة بغداد، واستمعت إلى البحوث العلمية المتنوعة التي القيت في مؤتمري فكر النورسي في اسطنبول عام ١٩٩٥ وعام ١٩٩٨م ثم قرأت كتباً وابحاثاً حوله كتبت في العراق وغير العراق، فتحصل عندي أن الامام النورسي من أكابر المجددين، ليس في العصر الحديث فحسب، بل في تاريخ الإسلام كله، ولاسيما في عصرنا، عصر الفتن الكبرى، وعصر النكبة والهلاك

[٣٤] – صدر في القاهرة عام ١٩٩٥م.

عصر نهاية التراجع الحضاري الإسلامي، عصر سيطرة الغرب على توجيه الحركة الحضارية في العالم الإسلامي، مباشرة أو غير مباشرة، عصر التمزق والهزيمة الكبرى للمسلمين أمام النظام السياسي والعسكري والحضاري الغربي، عصر تأسيس دولة اليهود الباغية العدوانية في قلب العالم الإسلامي المقدس "فلسطين" عصر اعلان اللادينيات المختلفة في أنحاء العالم الإسلامي كله.

لقد كان الإمام سعيد النورسي إبن زمنه البار، استوعب الأفكار، واستخلص العبر، وتعمق في فهم المأساة، وعرف طرق الإفساد، وأطلع على أسباب التمزق والفرقة، وراقب مسرحية الانتقال الخبيث من المنظومة الإسلامية إلى المنظومة الغربية اليهودية الصليبية الإلحادية، مع تفهم حقيقة المرحلة، وطبيعة المؤامرة، وتطور الأحداث في تركيا والعالم الإسلامي برمته. فكان ذلك المجدد الذي عبر عن عصره، تعبيرا شموليا متوازنا ابتداء بنمط شخصيته، وانتهاء بالمخطط المتكامل الذكى في الوسيلة والغاية التي اتبعها، من خلال مادته المعرفية العلمية الغزيرة، لإحداث هزة عنيفة عميقة في كينونة الإنسان مسلما أو غير مسلم، في عقله وقلبه وروحه ونفسه.

أما نمط شخصيته فهو شخصية فريدة في تربيته ونظافته، وذكائه الخارق وصلابته وعزته وأنفته وتوكله ورضائه وزهده.

وأما شخصيته في كشف الوجود وأعماقه، وتذوقه لجماله الباهر وجلاله الأخاذ، في دائرة الطاقة البشرية، فهي عبقرية تقترب من نهايات الولاية العظمى في مستويات الأولياء العظام من غير الأنبياء والمرسلين. أي أنه شخصية ذابت في حب الكون وما فيه من مخلوقات الله سبحانه تعالى، التي تدل على توحيد الخالق، وعظمة وقداسة أسمائه الحسنى التي أنارت الوجود من الذرات إلى المجرات. وبمقابلة ذلك الحب العظيم فإنه شخصية صمدت بكراهية حاسمة بوجه قوى الشر الشيطاني، التي تقود ظلام الشرك المطلق في هذا العصر.

أما مادته المعرفية التي كان يمتلكها، فقد دفعته إلى أن يعالج بنفسه كل جزئية من جزئيات الإنحراف في المجتمع الإسلامي والإنساني على السواء، كي يعيدها الى الفطرة والتوازن والعبودية الخالصة لرب العالمين، والإبتعاد النهائي، ولو معرفياً، عن موكب الشرك والمشركين بقيادة الشيطان الرجيم وأوليائه المتآمرين على فطرة الوجود من الإنس والجن.

وقارئ رسائل النور يدرك هذا تمام الإدراك، ويستطيع أن يميز مؤلفها الإمام النورسي عن بقية المجددين في زمانه، كالأفغاني ومحمد عبده ومحمد إقبال وحسن البنا وعبد الحميد بن باديس رحمهم الله تعالى.

فهؤلاء لم تلجئهم ظروفهم الزمانية والمكانية إلى معالجة كل جزئية من جزئيات الإسلام بأدلتها التفصيلية وقواعدها المنطقية، ولاردوا كل الشبهات المثارة في زمانهم حول الإسلام، ولادخلوا في صراع فكري تفصيلي مع الكفر، وإنما حددوا المنهج والتوجه والحركة، وبينوا أسس الفكر الإسلامي الحديث، وتركوا لأتباعهم الكثيرين القيام بمثل تلك الدراسات والمواجهات والمعالجات.

بينما الظروف "الزمكانية" للشيخ النورسي جعلت منه فارس الميدان الوحيد بحيث ملأ مجتمعه علماً وتوجيهاً ومعالجة ومعارك فكرية، استعمل فيها عبقريته العلمية، ومادته المعرفية، وخصص لها كل ما أوتي من الفكر والحكمة والشجاعة والإقدام.

ولاشك ان عزلته ووحدته وسجنه والإقامات الجبرية الدائمة التي فرضت عليه، كانت سببا مهما من أسباب هذا التوجه والتي نقت قلبه وصفت فكره، وأدمجته بأعماق الوجود الكوني والإنساني.

**أما مخططه المتكامل فيظهر من معالم التجديد الآتية في حياة النورسي :**

* انه تلميذ أمين من تلامذة القرآن الكريم، لا يتبع التجربة الصوفية الضيقة، ذات النفق الواحد، حتى في قمة صفائهان ولايعدها مصدرا مناسبا من مصادر المعرفة التي يمكن

ان تواجه إكتساح الحضارة الغربية المادية المعاصرة لحياة ملة الإسلام والإنسانية فالعصر ليس عصر التصوف وانما هو عصر إنقاذ الإيمان والإسلام٣٥.

ولايتبع فهم الفلاسفة الذين يسلمون انفسهم للعقل وحده، فيتيهون عبر طرق ملتوية في جبال وعرة، وانما يذهب إلى النبع الصافي مباشرة، ويأخذ معه الجيل كله، ليشربوا من الماء الصافي النمير بلا كدورة الأرض ولا المواد المختلطة بها عبر التضاريس المتنوعة٣٦.

ويرفض منهج المتكلمين السابقين الذين كتبوا لعصر غير عصره، من حيث المعالجة والمواجهة وطبيعة المادة المعرفية، وانما يستقي أدلته من عالم الأنفس والآفاق على أصول العقائد الإسلامية٣٧.

يقول النورسي :"فطريق المعراج القرآني الذي يعلنه ببلاغته المعجزة، لايوازيه طريق في الإستقامة والشمول، فهو أقصر طريق واوضحه وأقربه الى الله وأشمله لبنى الإنسان ونحن قد اخترنا هذا الطريق"٣٨.

ومن الجدير بالذكر ان منهج النورسي هذا لايصطدم مع أي منهج من تلك المناهج مباشرة، وانما يستطيع صاحب كل طريق الإستفادة منه، من خلال عرض منهجه المتفرد.

وهو لاينقل لهم في منهجه ذلك علما مصطلحيا محدودا، وانما ينقل لهم كيانه القرآني في تجربة كونية معرفية خصبة جدا، فانية في القرآن الكريم، ليقدم من خلالها مشاعره المتأججة وآلامه المحرقة، حتى يهتاجوا كما اهتاج هو، ليحصل لهم اندماج رباني كامل في الوجود، من اجل إعادتهم إلى صف العابدين لخالق الكون ومبدع الوجود.

---

٣٥ – الكلمات : ٢٣٩.

٣٦ –

٣٧ – انظر كتابي "النورسي متكلم العصر الحديث "ص ١١٠ وما بعدها.

٣٨ – صيقل الإسلام –المحاكمات ص ١٢٢.

لقد أراد النورسي ان يدفع المسلمين الى قلب القرآن في إطار الصراع الحضاري المعاصر، من خلال تفسير شهودي لكتاب الله سبحانه وتعالى. يشمل ثلاث قراءات متطابقة :

قراءة الكون الرحيب من خلال تجليات أسماء الله الحسنى،

وقراءة القرآن الكريم في ضوء تلك القراءة،

وقراءة سيرة الرسول العظيم ص، حتى يستطيع ان يعيش مع أرقى نموذج مخلوق بعثه الله تعالى قدوة أعلى ومثلا واقعيا للكائن الحي في عوالم الإمكان.

وفي ذلك، كان النورسي صاحب ادارك عميق بحقيقة تجديد الإسلام، في هذا العصر

إنه مجدد حقا، لأنه لايدعو إلى النكوص إلى الوراء، ولا سحب التاريخ الماضي بتفاصيله إلى الزمن الجديد، وانما يؤمن ان الفكر الإسلامي بروافده يمكن أن يتجدد في هذا العصر، وفي كل عصر قادم، حسب المستوى الحضاري الذي وصل إليه.

لقد هضم النورسي المعارف الإسلامية بأدق أجزائها، والمعارف الكونية العلمية بتفاصيلها، ولم يعرضها كما يعرضها العلماء التقليديون، ولكنه تسلسل بجزئياتها خلف قراءاته الثلاث، ليخرج للجيل نمطاً من الحديث يدخل في كينونة الإنسان بسهولة ويسر، من أجل انتشاله من وهدة الإلحاد والمادية واللادينية إلى سوح الإيمان الرحب والشريعة السمحة والقيم المنبثقة من الصفات الإلهية.

لقد دفعت الظروف القاسية التي أحاطت بالنورسي ومجتمعه، تلك التي أراد فيها أعداء الإسلام فرض الإلحاد واللادينية بقوة التصفيات الجسدية الجماعية والاعلام الوحيد الكذوب والثقافة المخزية ذات البعد المظلم على الناس، إلى اتجاه معرفي كلامي جديد. وهو ايجاد علم كلام جديد، ينقل من خلال علم التوحيد من نظريات عقلية مجردة ومناقشات منطقية جافة إلى أسلوب جديد يصوغ حياة المسلم صياغة ربانية، تقود إلى المعنى الحقيقي للتوحيد بكماله من حيث هو خالق ومعبود وحاكم مطلق في الوجود.

لقد استطاع النورسي ان يحدد المشاكل الكبرى في حياة الأمة الإسلامية والانسانية، فعالجها معالجة قرآنية من خلال أدلتها التفصيلية العقلية الفطرية، فحول عقيدة التوحيد بذلك إلى حياة مفعمة بمعاني الإخلاص والاستقامة والتضحية والسلوك والتربية الجماعية، فنجح نجاحا باهرا في إلحاق الهزيمة باللادينية في نفوس ملايين من الناس في تركيا في زمانه، وفي العالم بأسره بعد وفاته، عندما ترجمت رسائله إلى لغات العالم الحية، فبدأت تغزو العقول والقلوب ليتوجه بها إلى رب العالمين، ويعيد الخطاب في المجتمع الإسلامي والإنساني إلى الله تعالى بعد ان حوله الملاحدة واللادينيون في العصور الأخيرة إلى الإنسان وحده.

إذن كان النورسي يعمل في العصر بتخطيط وعلم وقدرة وذكاء، ولم يكن ككثير من علماء زمانه يعيش في متحف التاريخ.

والآن لنعرض قضايا تفصيلية من خطته في تجديد الحياة الإسلامية في تركيا والعالم الإسلامي، وإنقاذ الإيمان الإنساني وانتزاعه بالبرهان العلمي والعقلي من بين براثن المادية التي كانت تجتاح العالم يومئذ.

* يعتقد النورسي ان التغيير الشامل في الحياة الإسلامية، لابد أن يبدأ من البنى التحتية ؛ المعنوية منها والمادية، وليس بوصفات مؤقتة لملأ الثغرات الخطيرة في البنيان الفوقي، أي إن التجديد يجب أن يدخل في الخلايا العميقة حتى تسترجع الأمة عافيتها. فاللادينيون ما تمكنوا من المجتمع التركي إلا من خلال فراغ داخلي في الأعماق. يظهر ذلك في ضعف الدين، وانحراف العقل وخواء الروح واضطراب الأحوال والهزائم النفسية.

وكان النورسي على يقين تام ان اصلاح الأعماق سيؤدي إلى وحدة العقيدة ووحدة الأفكار، ووحدة الصف ووحدة القلب ويقظة العقل، واستقرار الأحوال، وهو الذي سيحض المسلمين ويوقظهم امام الحضارة الغربية التي اتهم بعقيدة جديدة وافكار جديدة[٣٩].

---

[٣٩] – صقيل الإسلام–

وهـذا المـنهج هـو الكفيـل بـإخراج المسـلمين مـن المنظومـة الإلحاديـة الماديـة إلـى المنظومـة الإيمانيـة الإسـلامية بمعناهـا الشـامل، وهـو مـنهج الإسـلام وطريقـه، وهـو مـنهج وطريق مستقل عن الوجود والحياة، يختلف اختلافا جذريا عن مناهج المادية والروحية الكنسية.

وفي سبيل النجاح الأكيد في هذا الحوار الحضاري، واجه النورسي الحضارة الغربية في مواجهتها للاسلام والقيم الدينية والأخلاقية مواجهة تفصيلية. فالقضايا التي أثارتها الحضارة الغربية أجاب عنها، وأظهر بأدلة واضحة ان الإسلام عقيدة وشريعة وسلوكا، كان أعمق في معالجاته لتلك القضايا وأقرب إلى الفطرة الإنسانية وأكثر انسجاما مع قوانين الحياة.

ونجاح النورسي في هذا الحوار ينطلق من أن رسائله النورية، سلكت مسلك الحوار، مع النفس والعقل والروح والقلب، ومع الآخرين من البشر على اختلاف اديانهم، بل الدخول في الحوار مع الوجودكله، من الذرة إلى المجرة إلى الكون كله.

وقد يقول قائل كيف يدخل النورسى في الحوار العقلي مع الغير وهو ينكر الفلسفة أساسا؟.

نقول : إذا نظر القارئ نظرة سطحية تجزيئية إلى ما كتبه النورسي حول الفلسفة، قد يأخذه ظاهرة عبارته العامةإلى تأكيد معاداة المنهج الفلسفي. بينما إذا قرأ ما كتبه الأستاذ بدقة في رسائله حول الفلسفة، توضح أمامه الأمر، لإنه لايرفض المنهج الفلسفي مطلقا، وإنما هو يقسم الفلسفة إلى قسمين، قسم يعده فلسفة مؤمنة صاحلة تتفق مع حقائق القرآن الكريم، فهذا لايرفضه الأستاذ. وكيف يرفض النورسي الفلسفة الصحيحة، وهو الذي ملأ

رسائله بالأدلة المنطقية، وأدلة العلم التجريبي في إثبات حقائق القرآن الكريم والسنة النبوية، فجعل بذلك الحس والعقل مصدرين مهمين من مصادر المعرفة في الوجود[٤٠].

وأما الجانب الآخر من أفكاره التجديدية، فهو دمجه لأنصبة البشر من اسماء الله الحسنى في الصراع الحضاري المعاصر في العالم الإسلامي لاستخلاص المبادئ الأساسية، والشروط الواجبة للنجاح المضمون في عملية انقاذ المسلمين من براثن المادية المعاصرة وبنائه على جزئيات تجليات تلك الأسماء المقدسة في الوجود. انني استطيع ان أجزم ان النورسي بني رسائله كلها على تلك التجليات. من خلال قراءته للكون، لأنه انطلق من الاقتناع الكامل بأن الله تعالى ماذكر في القرآن الكريم أسماءه الحسنى، إلا لكي يأخذ الإنسان منها نصيبه في إطار بشريته، سواء في مجاله الفردي أم في بنائه الاجتماعي. إنه لم يبين تلك كما فعل ذلك الإمام الغزالي رحمه الله في كتابه النفيس "المقصد الأسنى في شرح أسماء الله الحسنى" وانما أدمجها في تفاصيل الصراعات الحضارية بين الإسلام وغيره من المبادئ والأفكار، منبها إلى ان الإنسان ابتداءا من أسرار نفسه وأعماق حياته إلى جزئيات الكون الواسع إن لم يتلق معاني تلك الأسماء في حياته لتنورها، فإنه سيعيش في الفساد المطلق والشرك المطلق والمادية المطلقة.

ومن هنا نجد أنه يعالج قضايا العقيدة والشريعة والأخلاق وتفاصيل النظام الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والعسكري والتربوي وغيرها، في ظل مقدار التمثل لتجليات تلك الأسماء المباركة، لأن الكون في فطرته، ومن خلال كل خلية من خلالياه، يسير في ضوء تلك التجليات، وبدونها قط لاتقوم للكون والانسان والوجود قائمة. لأن الموجودات كلها إنما هي مظاهر لتلك التجليات، بحيث لاتدع مجالا للغفلة، بل تكسب متأملها مرتبة واسعة من الاطمئنان بسعة الكون، وتفتح أمامه عبودية واسعة ودائمية سعة

---

[٤٠] – كان بحثي الذي قدمته إلى المؤتمر العالمي لفكر النورسي في اسطنبول الذي عقد في ايلول ١٩٩٨ بعنوان "مصادر المعرفة في القرآن الكريم من خلال رسائل النور".

الكون كله. وهذه الروحانية الوجدانية من جهة أرقى للحصول على الطمأنينة من بعض أرباب الطرق الصوفية الذين وصلوا إلى الفناء بإنكار الكائنات أو نسيانها. ومن جهة أخرى فإنه اقصر طريق في الوصول إلى الخالق العظيم، لأن هذه الأسماء متعاضدة تتجلى في إحداث وإنارة كل ذرة من ذرات الوجود.

فكل اسم له فعل في جانب، فقد تشترك صفات القهر والرحمة والعدل والحكيم والحفظ في تنوير وجود فعل لايمكن ان يفسر إلا عند من يتصف بتلك الأسماء، وليس هناك في الوجود من يتصف بشمولية تلك الأسماء الحسنى وعملها المتوازن في تنسيق كامل إلا الله سبحانه وتعالى الخالق[41].

* وهنالك ناحية أخرى تجديدية، يتسم بها المنهج النوري، وهو تجديده في اسلوب الدعوة إلى الله تعالى، وهو عدم الدخول في تصادمات وصراعات داخلية مع التيارات الإسلامية الأخرى وتوجيه الجهود الدعوية كلها إلى الجاهلية المعاصرة، التي كانت تتمثل في زمانه بحركة الزندقة اللادينية التي فرضها الطغاة بقوة الحديد والنار على المجتمع التركى، بل ان معرفة طبيعة العصر جعلته ألا يتخذ موقفا معاديا دعويا أو سياسيا معينا تجاه الدعوات والجماعات السياسية الأخرى، بل وجه اليهم الدعوة جميعا، لأنهم في رأيه يدخلون جميعا في دائرة ملة الإسلام، على الرغم من أخطائهم المنهجية وانحرافاتهم السياسية[42].

ومن هذا المنطلق، فإنه قط لم يدع الى الثأر للنفس على الرغم من الظلم الذي تعرض له هو طلابه وإنما كان يدعو للإسلام في هذا العصر، والتأثر لا يكون بالقوة والغضب، وانما يكون بالحكمة والشفقة والر حمة وتبليغ دعوة الإسلام وانقاذ الايمان.

---

[41] – الكلمات ٢٩٠، ٧٤٩.

[42] – الشعاعات : ٤٢٤.

ومن المعلوم ان انقاذ الإيمان عند النورسي يعني انقاذ الإسلام من حيث هو كل لايتجزأ من مخططات الملاحدة والعلمانيين.

يقول النورسي موجها طلابه إلى هذه المسألة الخطيرة في الدعوة الايجابية:"إن واجبنا نحوهم طلب الهداية لهم فحسب، فلا يرد في قلب أي طالب من طلاب النور الثأر ولو بمقدار ذرة، بل أوصيهم دائما مقابل ما لا قوه من العنت الثبات في خدمة رسائل والوفاء بها"[٤٣].

وانطلاقا من منهج دعوته "حسن الظن اساس بالنسبة إلى المسلمين" اجتنب عن تكفير أحد حيث يقول :

"إن من يعرف "سعيد" عن كثب يعلم أنه يتجنب تكفير الآخرين تجنبا شديداً ما استطاع إلى ذلك سبيلا، بل يحاول أن يجد تأويلا حتى لو رأئ كفرا بواحا:١١).

ومن جهة اخرى فإن دعوة النورسي قامت على أساس إنكار الذات والتواضع، والإخلاص وعدم اللهاث وراء الشهرة وحظوظ النفس وراء الدنيا والدعوة بالحسنى وعدم الاخلال بالمحبة والوحدة. وعدم تضييع الوقت بالجدل والنقاش الفارغ، والاشتغال بالاصول ثم التدرج إلى الفروع، والحركة إلى الامام دائما وعدم الفتور وعدم الاشتغال إلا بقضية الإسلام المركزية والصبر على المصائب، ومحاولة تكوين وضع اجتماعي آمن واجتناب السياسات اليومية الفاسدة.

ولقد ربى النورسي في مجال الدعوة طلابه على الأمل بدل اليأس والتبشير بدل التنفير أساسا لها.

إنه يشبه مخافة الله بلجوء طفل إلى حضن أمه المليئ بالشفقة. وهذه الخاصية استنبطها من اسماء الله تعالى، الرحمن، الرحيم، الرؤوف.

---

[٤٣] – المصدر السابق ص ١٣٥.

والدين عند النورسي شيء طاهر ونظيف ولايجوز استخدامه بزعم مصلحة الدعوة بشيء سيء أبداً. أنه لابد أن يبقى صافيا طاهرا بعيدا عن الحقد والمذهبية والطائفية والسياسات الآنية، كي ينهل منه الشاردون، ويرجع اليه الضالون، ويتضلع منه المؤمنون، كل على قدر حاجته، وماقدر الله له.

* وهناك جانب آخر من الحركة التجديدية لهذا الشيخ الجديد وهو إنقاذ الجيل من براثن المتصوفة المنحرفين، الذين قادوا الأجيال إلى الركون والسكون تحت مظلة السير إلى الله تعالى بلا عودة، بينما السابقون من الأولياء الربانيين كانوا يسلكون الطريق إلى الله من أجل العودة إلى الأرض، وهم أكثر ايمانا وقوة وعزما واقداما في القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر.

نعم اثبت النورسي للجيل المثقف الحالي والقادم أن العصر ليس عصر التصوف، حتى في قمة صفائه، لأن التصوف تجربة ذاتية وليست دعوة اجتماعية، ولايستطيع أن يقود حملة الصراع الحضاري الاسلامي مع عوامل النكوص والانحراف ومع هجمة اللادينية المادية الحديثة والزندقة الآتية من الغرب الكافر.

يقول النورسي :"لقد كنت أقول ان هذا الزمان ليس زمان الطريقة فالبدع تحول دون ذلك، مفكرا في حقائق الإيمان وحدها. ولكن الزمان اظهر انه يلزم لكل صاحب طريقة بل الالزام له ان يدخل دائرة رسائل النور التي هي اوسع الطرق".

لماذا؟ يجيب الاستاذ :

"إن اخطر شيء في هذا الزمان هو الالحاد والزندقة والفوضى والاوهام وليس تجاه هذه المخاطر إلا الاعتصام بحقائق القرآن الكريم"[٤٤].

[٤٤] – الملاحق ص ٣٤٤.

وموقف النورسي من التصوف واضح في رفضه لمدارج السالكين الطويلة ولنظريات وحدة الوجود ووحدة الشهود والحلول وتقديس المشايخ، والرجوع إلى اوراد السنة النبوية الشريفة[٤٥].

* ومن معالم النورسي التجديدية، أنه ركز على وحدة المجتمع الاسلامي، وعارض الاخلال بنظامه الداخلي، واستعمال العنف في سبيل زعزعة أركانه، تحت مظلة اعلان الجهاد على الكافرين اللادينيين. وأكد ان الجهاد في الشريعة لايوجه إلى المسلمين داخل العالم الإسلامي، وانما يوجه إلى العالم الخارجي.

أما في داخل العالم الاسلامي فإن الجهاد يكون جهاد دعوة وعلم وبذل ونصيحة لإعادة المسلمين إلى حظيرة الاسلامي حسب قانون التدرج الكوني[٤٦].

إن الحرب التدميرية داخل العالم الإسلامي يؤدي إلى قتل المسلمين بعضهم لبعض، وينتهي إلى سلب الاستقرار من العالم الاسلامي، فيعيق بذلك نهضته العلمية والعمرانية التي هي مقدمة مهمة لتقدم العالم الإسلامي وهذا التخريب لايستفيد منه غير الاعداء الكافرين على المدى البعيد.

يقول النورسي :"إن من يشق طريقا في الحياة الاجتماعية ويؤسس حركة لايستثمر مساعيه ولن يكون النجاح حليفه، ما لم تكن الحركة منسجمة مع القوانين الفطرية التي تحكم الكون، بل تكون جميع اعماله لأجل التخريب والشر"[٤٧]

والحق ان هذه السياسة الحركية قد انتجت ثمارا يانعة في تركيا، إذ في ظلها انتشرت رسائل النور، وغزت العقول والقلوب وانتهت إلى جهاد معنوي كبير وشامل انتهت إلى تكوين جيل مؤمن انطلق في المجتمع ينشر حقائق الإسلام بالتلمذة على رسائل النور في المدارس ودورات تحفيظ القرآن والمدارس الابتدائية والثانوية والجامعات والمؤسسات

---

[٤٥] – الملاحق– قسطموني ٢٠٨.

[٤٦] – اللمعات–اللمعة الثلاثون– ولاسيما النكتة الخاصة باسم "الحكيم".

[٤٧] – اللمعات ص ١٦٠.

الثقافية والعلمية، بالنظر أو الاستماع إلى الإذاعات المرئية والمسموعة وقراءة الجرائد اليومية السياسية والعلمية والمتخصصة في شؤون الحياة المختلفة.

بينما لو ان النورسي واجه السلطة يومئذ بالتحدى والعنف، لكان يواجه بالعنف والتصفية الجماعية له ولمن يسير معه، واستمرت المحنة زمنا طويلا، ولم نكن نرى تلك النتائج الباهرة التي ذكرناها قبل قليل.

* وهناك جانب تجديدي مهم في دعوة النورسي الاسلامية في تركيا. وهو تأكيده على ان الصراع بين العالم الإسلامي والعالم الغربي اليوم، ليس صراع القوة والسيف. لأن الإفلاس الغربي الفكري سيولد فراغا هائلا في الغرب. ومن هنا فإن جهاد المسلمين للعالم الغربي يجب أن يكون جهاد فكر وشرح لحقيقة الإسلام لهم. والدليل على ذلك أن طلائع دخول الغرب للإسلام قد ظهرت، لكون الصراع في هذا الزمان ليس صراع قوة، وإنما هو صراع ثقافي وفكري. أي أن المسلمين عليهم أن يواجهوا الغرب بسيف القرآن، إذا ارادوا هداية شعوبه إلى نور الإسلام.

والحق ان ادراك النورسي السديد لحقيقة الصراع المستقبلي بين المسلم والعالم دفعه إلى توجيه رسائله ليس إلى المسلمين فقط، وإنما إلى الإنسان في أي مكان من حيث العموم. فقد عرض الإسلام ومشكلات العالم الإسلامي، لاسيما الصراع بين الإيمان والكفر وكأنها مشكلات الانسانية جميعها.

**أجل كانت دعوة النورسي موجهة الى الغرب والإنسانية ايضا لأنه :**

- يثبت الإيمان عن طريق نتائج العلم الذي يفهمه الغربيون.
- وينقد مساوئ الحياة الغربية ومناوأتها للدين.
- ويرد على الاعتراضات الفكرية ضد الدين والتي خرجت أساسا من الغرب.
- ويضع نظما فكرية في المجالات التي يفهمها الغربيون.[٤٨]

---

[٤٨] – الدعوة والارشاد في الغرب–سعيد ابراهيم – بحث ضمن المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي ص ١٨٥.

* ومن معالم التجديد في حياة النورسي، اهتمامه الكبير بالتوجه العلمي والتقني للأمة وبالسير على نظام اقتصادي متوازن، من أجل الوصول إلى البناء السليم للأمة واعلاء كلمة الله سبحانه وتعالى. فالإسلام بأمس الحاجة إلى اعلاء كلمة الله، ليس بالكلام فحسب، وانما بصياغة حياة الأمة الإسلامية صياغة ربانية في ظل طاعة الله. ولاتستطيع الأمة المحافظة على عزة الإسلام واعلاء كلمة الله، إلا بأن تعيد بناءها العلمي والتقني والصناعة التخصصية، بتحكيم دستور تقسيم العمل وإبعاد العشوائية والفوضى من حياتها.

وأما في مجال الاقتصاد، فإن النورسي يقدم مخططا دقيقا وعميقا لإيصال الأمة إلى نظام اقتصادي متوازن، من الممكن ان نسميه بـ"اقتصاد القناعة" مع الحركة الدائبة في الحياة والاشتغال بالحرف التي توافق قابليات واستعدادات الناس[٤٩].

هذه بكثير من الاجمال والاختصار، هي معالم فكر النورسي التجديدي. قادها منهج اصولي شمولي عصري، متكامل متوازن، مع قدرة ذاتية فائقة في التخطيط والحركة والاجتهاد، مستندة إلى فهم عميق لأصول الاسلام وفروعه ومعركة ذكية بتطور الزمان العالمي، وملامح عصره ومجتمعه ومشكلاته المستعصية، وكيفية علاجها بالتلمذة على القرآن الكريم ثم الرسول الأعظم( ص) ثم قراءة الكون بقدرة سريانية عجيبة حتى أبعد خلية مدركة فيه.

---

[٤٩] – راجع البحث القيم "المنهج العوفي وإعلاء كلمة الله عند بديع الزمان"للدكتور بنيامين دوران، ضمن ابحاث المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي.

**المصـــادر :**

١- الكلمـات - سـعيد النورسـي-ترجمة/احسـان قاسـم الصـالحي-الأولـى ١٤١٢ هـ/١٩٩٢م - دار سوزلز للنشر-اسطنبول.

٢- المكتوبـات - سـعيد النورسـي-ترجمة/احسـان قاسـم الصـالحي-الأولـى ١٤١٣ هـ/١٩٩٢م - دار سوزلز للنشر-اسطنبول.

٣- اللمعـات - سـعيد النورسـي-ترجمة/احسـان قاسـم الصـالحي-الأولـى ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م - دار سوزلز للنشر-اسطنبول.

٤- الشـعاعات - سـعيد النورسـي-ترجمة/احسـان قاسـم الصـالحي-الأولـى ١٤١٣ هـ/١٩٩٣م - دار سوزلز للنشر-اسطنبول

٥- الملاحـق - سـعيد النورسـي-ترجمة/احسـان قاسـم الصـالحي-الأولـى ١٤١٥ هـ/١٩٩٥م - دار سوزلز للنشر-اسطنبول.

٦- صيقل الاسلام - سعيد النورسي-ترجمة/احسان قاسم الصالحي-الأولى ١٤١٦ هـ/١٩٩٥م

٧- المؤتمر العالمي الثالث لبديع الزمان سعيد النورسي-تجديد الفكر الإسلامي في القرن العشرين -الأولى-اسطنبول-دار نسل.

٨- النورسي متكلم العصر الحديث للدكتور محسن عبد الحميد-الأولى-القاهرة ١٩٩٥م.

## "الطريق إلى اليقين عند النورسي"

**ذ : عائشة الهلالي**

**أستاذة الحديث والتفسير بكلية**

**الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط.**

الحضور الكريم : السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، نجتمع اليوم في ضيافة تغني فيها القرائح عن البطون، ونرحب بمن قطعوا إلينا كيلومترات وكيلومترات وجاءوا تطبيقا لحديث رسول الله صلى الله عليه وسلم ( من سلك طريقا يلتمس فيه علما يسر الله له به طريقا إلى الجنة) ، فنسأل الله أن ييسر لإخواننا القادمين من بعيد : الطريق إلى الجنة، ونسأله كذلك أن يجعلنا من أهل الجنة آمين.

اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن، اللهم اجعل في أبصارنا نورا واجعل في أسماعنا نورا واجعل عن أيماننا نورا واجعل عن شمائلنا نورا ومن خلفنا نورا واعظم لنا نورا واجعل لنا نورا يارب العالمين.

انطلق الأستاذ رحمه الله من يقينيات القرآن الكريم، ليحدثنا عن موضوع اليقين ولا شك أن موضوع اليقين من القضايا الأساسية، ويكفي لذلك أن نعرف قول ابن مسعود رضي الله تعالى عنه : ( اليقين : الإيمان كله) . "وإذا تزوج اليقين بالصبر أعطى الإمامة في الدين." وقد جمع النورسي رحمه الله بين اليقين وبين الصبر فكانت له الإمامة في الدين. إذا رجعنا إلى القرآن الكريم سنجد بأن كلمة اليقين وردت في خمسة أوجه : وجه التصديق، ووجه الموت، ووجه العيان، ووجه العلم اليقين، ووجه الصدق.

أريد -إن شاء الله تعالى- أن انطلق من : قول ابن مسعود رضي الله عنه ومن هذه الوجوه القرآنية الخمسة لأنظر إلى جهود الأستاذ سعيد النورسي -رحمه الله- لأعرف جهوده في موضوع اليقين.

لاشك أن هذه الجهود التي بذلها الأستاذ في كليات رسائل النور،كانت جهودا مهمة جدا، حيث أنها بلغت عنده حد اليقين، وقد اختبرها في بناء نفسه وإقامة كيانه المنقض، قبل اختبار فاعليتها على مسح جرحات روحه ورزق انشقاقات وجدانه.

من أبرز القضايا التي وردت في كليات رسائل النور : قضية الإيمان وقضاياه الغيبية بعد الموت، وخصوصا منزلة اليقين.

I- وإذا رجعنا إلى ابن القيم رحمه الله نجده : يصف اليقين بأنه روح أعمال القلوب التي هي أرواح أعمال الجوارح، ومتى وصل اليقين إلى القلب امتلأ نورا وإشراقا، وانتفى عنه كل شك وريب وسخط وهم وغم، فامتلأ محبة إن لله وخوفا منه ورضابه وشكرا وتوكلا إليه وإنابة عليه، فهو مادة مقامات السائر في طريق الله سبحانه وتعالى والحامد له.

في هذه الكلمة القصيرة أحاول أن اقدم اليقين والطريق إليه من خلال رسائل النور، ولكن ما ان عزمت على انتخاب أهم ما يمكن أن يقال فوجئت بكثرة القضايا الداخلة في هذا الموضوع، فصار حالي مثل حال الرجل الذي خرج للصيد فخرج عليه الظباء من اليمين ومن اليسار ومن الأمام ومن الخلف فقال : تكاثرت الضباء على خراش فما يدري خراش ما يعيد ولكن ما لا يدرك كله لايترك جله.

**أقول وبالله التوفيق :**

أولا نقف عند مصطلح اليقين فنجد بأن اليقين عند النورسي هو الإيمان التحقيقي وليس الإيمان التقليدي الذي لايثبت للشبهات والأوهام، أما الإيمان التحقيقي فهو أوسع مدى وأشمل وأمتن.

**- مراتب اليقين عند النورسي: مراتب اليقين عند النورسي كثيرة جدا وأبرزها:**

١ - مرتبة علم اليقين : وهي مرتبة تقاوم الشبهات المهاجمة بقوة ما فيها من براهين.

٢ - مرتبة عين اليقين : وتضم مراتب كثيرة جدا، بل لها مظاهر بعدد الأسماء الإلهية حتى تجعل الكون يتلو آيات الله.

٣ - مرتبة حق اليقين : وهي مرتبة لها مراتب كثيرة جدا وصاحب هذه المرتبة هو صاحب الإيمان الذي لاتنال منه جيوش الشبهات إذ هاجمته.

بعد أن عرفنا مراتب اليقين، ماهي الطريق إلى اليقين التي يصفها لنا الأستاذ رحمه الله.

يقول الأستاذ سعيد : أقرب طريق إلى الله،للوصول إلى الله سبحانه طرائق كثيرة وسبل عديدة ومورد جميع الطرق الحقة ومنهل السبل الصائبة هو القرآن الكريم. لاشك أن الطرق كثيرة لكن المورد والمنهل هو القرآن الكريم، إلا أن بعض هذه الطرق أقرب من بعض وأسلم وأعم. يقول الأستاذ النورسي : ولقد استفدت من فيض القرآن الكريم بالرغم من فهمي القاصر طريقا قصيرا وسبيلا سويا.. سأذكر الآن هذا الطريق الذي ذكره الأستاذ.

طريق العجز، طريق الفقر٬ طريق الشفقة، التفكر، يقول الأستاذ : نعم، إن العجز كالعشق طريق موصل إلى الله بل اقرب وأسلم إذ هو يوصل إلى المحبوبية بطريق العبودية، والفقر مثله يوصل إلى اسم الله " **الرحمان**" وكذلك الشفقة كالعشق موصلة إلى الله إلا أنها أنفذ منه في السير وأوسع مدى إذ هي توصل إلى إسم الله "**الرحيم**"، والتفكر ايضا كالعشق إلا أنه أغنى منه وأسطع نورا وأرجى سبيلا إذ هو يوصل السالك إلى اسم الله الحكيم، ويصف الأستاذ النورسي هذا الطريق ذي الخطوات الأربع بأنه حقيقة شرعية أكثر مما هو طريقة صوفية فلا يقصد بالعجز والفقر: التقصير، وإنما هو إظهار ذلك أمام الله سبحانه وتعالى وليس إظهاره أمام الناس فالفقر هنا الإفتقار إلى الله سبحانه وتعالى وليس الإفتقار

إلى الناس، أما أوراد هذا الطريق وأذكاره : يقول الأستاذ رحمه الله :" فتنحصر في اتباع السنة النبوية والعمل بالفرائض ولاسيما إقامة الصلاة باعتدال الأركان والعمل بالأذكار عقبها وترك الكبائر " أما منابع هذه الخطوات من القرآن الكريم فيقول الأستاذ : كل خطوة من هذه الخطوات يأتي لها بمنبع لأنه في البداية قال : مورد ومنهل كأننا أمام منبع من الماء إذن سيعطينا منابع هذه الخطوات التي تحدث عنها في القرآن الكريم : ومع الأسف الشديد، لايسمح الوقت، لكي أذكر تفصيل هذه المنابع، ولكن سأذكر الآيات الكريمة التي أحال عليها الأستاذ رحمه الله :

قوله تعالى :( **فلا تزكو أنفسكم) سورة النجم** تشير إلى خطوة العجز، العجز أمام الله تعالى انطلاقا من قوله تعالى ( **فلا تزكوا أنفسكم هو أعلم بمن اتَّقى)**

I- {**فلا تكونوا كالذين نسوا الله فأنساهم أنفسهم**} تشير إلى خطوة والفقر، الإفتقار إلى الله سبحانه ( **ماأصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك)** تشير إلى خطوة الشفقة ( **كل شيء هالك إلا وجهه)** .

**I- تشير إلى خطوة التفكر.**

يقول الأستاذ النورسي في مكان آخر من هذه الخطوة، خطوة التفكر وهي طريق موصل إلى الله سبحانه وتعالى : التفكر نور يذيب الغفلة الباردة، والدقة نار تحرق الأوهام المظلة اليابسة. ونجد كلمة الأوهام وهي كلمة لها علاقة بالجهل، والجهل: نقيض اليقين، لأن اليقين علم، والجهل نقيض العلم، والوهم : نوع من أنواع الجهل، فيقول الأستاذ : " والدقة نار تحرق الأوهام المظلمة اليابسة، لكن إذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل وتغلغل "، يعطينا توجيها في التفكر فهناك التفكر في النفس وهناك التفكر في اللآفاق،" إذا تفكرت في نفسك فدقق وتمهل وتغلغل وفصله تفصيلا بمقتضى الإسم - يقصد اسم الله سبحانه وتعالى- "الباطن" المتعمق إذ كمال الصنعة أتم في تحليله وتفصيله، وإذا تفكرت في الآفاق

فاجمل وأسرع ولا تغص وتخض إلا لحاجة إيضاح القاعدة ولا تحدد النظر كما هو مقتضى الإسم "الظاهر" "السفر".

بعد أن تحدثت عن عن هذه الطريق ذات الخطوات الأربع للوصول إلى الله تعالى، ماهي ثمرات هذا اليقين يقول الأستاذ رحمه الله : في ثمرة من ثمرات اليقين-لأن اليقين له ثمرات متعددة فله تمرة التوكل وله ثمرة الصبر وله ثمرة الشوق إلى الله تعالى وله ثمار متعددة - الشوق ثمرة من ثمرات اليقين، يحذر النورسي رحمه الله طلابه من جملة عوائق تسقط المؤمن من أعلى جواد الشوق الذي تمتطيه الهمة ويقدم علاجا قرآنيا لهذه الآفات النفسية الحائلة دون السير إلى الله تعالى، لاشك أن الإنسان في بداية سيره إلى الله يحذوه الشوق ولكن بمجرد أن يركب المطية تأتي مجموعة من العوائق، تأتي مجموعة من الآفات، تأتي مجموعة من الأخطار، يقول الأستاذ رحمه الله ويسرد لتلاميذته ولنا جميعا، الآفات التي تسقطنا من فوق الجواد الذي نركبه اتجاها إلى الله سبحانه وتعالى : أولا اليأس وعلاجه قوله تعالى : **(لاتقنطوا)** حب الظهور ونيل التفوق وعلاجه قوله تعالى **( كونوا قوامين)** الإستعجال وعلاجه قوله تعالى **(اصبروا وصابروا ورابطوا)**-الرأي الشخصي المستبد والتفكير الإنفرادي الذي يبدد أعمال الإنسان علاجه الحديث الشريف :

I- "خير الناس أنفعهم للناس" - التقليد : -التقليد- كذلك من الآفات علاجه ( **وعلى الله فليتوكل المومنون)** - التسويف وهو العدو الغدار، التسويف الناجم من العجز وفقدان الثقة بالنفس فينشأ منه تأجيل الأعمال الأخروية من اليوم إلى الغذ يمسك يد الهمة أما تحدي هذه المصيبة التي تصيبنا وهي من جنود إبليس **( لايضركم من ضل إذا اهتديتم)** أما العدو الملحد الذي يحذرنا منه النورسي رحمه الله وهو التدخل فيما هو موكول أمره إلى الله فيقول لتلاميذته أرسلوا عليه الآية الكريمة.

**I- (فاستقم كما أمرت)** أخيرا الآفة الخطيرة - حب الراحة والدعة الذي هو أم المصائب ووكر الرذائل فبصفد الهمة الكريمة بسلاسله وأغلاله ويقعدها عن طلب معالي

الأمور ويقذفها في هاوية السفالة والذلة فعليكم أن تخرجوا على ذلك السفاح يقول لتلامذته : عليكم أن تخرجو على ذلك السفاح الساحر ويقصد به حب الراحة والعة أخرجوا له البطل المجاهد الآية الكريمة ( **وأن ليس للإنسان إلا ماسعى)** ولننظر إلى تسمية اللآية الكريمة باسم البطل المجاهد !!!

في مكان آخر نجد الأستاذ النورسي -رحمه الله- يحذر تلامذته من أمراض نفسية خطيرة منها -حرص النفس -العجز- الحسد- فهذه أمراض خطيرة تتخفى على الإنسان في أثواب كثيرة لتقضي على المرء وعلى يقينه يقول الأستاذ النورسي : إن في الحرص والإسراف عقوبة معنوية معجلة وجزاءا قلبيا إذ يجعل صاحبه ثملا من كثرة الشكوى والقلق فترى العقوبة نفسها بل أشد منها في الحسد والتنافس والغيرة حتى أن الحسد يحرق صاحبه قبل غيره.

**كيف نحافظ على اليقين** : ذكر الأستاذ مجموعة من العقبات وذكر مجموعة من الآيات لمواجهة هذه العقبات ولكن أسمى طريق وأحكم طريق للمحافظة على اليقين، وهو اليقين نفسه، الذي قال عنه سبحانه وتعالى ( **واعبد ربك حتى ياتيك اليقين)** اليقين هنا هو الموت ولذلك اعتمد الأستاذ رحمه الله على الموت : لاكتساب اليقين وللمحافظة على اليقين، وللقضاء على نظر الغفلة وتعويضه بالنظر الراشد.

يقول النورسي لنفسه-وهو يخاطب نفسه : لا تديرن رأسك جفلة من الموت خائفة من القبر بل حذقي في القبر وانظري إلى حفرته بشهامة واستمعي إلى ما يطلب، وابتسمي لوجه الموت برجولة وانظري ماذا يريد وإياك أن تغفلي، لاتقولي أبدا أن الزمن قد تغير وأن العصر قد تبدل وأن الناس قد انغمسوا في الدنيا وافتتنوا بحياتها فهم سكارى بهموم العيش، ذلك لأن الموت لايتغير، ولذلك يقول الأستاذ لتلاميذته موجها إياهم للأخذ بالأسباب والتوكل على الله : إن وظيفتنا العمل للإيمان والقرآن بإخلاص أما إحراز التوفيق وحمل

الناس على القبول ودفع المعارضين فهو مما يتولاه الله سبحانه، نحن لا نتدخل فيما هو موكول إلى الله حتى إذا غُلبنا فلا يؤثر هذا في قوانا المعنوية وخدماتنا.

هناك نصوص جميلة أخرى، فنحن نعرف أن الشيخ سعيد والأستاذ سعيد قطع مرحلتين من حياته مرحلة سعيد القديم ومرحلة سعيد الجديد، فلننظر إليه لما ذهب في يوم من الأيام إلى قمة قلعة أنقرة :" التي أصابها الكبر والبلى أكثر مني فتمثلت تلك القلعة أمامي كأنها حوادث تاريخية متحجرة واعتراني حزن شديد وأسى عميق - انظروا إلى الشيخوخة التي يصفها !- من "شيب السنة " - السنة فيها شيب - في موسم الخريف ومن شيبي أنا ومن هرم القلعة ومن هرم البشرية ومن سيخوخة الدولة العثمانية العلية ومن وفاة سلطنة الخلافة ومن شيخوخة الدنيا، فاضطرتني تلك الحالة للنظر من ذروة تلك القلعة المرتفعة إلى أودية الماضي وشواهق المستقبل أنقب عن نور وأبحث عن رجاء وعزاء ينير ما كنت أحس به من أكتف الظلمات اللاتي خشيت روحي هناك وهي غارقة في ليل هذا الهرم المتداخل المحيط.

فحينما نظرت إلى اليمين الذي هو الماضي باحثا عن نور ورجاء بدت لي تلك الجهة من بعيد على هيأة مقبرة كبرى لأبي وأجدادي والنوع الإنساني فأوحشتني بدلا من أن تسليني، ثم نظرت إلى اليسار الذي هو المستقبل مفتشا عن الدواء فتراءئ لي على صورة...

يئست من هذه الجهة أيضا، رفعت رأسي ونظرت إلى قمة شجرة عمري فرأيت أن على تلك الشجرة ثمرة واحدة فقط وهي تنظر إلى، تلك هي جنازتي فطأطأت رأسي ناظرا إلى جذور شجرة عمري فرأيت أن التراب الذي هناك ماهو إلا رميم عظامي وتراب مبدأ خلقتي قد اختلطا معا وامتزجا وهما يداسان تحت الأقدام فأضاف إلى دائي داء من دون أن يمنحاني دواء ثم حولت نظري على مضض إلى ما ورائي فرأيت أن هذه الدنيا الفانية الزائلة تتدحرج في دنيا العبث وتنحدر في ظلمات العدم فسكبت هذه النظرة السم على جروحي بدلا من أن تواسيها بالمرهم والعلاج الشافي ولما لم أجد في تلك الجهة خيرا ولا أملا

وليت وجهي شطر الأمام ورنوت بنظري بعيدا افرأيت أن القبر واقف لي بالمرصاد على قارعة الطريق فاغرافاه يحدق بي وخلفه الصراط الممتد إلى حين الأبد وتترائى القوافل البشرية السائرة على ذلك الصراط من بعيد وليس لي من نقطة استناد امام هذه المصائب المدهشة التي تأتيني من الجهات الست، ولاأملك سلاحا يدفع عني غير جزء ضئيل من الإرادة الجزئية فليس لي إذن أمام أولئك الأعداء الذين لاحصر لهم والأشياء المضرة غير المحصورة سوى السلاح الإنساني الوحيد وهو الجزء الإختياري..."

النص طويل ولكن في الأخير نلاحظ بأن الأستاذ غير هذه النظرة من نظرة الحزن إلى نظرة التفاؤل حيث نظر إلى الموت نظرة حقيقية، كان يعيش هذا الإضطراب لما نظر إلى هذه الجهات الست التي ذكرتها : تتوالى علي منها صنوف الوحشة والدهشة واليأس والظلمة إذ بأنوار الإيمان المتألقة في وجه القرآن المعجز البيان تمدني وتضيئ تلك الجهات الست وتنورها بأنوار باهرة ساطعة مالو تضاعف ما انتابني من صنوف الوحشة وانواع الظلمات مائة مرة لكانت تلك الأنوار كافية ووافية لإحاطتها. فماذا وقع بعد ذلك الحزن وتلك الوحشة فبدلت تلك الأنوار السلسة الطويلة من الوحشة إلى سلوان ورجاء وحولت كل المخاوف إلى أنس القلب وأمل الروح الواحدة تلو الأخرى نعم إن الإيمان قد مزق تلك الصورة الرهيبة للماضي وهي كالمقبرة الكبرى وحولها إلى مجلس منور أنوس، وإلى ملتقى الأحباب وأظهر ذلك لعين اليقين وحق اليقين ثم إن الإيمان قد أظهر بعلم اليقين أن المستقبل الذي يتراءى لنا بنظر الغفلة - الغفلة هي التي تبين لنا - كما يقول الأستاذ الغفلة التي تبين لنا المستقبل كقبر واسع أما هو بعد الأنوار ماذا قال ؟ القبر عند النورسي رحمه الله- مجلس ضيافة رحمانية أعدت في قصور السعادة الخالدة ثم إن الإيمان قد حطم صورة التابوت والنعش تحولت صورة التابوت والنعش للزمن الحاضر - التي نظرها بنظر الغفلة - صارت متجرا أخرويا وصارت دار ضيافة رائعة للرحمان ثم إن الإيمان

قد بصرني بعلم اليقين أن ما يبدو بنظر الغفلة من الثمرة الوحيدة التي فوق شجرة العمر على شكل نعش وجنازة أنها ليست كذلك، النعش والجنازة ماذا صارت ؟

صارت انطلاقا للروح فصارت ...

لمن يريد أن يعود لهذا التحليل الجيد يراجع للأستاذ النورسي كتاب "مرشد أخوات الآخرة" وهو من كليات رسائل النور وهو كتاب جميل جدا فيه توجيهات قيمة للأخوات المسلمات وسماهن بهذا الإسم (أخوات الآخرة) وكذلك فيه توجيه للشيوخ وللعجائز ويعتبر بأن سن الشيخوخة هو سن الكمال ويعزي الشيوخ والعجائز.

أريد أن أختم، وأرجو أن ينتبه الحاضرون إلى مسألة مهمة جدا وهي أن النورسي رحمه الله فعلا كان ذا يقين وكان ذا صبر وصار إماما في الدين، ولكن لاننسى القولة المشهورة : (وراء كل عظيم امرأة) إن أم النورسي والتي كان اسمها "نورية" من المسائل الغريبة التي لاحظتها- أنها ما أرضعت أولادها إلا وهي على طهر ووضوء، وانظروا إلى كلام جميل جدا في هذا الكتاب، يقول :" وأرجوا أن نقارن وضعنا مع هذا الكلام يقول : نعم إن أول أستاذ الإنسان وأكثر من يؤثر فيه تعليما إنما هي والدته، يقول الأستاذ :"هذا المعنى الذي أتحسسه دائما إحساسا قاطعا في شخصي، أقسم بالله أن أَرِسَخ دَرسٍ أخدته وكأنما يتجدد علي إنما هو تلقينات والدتي رحمها الله ودروسها المعنوية حتى استقرت في أعماق فطرتي وأصبحت كالبذور في جسدي في غضون عمري الذي يناهز الثمانين رغم أني قد أخذت دروساً من ثمانين آلف شخص، بل أرى يقينا أن سائر الدروس إنما تبقى على تلك البذور بمعنى أني أشاهد درس والدتي رحمها الله وتلقيناتها لفطرتي وروحي وأنا في السنة الأولى"- انظروا إلى معاناتنا معاناة أطفالنا، معاناة نسائنا ورجالنا ومعاناة مجتمعنا، تصوروا يتذكر الأستاذ ما علمته له الأستاذة في السنة الأولى والدته رحمها الله.

يقول : إني أشاهد درس والدتي رحمها الله وتلقيناتها لفطرتي وروحي وأنا في السنة الأولى من عمري بذور أساس ضمن الحقائق العظمى التي أراها الآن وأنا في الثمانين من عمري. أقول قولي هذا واستغفر الله لي ولكم وأعوذ بالله من الشيطان الرجيم.

## أثر الربانية والنفحات القرآنية

## في كتابة النورسي

د: محمد الروكي- أستاذ الفقه الإسلامي

كلية الآداب والعلوم الإنسانية - الرباط

### بسم الله الرحمن الرحيم

لا أزعم أنني سأقدم بحثا علميا حقيقيا في حق هذا الرجل وفكره المشرق السني القويم. ولكنها مجرد إثارة لمسائل وقضايا في فكره المتميز، أقدمها تحية طيبة مباركة صادقة لهذا الرجل الذي أحببته وأكبرته..

قال الله عز وجل : {ما كان لبشر أن يوتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ثم يقول للناس كونوا عبادا لي من دون الله. ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون}[٥٠]. هذه الآية الكريمة تحمل دلالات ومضامين كثيرة، أذكر منها -هاهنا- شيئين اثنين:

١- ان دعوة الأنبياء كانت تهدف -أساساً- إلى إخراج الربانيين للوجود لتقوم بهم الدنيا، ويقوم بهم أمر الله عز وجل.

٢- ان هذه الربانية مأتاها : العلم بكتاب الله ودراسته.

---

[٥٠] - سورة ال عمران الآية :

وأشهد أن بديع الزمان النورسي كان ربانيا قرآنيا، وأن مأتى ربانيته ومدخله إلى هذه القرآنية هو إدامته النظر في كتاب الله عز وجل، فجاءت بذلك كتابته، وما ترك في فكره مجموعاً ومصنفا.. جاء كل ذلك مطبوعاً بالربانية، ومتأثرا بالقرآن الكريم ؛ بأسلوبه وبمنهجه وبطريقته في عرض المضمون...، ويدل ذلك أيضا على ان الرجل كان مستوعباً للقرآن، ليس -فقط- متأثرا بأسلوبه ومنهجه وطريقته في الإفهام والتبليغ والتربية، بل كان مستوعباً مضامين القرآن، مكيه ومدنيه، وخصائصهما، وكل ذلك قد انعكس في كتابته وتصنيفه المشرق المتنور.

وأريد -في هذه الكلمة المتواضعة- أن أثير جملة من الدلائل والآيات والعلامات التي تدل على هذا التأثر البليغ العميق بالقرآن وربانية القرآن، وذلك من خلال الخصائص الآتية، التي تميز بها النورسي في كتابته وعطاءاته العلمية الفكرية التي بلغتنا بفضل الله عز وجل :

**الخاصية الأولى : غزارة المضمون وعمق المحتوى :**

الذي يقرأ لبديع الزمان النورسي - مهما كان موضوع المقروءات وطبيعتها - يجد غزارة في المضمون وعمقاً في المحتوى، يؤكد ذلك ويصدقه أمور أذكر منها اثنين:

١- ان القارئ لأي أثر من آثار بديع الزمان النورسي، يتمتع فيما يقرأ بكثرة الفوائد العلمية، والكنوز المعرفية، ففي كتابة النورسي حكم وأمثال، وتشبيهات بيانية رائعة، وأقيسة تربوية عالية، ومضامين دعوية، وإشارات صوفية، وإشراقات عقلية بليغة...، وهو في كل ذلك يقتبس من القرآن، ويغترف من معينه.

٢- اننا ونحن نقرأ كتابة النورسي بإمعان وإنعام، وتدبر وتفكر، نجد وكأن الجمل كليات وقواعد[٥١] انظروا اليه -مثلاً- وهو يقول في المقدمة السابعة من المحاكمات العقلية - وهي التي تكلم فيها عن أضرار المبالغة وإرسال الكلام جزافاً- قال :"المبالغة تشوش

[٥١] - إنما قرأت للنورسي مترجماً، ووددت لو قرأت له مباشرة، لأن الترجمة إنما هي ضرب من التفسير والتقريب...

الأمور وتبلبلها، لأن من سجايا البشر مزج الخيال بالحقيقة، بميل إلى الاستزادة في الكلام فيما التذبه، والرغبة في إطلاق الكلام جزافاً فيما يصف، والانجذاب إلى المبالغة فيما يحكي، وبهذه السجية السيئة يكون الإحسان كالإفساد، ومن حيث لايعلم يتولد النقصان من حيث يزيد، وينجم الفساد من حيث يصلح، وينشأ الذم من حيث يمدح، ويتولد القبح من حيث يحسن، وذلك لإخلاله-من حيث لايشعر- بالحسن الناشئ من الانسجام والموازنة في المقاصد"[52]. وإذا استمررت في هذا الكلام وتتبعت النظر فيه، تستطيع أن تستخرج قواعد وحكماً بالغة يمكن أن تكون لنا مصابيح مثل :

- الاستزادة من دواء شاف قلب له إلى داء.
- المبالغة افتراء على القدرة الإلاهية.
- تعظيم الصغار تصغير للعظام.

وهكذا كل كلام النورسي : قواعد وكليات جامعة...

**الخاصية الثانية : الترتيب والتنظيم**

وأعني بذلك أن كتابة النورسي تتميز بحسن العرض وتيسير المعروض للقارئ، وهذا يدل على انه كان قد بلغ منزلة عالية في القدرة على الإفهام، وعلى ايصال ما عنده بصدق إلى المستمع المتلقي، وواضح من هذه الخاصية انه كان متأثرا فيها بالقرآن، فهو قد استقى فكرة المنظم المرتب من القرآن وتنظيم القرآن وترتيبه، وهذا دليل على ما سبق ذكره من أنه كان يستوعب القرآن ومنهجه على أعمق ما يكون الاستيعاب. فالقرآن كما نعلم مكي ومدني، وأن المكي عرض الاسلام كله : فكرته واصوله وقواعده والأصول ، فالمدني مبني على المكي، وهذا ترتيب وتنظيم قرآني معجز، وقد تأثر به النورسي غاية التأثر، ظهرت ثمرته في كتابته وفكره وثقافته.

[52] – صيقل الاسلام ص : ٤٦.

إن من ترتيب القرآن وتنظيمه المعجز : أنك حينما تنظر في سورة بترتيبها المصحفي -لا النزولي- تجدها تبتدئ بالفاتحة، وهي سورة جامعة شملت مضمون الدين وحقائقه بإجمال، فإذا انتقلت إلى سورة البقرة تجدها قد عرضت -أيضا- مضامين الدين ومحتوياته كلها، لكن بشيء من البيان والتفسير والتفصيل لمجمل ما في الفاتحة، ثم إذا انتقلت إلى باقي السبع الطول وجدتها مستمرة وممتدة للبقرة في البيان والتفصيل. ثم هلم جرافي باقي سور القرآن من المئين والمفصل...، فهذا الترتيب القرآني -إذاً- : من المكي الى المدني، ومن المجمل إلى المفصل، ترتيب بديع معجز، تأثر به بديع الزمان النورسي أيما تأثير، في كل كتابته، فهو يبدأ كل أعماله العلمية والثقافية بالعرض العام لما عنده، وبشكل مجمل، ثم يعقبه بالتفصيلات المتدرجة، وغالبا ما يسمي التفصيل الأول بحاصل الكلام، ثم يليه ما يسميه زبدة الكلام، ثم يختم بالنتائج. إنه ترتيب بديع يدل على ترتيب المعلومات والمسائل العلمية في عقله وفكره. والحق أنه ما لم تترتب المعلومات في عقولنا فإننا لانستطيع أن نقدمها مرتبة للناس.

والنورسي في هذه الخاصية يلتزم بقاعدة القرآن المتمثلة في قوله تعالى : **{ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر}٥٣**، وكان يدرك ويحس أن الكلام الذي يريد عرضه وإلقاءه يجب أن يكون فيه عنصر الإفهام، ويجب أن يحصل به التفهم، وأن ذلك يقتضي تيسير المعروض للمتلقي.

**الخاصية الثالثة : الحكمة والسداد في القول**

كلام النورسي مليء بالحكم والأقوال السديدة، وذلك مستمد من القرآن ومن حكمة القرآن. لأن القرآن كله حكمة، وكله قول سديد وحق، وكله ينور العقل ويجعله سديدا، والأمثلة على ذلك من كلام النورسي وكتاباته كثيرة، انظر إلى قوله مثلا : فكما ان الاستزادة من دواء شاف قلب له إلى داء، كذلك المبالغون في الترغيب والترهيب المستغني

---

[٥٣] - سورة القمر، آية :

عنهما الحق، كجعل الغيبة كالقتل، أو إظهار التبول وقوفا بدرجة الزنا، والتصدق بدرهم مكافئاً بحجة... وأمثالها من الكلمات غير الموزونة التي يطلقها المبالغون، إنما يستخفون بالزنا والقتل ويهونون شأن الحج، فبناءاً على هذا لابد أن يكون الواعظ حكيما وذا دراية بالمحاكمات العقلية"٥٤. فهو كلام أشبع حكمة وسداداً، ونضجا ورشاداً.

**الخاصية الرابعة : نضج الفكرة وبعد النظر**

لقد كان النورسي مغرماً بالمحاكمات العقلية، ولكن العقل الذي يحتكم إليه هو العقل الراشد السوي القرآني، لأنه هو مناط التكليف وبه تدرك الشريعة وتستوعب، لأن هذه الشريعة لايمكن تطبيقها وتنزيلها على أرض الواقع، والدعوة إليها، إلا بعد أن تدرك وتعقل وتفهم، في مضمونها ومقاصدها وعللها وأسرارها.. وكل ذلك يفتقر إلى فكر ثاقب وعقل صائب، ففهم الشريعة سابق على تنزيلها، وإجادة الفهم و الإحسان فيه، يورث إجادة التنزيل والإحسان فيه. فلذلك كانت هذه القضية تشغل بال النورسي، وجاءت تطبع كلامه وكتابته، فلا يقول الفكرة حتى تنضج في فكره وعقله، وتستوي على سوقها، ولايدلي بشيء ولايبدي شيئاً حتى يقدره ويزنه. خذ مثلا قوله :"نعم إن الوعاظ الذين لايملكون موازين ويطلقون كلامهم جزافاً، قد سببوا حجب كثير من الحقائق النيرة، فمثلاً الزيادة التي زيدت في معجزة انشقاق القمر الباهرة، بالمبالغة في الكلام، وهي أن القمر قد نزل من السماء ودخل تحت إبط الرسول صلى الله عليه وسلم ثم رجع إلى السماء هذه الزيادة جعلت تلك المعجزة الباهرة كالشمس، مخفية كنجم السهى، وجعلت ذلك البرهان للنبوة الذي هو كالقمر، مخسوفاً، وفتحت أبواب حجج تافهة للمنكرين٥٥". إننا حينما نعظم الصغار،

---

[٥٤] – صيقل الاسلام ص : ٤٦

[٥٥] – صيقل الاسلام ص : ٤٦.

ونبالغ في إقامة الحجة على شيء جلي كالشمس، نقع في المشكلة، أو نقع في مقلوب مقصودنا ونقيض مرادنا. فالنورسي -إذاً- كان يربي في جيله-وفينا أيضا- العقل الراشد السوي، الذي ينطلق من الميزان، فينضبط به اللسان، ويستقيم له القلم.

**الخاصية الخامسة : القصد في المعنى والاقتصاد في المبنى**

إن الكلام ثمرة، أي هو نتيجة تفاعل فكري داخل الإنسان، فقبل ان يتكلم يفكر، والكلام قبل ان يكون كلاماً فقد كان أفكاراً تعتلج في قلب المتكلم. ومن ثم وجب أن لايخرج شيء من ذلك الكلام إلا بعد أن ينضج مضمونه وتستوي فكرته ومعانيه، لأن الكلام ثمرة. وقد كان النورسي يحس بذلك ويدرك أن الكلمة مسؤولية وأمانة وأن الكلام ثمرة، ولذلك تجد في كتابته وكلامه قصداً واضحا إلى المعنى، لايسود صحائفه بأي معنى وبأي فكرة وبأي مضمون إلا وهو قاصد واعٍ بما يقول، مستشعر مسؤوليته عما يقول، مقتصد في الكلام، لأن كثرته غير مقصودة، انظر إليه -مثلاً- وهو يقول : "يجب على كل محب للدين، وعاشق للحقيقة، الاطمئنان بقيمة كل شيء، وعدم إطلاق الكلام جزافاً، وعدم التجاوز، إذ المبالغة افتراء على القدرة الإلاهية، وهي فقدان الثقة بالكمال والحسن في العالم واستخفاف بهما..."[٥٦] فالمبالغة إنما تكون من حيث إننا لانعطي قيمة ولا وزنا للكلام وللمصطلحات والألفاظ والعبارات والجمل، فالكلام إذا فرغ -عندنا- من قيمته ولم نقدر مضمونه ومحتواه حق قدره، لم ننال حينئذ به، وذلك مظنة المبالغة. ومن ثم إذا أردنا للكلام أن يكون له وزن وقيمة وتأثير، فيجب أن نطمئن إلى قيمته، والإطمئنان إلى قيمته والإيمان بها يستلزم القصد في المعنى والاقتصاد في المبنى، وهو المنحى الذي كان يسير عليه النورسي في كلامه، والمنهج الذي اطرد عليه في حياته العلمية والتربوية.. وانظر إلى قوله أيضا-وهو يؤكد ما سبق في قياس بديع وتشبيه رائع - : "إن الشارع سبحانه وتعالى قد وضع سكته وختمه المعتمد على كل حكم من أحكام الشرع، ولابد من قراءة

[٥٦] - صيقل الاسلام ص : ٤٦-٤٧.

تلك السكة والختم، فذلك الحكم مستغن عن كل شيء سوى قيمته وسكته..."[57]. فلو أدركنا قيمة الشيء في ذاته، ووزن الفكرة في ذاتها، لما احتجنا إلى المبالغة في التعبير، ومجاوزة تلك القيمة المدركة المقدرة حق قدرها. وهذه الخاصية مستفادة من القرآن الكريم وأسلوبه ومنهجه في القول...

**الخاصية السادسة : اللفظ المؤثر، والمصطلح المعبر**

إن بديع الزمان النورسي كان ينظر إلى الكتابة على أنها رسالة وأمانة، فكان يعطيها ما تستحق من العناية والرعاية، ومن ذلك أنه كان يختار اللفظ المؤثر الذي يطرق القلوب بغير استئذان، والمصطلح المعبر الذي يختزل مضمون ما يريد. انظر إليه -مثلا- وهو يقول في كلامه السابق : "إن الشارع قد وضع سكته وختمه..." فانظر كيف يشخص المعاني، ويختار لها من الألفاظ ما فيه حرارة وقوة وحيوية. ثم بقول بعد ذلك : "فيا هذا، إنك بكلامك هذا (يعني الذي فيه مبالغة) تعادي الشريعة..."[58]، فانظر كيف حكم على المبالغ في أحكام الشرع بالحكم الذي يناسبه ويليق به وبطابقه تمام المطابقة؛ بحيث لو سمعه لتأثر لا محالة "تعادي الشريعة"، إذ لا أحد يحب أن يعادي الشريعة، أولا أحد يحب ان يقال فيه ذلك... ثم يقول "أيها الظالمون الذين يحاولون جرح الإسلام ونقده من بعيد، من الخارج، زنوا الأمور بالمحاكمة العقلية، ولا تنخدعوا ولاتكتفوا بالنظر السطحي، فهؤلاء الذين أصبحوا سبباً لاعذاركم الواهية-في نقد الإسلام-يسمون بلسان الشريعة : "علماء السوء"، فانظر إلى ما وراء الحجاب الذي ولده عدم موازنتهم الأمور، وتعلقهم الشديد بالظاهر، سترون ان كل

---

[57] -صيقل الاسلام ص : ٤٧

[58] - صيقل الاسلام ص : ٤٨.

حقيقة من حقائق الاسلام برهان نير كالنجم الساطع يتلألأ عليه نقش الأزل والأبد"[59] فانظر كيف يقف-في تعبيره وألفاظه ومصطلحاته-على حقائق الأمور، ويقومها حق تقويمها، ويسميها بأسمائها "علماء السوء" بحيث لو وقفنا على هذا لعرفنا حجمه وقيمته.

**الخاصية السابعة : التشبيه والتمثيل**

يعتمد النورسي في جل كتاباته على التشبيه والتمثيل، وهذا يعكس تأثره بالقرآن الكريم في عرض المضامين والمعاني من خلال أساليب التشبيه والتمثيل البياني، لأن ذلك من شأنه ان يحصل به الإفهام والتفهم، والبيان والتبين، فهذا اسلوب قرآني، ونهج قرآني.

يقول النورسي،-مثلا- : "أيها السيد المخاطب، قد يؤدي التمثيل أيضا ما يؤديه البرهان من عمل، فكما ان لكل من الألماس والذهب والفضة والرصاص والحديد قيمتها الخاصة، وخاصيتها الخاصة بها، وهذه الخواص تختلف، والقيم تتفاوت، كذلك مقاصد الدين تتفاوت من حيث القيمة والادلة. فإن كان وضع احدها الخيال، فموضع الآخر الوجدان، والآخر في سر الأسرار، إن من أعطى جوهرة أوليرة ذهبية... في موضع فلس أو عشر يارات. يحجر عليه لسفهه، ويمنع من التصرف في امواله... كذلك الأمر فيمن لايميز الحقائق الدينية، ولايعطي لكل منهما ما يستحقه من حق واعتبار، ولايعرف سكة الشريعة وعلامتها في كل حكم...[60].

فالنورسي -إذاً- متأثر في كل هذا بالقرآن الكريم إلى حد بعيد، متأثر بأسلوبه ومضمونه ومنهاجه وبنائه.

وبعد : فإن الخير كل الخير في القرآن.

والمعرفة السديدة في القرآن

والمنهج السوي القويم في القرآن :{**إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم**}[61]

---

[59] – صيقل الاسلام ص : ٤٨.

[60] – صيقل الاسلام ص : ٤٧.

[61] – سورة الاسراء، آية :

ومن دلائل ذلك وآياته بديع الزمان النورسي ؛ فقد آن الأوان لتجلية فكر النورسي وتراثه، والعكوف على دراسته ودراسة مثله من أبناء هذه الأمة من ذوي الفكر الراشد والعقل المهتدي، ومن أولي العزم في الفهم والتربية والبناء.

**والحمد لله رب العالمين.**

## النظم القرآني في مذهب الشيخ سعيد النورسي

**د. التهامي الراجي الهاشمي**

**أستاذ القراءات القرآنية بكلية الآداب والعلوم الإنسانية**

**بسم الله الرحمن الرحيم**

**والصلاة والسلام على سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليما**

لايستبعد ان يقف المتأمل في النظم القرآني عند قول الباحث الذي قال :"إن فكرة النظم لم تلق عناية جديرة بها حتى الآن من الباحثين ورواد العلم بالرغم من كثرة ما ألف حولها"[٦٢].

حقا لم تبرز فكرة النظم واضحة في أذهان العلماء الخائضين في موضوع اسلوب القرآن واعجازه بروزا واضحا. لقد مرت بما يمكن أن اسميه ب "فترة المخاض" قبل أن تولد مصطلحاً علمياً دقيقاً يُوحِي عند كل قطب من أقطاب الدراسة البلاغية، بدلالة محدَّدة خاصّة بمدرسته.

[٦٢] – "فكرة النظم بين وجوه الاعجاز في القرآن الكريم" فتحي احمد عامر صفحة ٧ ط. المعارف بالاسكندرية سنة ١٩٩١.

إن كان النظم عند عبد القاهر الجرجاني هو ضَمُّ الشَّيءِ إلى الشيء وتنسيقه على نسق واحد فربطه بالنحو لازم، من هنا كان النظم، في رأيه، هو، بإيجاز مفرط : وضع الكلام في الموضع الذي يقرره النحو.

ولابد أن نلاحظ أن عبد القاهر الجرجاني ما هو في هذا المجال الا مبلورا ومرتبا ومهذبا لما ذهب إليه قبله أبو الحسن عبد الجبار المعتزلي الذي لاتعد الكلمة عنده فصيحة في نفسها إلا إذا توفرت على صفات مختلفة (حركاتها في الاعراب، موقفها في التقديم والتأخير...الخ).

وقبل هذا وذاك قام ابو عبيدة بكتابة :"مجاز القرآن"[٦٣]. ففتح الطريق لدراسات بلاغية تهدف إلى بيان الاعجاز القرآني عن طريق نظمه وتأليفه، ثم تلاه الجاحظ[٦٤] الذي، اعتقد جازماً، أن اعجاز القرآن في نظمه ؛ وصار، في كتبه، ولاسيما في "كتاب الحيوان[٦٥]" له يكشف عن دقيق الدلالات للآيات القرآنية.

إن النظم القرآني عنده يتجلى في كمال التركيب ودقة تأليف اللفظ وجمال سبكه ؛ وهو مقدم عنده على المعنى ؛ لنستمع إليه وهو يقول[٦٦]:"المعاني مطروحة في الطريق، يعرفها العجمي والعربي، والبدوي والقروي، وإنما الشأن في إقامة الوزن، وتخير اللفظ وسهولة المزج، وكثرة الماء، وفي صحة الطبع وجودة السبك"[٦٧] .

---

[٦٣] – "مجاز القرآن " أبو عبيدة معمر بن المثنى طبعة بيروت، الطبعة الثانية، ١٤٠١ (١٩٨١).

[٦٤] – الجاحظ لقب غلب عليه أما اسمه فهو أبو عثمان عمر وبن بحر بن محبوب، وهو اشهر من أن يعرف.

[٦٥] – لاأقصد ب :"لاسيما كتاب الحيوان" إلا أن اقول إن أهم ما نعرفه في مسألة النظم عند الجاحظ هو ما نقرأه في كتابه هذا. أما هو، فلا شك أنه ضمن كتابه المفقود "نظم القرآن" كثيرا من لمحات القرآن المعجزة عن طريق النظم.

[٦٦] – كتاب "الحيوان" لأبي عثمان عمرو بن بحر الجاحظ. الجزء الثالث صفحة ١٣١ طبعة الحلبى ١٩٣٨.

[٦٧] – للجاحظ رسالة في "حجج النبوة" تعرض فيها لاعجاز القرآن ثم تعرض لنظمه ؛ لكنه، في هذه الرسالة، كما في غيرها من كتبه، يدخل في موضوع خلق القرآن بمناسبة حديثه عن الكلام الذي نظم منه القرآن : هل هو قديم أم حادث؟ ومخلوق هو أم غير مخلوق.

ثم جاء تلميذ الجاحظ عبد الله بن مسلم بن قتيبة، الثبت المتقدم والثقة المبرز، أحد علماء القرن الثالث الهجري فبين على طول كتابه "مشكل القرآن"٦٨ أن سر بلاغة القرآن واعجازه تكمن في نظمه وتركيبه٦٩.

أما علي بن عيسى الرماني ، وهو عالم من علماء المعتزلة فيشدنا برسالته "النكت في اعجاز القرآن" إلى البلاغة التي هي عنده وثيقة الصلة بفكر النظم.

والنظم في رأيه طريق إلى البلاغة التي هي أحد وجوه الاعجاز غاضا الطرف عن حالات النظم الأخرى، لاسيما التي لها صلة بالنحو أو بفنون علم المعاني.

أما الذي سيساند ما ذهب اليه الرماني في "النظم" فهو أبو سليمان محمد بن الخطابي٧٠. ورغم أنه كان أسبق علماء المسلمين إلى البحث عن "الاعجاز" بحثا علميا منظما، فقد غلبت عليه، وهو يوضح اساليب الكلام الجيد، العاطفة التي منعته من التعمق في مدلول وجه الاعجاز البلاغي لاسيما من حيث النظم.

ولم نكن لنستغرب من هذا في البدء ؛ لانهم كانوا رحمهم الله يفضلون العكوف على كتاب الله قراءة ومدرسة وكم أصاب هذا الباحث الذي يقول :٧١ و"على الرغم من قطع أكثرهم العمر كله من الطفولة إلى الممات في الغدو والرواح عليه، حتى إنهم أحصوا كلماته، كلمة كلمة، وعدوا حروفه حرفا حرفا وأخذوا أنفسهم بكثير من العلوم والفنون يستعينون بها على فهمه، ويكشفون بها وجوه محاسنه-على الرغم من ذلك فإنه قد مضى عصر النبوة، وعصر الخلفاء الراشدين، ودولة بني أمية كلها، وشطر كبير من دولة العباسيين

---

٦٨ – شرحه ونشره السيد أحمد صقر ؛ طبع مراراً بالمدينة المنورة.

٦٩ – كما بين ذلك في كتابه الآخر الذي يعد متمم لمشكل القرآن وهو كتاب : "تفسير غريب القرآن". قال ابن قتيبة مبرزا تصنيفه لهذا الكتاب :"وافردت للغريب كتابا لئلا يطول هذا الكتاب " يقصد كتاب "مشكل القرآن".

٧٠ – توفي الخطابي سنة ٣٨٨هـ. له رسالة في اعجاز القرآن سماها :"بيان اعجاز القرآن" تقع في نحو اربعين صفحة من الحجم الكبير، طبعت في دار المعارف بمصر ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز بتحقيق الاستاذين محمد خلف الله ومحمود زغلول سلام.

٧١ – توفي الخطابي سنة ٣٨٨هـ. له رسالة في اعجاز القرآن سماها :"**بيان اعجاز القرآن**" تقع في نحو اربعين صفحة من الحجم الكبير، طبعت في دار المعارف بمصر ضمن ثلاث رسائل في الاعجاز بتحقيق الاستاذين محمد خلف الله ومحمود زغلول سلام.

دون أن يحاول أحد التعرض لقضية "الاعجاز القرآني" والكشف عن اسرار الاعجاز ودلائله.

ولم يكن ذلك عن تقصير في حق القرآن الكريم... وكيف؟ والأمة الاسلامية كلها لم يكن لها وجود الابه، ولم يكن لها تفكير إلا فيه، ولا حديث إلا عنه، ولا شغل لها إلا به، أوله".

ثم يذكر معاصر لهذين العالمين الرماني والخطابي هو أبي بكر محمد بن الطيف الباقلاني، احد المتكلمين على مذهب الأشاعرة٧٢ الملقب بـ "شيخ السنة ولسان الأمة" يقول الباقلاني أولا معرفا"نظم القرآن الكريم٧٣ :"إنه نظم خارج عن جميع وجوه النظم المعتادة في كلامهم، ومباين لأساليب خطابهم؛ ومن ادعى ذلك لم يكن له من أن يصحح أنه ليس من قبيل الشعر ولا السجع ولا الكلام الموزون غير المقفَّى، لأن قوما من كفار قريش ادعوا انه شعر، ومن الملحدة من يزعم ان فيه شعرا، ومن أهل الملة من يقول انه كلام مسجع إلا انه أفصح مما قد اعتادوه من اسجاعهم، ومنهم من يدعي انه كلام موزون فلا يخرج بذلك عن اصناف ما يتعارفونه من الخطاب" ثانياً : مُقيّماً لهذا النظم٧٤ : "فأما شأو نظم القرآن فليس له مثال يحتذى إليه، ولا إمام يقتدى به، ولايصح وقوع مثله اتفاقاً، كما يتفق للشاعر البيت النادر، والكلمة الشاردة، والمعنى الفذ الغريب، والشيء القليل العجيب".

من الممكن أن يكون الباقلاني عجز عن تحديد مفهوم النظم تحديدا تندرج تحته كل آيات القرآن ولكنه خلافا لما يراه بعض الباحثين المعاصرين فاق ما قاله الجاحظ في الموضوع وما ذهب إليه الرماني في هذا الباب٧٥.

---

[٧٢] – **الاعجاز في دراسات السابقين** عبد الكريم الخطابي ١٧٩ من الطبعة الأولى بدار الفكر العربي بالقاهرة سنة ١٩٧٤.
ترجم له ابن فرحون في **الديباج المذهب** وعده من الطبقة السابعة من أهل العراق.

[٧٣] إعجاز القرآن للباقلاني ص :٥٣ طبعة القاهرة سنة ١٣٤٩.

[٧٤] – نفس المصدر اعلاه ص : ٩٧.

[٧٥] – انظر تفصيل هذا الأمر في **البلاغة تطور وتاريخ** لشوقي ضيف ص : ١١٤.

أما الذي جاء فصوب حقا رأى الباقلاني الذي كان يعتقد أن اعجاز القرآن هو أن ترتبط الفصاحة بالنظم بمعنى الأسلوب والطريقة في التعبير، فهو القاضي أبو الحسن عبد الجبار الذي يقول٧٦ : "إنما يكون الكلام فصيحاً لجزالة لفظه".

إن كان عبد الجبار المعتزلي ناقداً لبعض آراء الباقلاني المالكي فإنه كان مؤيداً لكثير من آراء استاذه أبي هاشم يقول في هذا الشأن٧٧ :"إن العادة لم تجر بأن يختص واحد بنظم دون غيره، فصارت الطرق التي عليها يقع نظم الكلام معتادة، كما أن قدر الفصاحة معتاد، فلابد من مزيد فيهما، ولذلك لايصح عندنا (-أي عند المعتزلة-) أن يكون اختصاص القرآن بطريقة في النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى. ومتى قال قائل : إني وان اعتبرت طريقة النظم فلابد من اعتبار المزية في الفصاحة فقد عاد إلى ما أردناه، لأنه إذا وجب اعتبار ذلك فمتى حصل شل تلك المزية في أي نظم فقد صحت المباينة".

يعارض اذن عبد الجبار الشيخ الباقلاني الذي يربط، كما سبق القول، الاعجاز بالنظم بمعنى الأسلوب ونوع الكلام في حين يربط عبد الجبار اعجاز القرآن بالنظم بمعنى التأليف.

**النظم القرآني في مذهب الشيخ سعيد النورسي**

يمثل إدم، في منظور الشيخ النورسي قافلة متسلسلة، راحلة من أودية الماضي ذاهبة إلى شواهق الاستقبال، متوجهة إلى جناته٧٨.

إن مقصده، رحمه الله، من هذه الاشارات الموحية التي يلقاها القارئ على طول ما تركه لنا من نتاج فكري رصين، لاسيما في رسائل النور ؛ أقول إن مقصده من هذه الاشارات هو تفسير جملة من رموز نظم القرآن. يقول رحمة الله٧٩ :"**إن الاعجاز يتجلى**

---

[٧٦] – **المعنى في أبواب التوحيد والعدل** ج ١٦. ص : ١٩٧.

[٧٧] – **النظم القرآني في كشاف الزمخشري** درويش الجندي طبعة دار نهضة مصر للطبع والنشر، سنة ١٩٦٩. ص : ٩.

[٧٨] – **اشارات الاعجاز في مظان الايجاز** بديع الزمان النورسي ص ٢٣.

[٧٩] – نفس المصدر السابق ونفس الصفحة.

**من نظمه. وما الاعجاز الزاهر إلا نقش النظم**" إنه يركز تحليله لهذا النقش الخلاب الرائع الذي يزين هذا الاعجاز الزاهر البهي على مقاصد أساسية هي في حقيقة الأمر عناصر أصلية وهي أربعة :

- التوحيد.
- النبوة.
- الحشر.
- العدالة.

لقد استطاع أن يقدم لنا البرهان القاطع على أن هذه العناصر الأربعة التي تضفي على النظم القرآني سرا ينعش الألباب وحلة تحيي القلوب وأملا يقوي النفوس لا تفارق كلام رب العالمين أبداً ؛ إنها موجودة في الجزء الكبير من القرآن كالسورة ولها حضور ملفت للنظر في الجزء منه دون ذلك كالآية وهي بارزة بروزا واضحا حتى في الجزء الصغير جدا كالكلمة.

يوضح رحمه الله هذا الوجود للمقاصد الأربعة في الكليات الكبيرة من القرآن الكريم وفي الجزئيات الصغيرة منه فيقول [٨٠] :"فكما تتراءى هذه المقاصد الأربعة في كله، كذلك قد يتجلى في سورة سورة، بل قد يلمح بها في كلام كلام، بل قد يرمز إليها في كلمة كلمة لأن كل جزء فجزء كالمرآة لكل فكل متصاعدا، كما أن الكل يتراءى في جزء فجزء متسلسلا.

ولهذه النكتة -أعني اشتراك الجزء مع الكل- يعرف القرآن المشخص كالكلي ذي الجزئيات".

والشيخ متقد الذكاء ؛ لذا يكفيه، ليعي الأمر كله بجميع أبعاده، إشارة خفيفة سريعة ؛ ومن هنا تراه يدرك أن هذه المقاصد، بهذا التقديم الموغل في الايجاز الذي قد مهابه، معرفا

---

[٨٠] – اشارات الاعجاز في مظان الايجاز، صفحة ٢٤.

لها، تبقى خفية لمن لم يتعود هذا الأسلوب الرفيع في البحث عن بلاغة القرآن بهذه الطريقة الجديدة المتمثلة في ربط النظم القرآني باللفظ تماما كما فعلت بعض مدارس أخرى ألمحت إلى معظمها في الفقرة السابقة.

إلا أنه يزيد هو عليهما فيربطه كذلك بالأصول الإسلامية الثلاثة : **الألوهية** التي يشير إليها هو بالتوحيد، و**بالنبوة** و**بالميعاد** التي يعبر عنه بالحشر ثم و**العدالة**. حينما يشعر الشيخ النورسي أن قارئه لم يدرك مراده مما قدم حول النظم المرتبط بهذه المقاصد الأربعة يقول[81]:"إن قلت أرني في هذه المقاصد الأربعة في "بسم الله" وفي "الحمد لله".

قلت : لما أنزل "بسم الله" لتعليم العباد كان "قل" مقدرا فيه، وهو الأم في تقدير الأقوال القرآنية[82]. فعلى هذا يكون في "قل" اشارة إلى الرسالة... وفي "بسم الله" رمز الى الألوهية.. وفي تقديم الباء تلويح إلى التوحيد.. وفي "الرحمان" تلميح إلى نظام العدالة والاحسان.. وفي "الرحيم" إيماءٌ إلى الحشر. وكذلك في "الحمد لله" لإشارة إلى الألوهية وفي لام الاختصاص رمز إلى التوحيد.. وفي : "رب العالمين" ايماء الى العدالة والنبوة ايضا ؛ لأن بالرسل تربية نوع البشر... وفي "مالك يوم الدين" تصريح بالحشر".

إن كان النظم عنده مرتبط بما يسميه الأصول الأربعة ؛ فإن هذا النظم يقوم بُنْيَان مرصوصٌ شامخٌ بفضل تأسيسه على صفات احكم درسها وحدد بدقة متناهية، مستلزماتها.

يكفيني شاهدا على ذلك ما يقدمه لنا وهو يستعرض بثبات ويقين وجه النظم في قوله تعالى "الرحمن الرحيم".

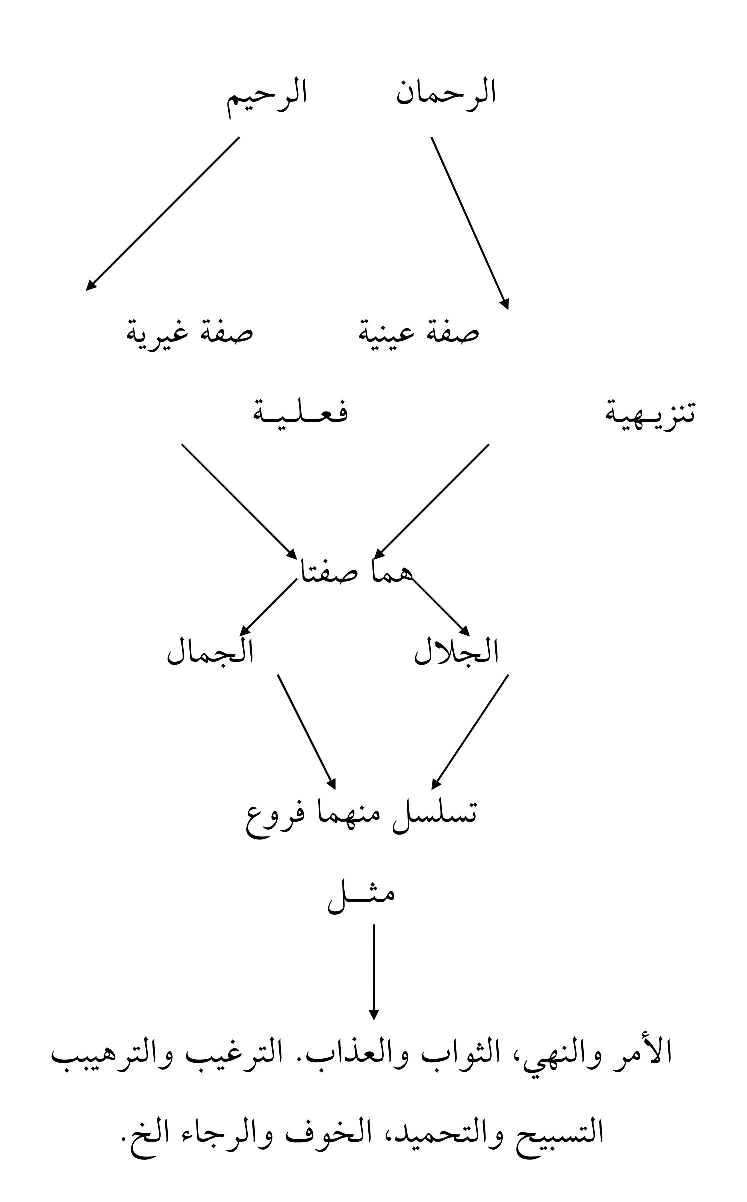
لأبسط هذا الأمر المتشعب أصلا، الغني بتفريعاته أفرغت محتواه في رسم بياني راجياً بهذا تذليل منعرجاته وتقريبه للأذهان (الرسم البياني رقم١)

---

[81] – نفس المصدر المذكور سابقا وبنفس الصفحة.

[82] – يعلق محقق الإشارات الأستاذ احسان قاسم الصالحي فيقول في الهامش رقم ٢ من صفحة ٢٤ "أي يا محمد ! قل هذا الكلام وعلمه للناس".

إن نظرة سريعة على هذا الرسم لتبين لنا بجلاء كيف استطاع الشيخ النورسي أن يكون لنفسه منهجا فريدا في النظم القرآني بثه في الناس بعلم وتؤدة واضحا جليا.




**الرسم رقم ١**

إن الذي يثير الاعجاب حقا هو أن السير في هذا المنحى الوعر والجديد المتشعب الذي اختاره لم ينسه أبدا ما كان يراه علماؤنا الاقدمون في الآيات أو في الجزء من الآية

التي يخضعها لتحليلاته. يقول مثلاً في قوله تعالى :"**الرحمن الرحيم**"[٨٣] : "إن قلت : تذييل "**الرحمن**" الدال على النعم العظيمة بـ "**الرحيم**" الدال على النعم الدقيقة يكون صنعة التدلي. والبلاغة[٨٤].

---

[٨٣] – اشارات الاعجاز.. صفحة ٢٦.

[٨٤] – يريد ان يقول هنا بهذه الإشارة أو البلاغة بهذه الشدة الخاطفة إن صح التعبير أن ما درج عليه العرب في كلامهم عند المدح هو كف/وكف

**I- في صنعة الترقي من الأدنى إلى الأعلى.**

قُلْتُ : "تذييلٌ" للتتميم كالأهداب للعين واللجام للفرس.. وأيضا لما توقفت العظيمة على الدقية كانت الدقيقة أرقى كالمفتاح للقفل واللسان للروح.. وأيضا لما كان هذا المقام مقام التنبيه على مواقع النعم كان الأخفى أجدر بالتنبيه، فيكون صنعة التَّدَلي في مقام الامتنان والتعداد صنعة الترقي في مقام التنبيه".

يشير بهذا الكلام الذي لايمكن أن يُدركه الناس كما يجب أن يدرك إلا إذا كانُوا على بينةٍ مما قاله الأقدمون في موضوع تقديم قوله تعالى : "**الرحمن**" وهو مدح بالوصف الأعلى على "**الرحيم**" وهو مدح بالوصف الأدنى.

تَتَّبع العرب في هذا قاعدة لا تحيد عنها أبداً وهي : الترقي في المدح من الأدنى إلى الأعلى لا التدني من الأعلى إلى الأسفل.

ولابد أن نقر ان لا أحد عبَّر قبل الشيخ النورسي عن هذه القاعدة الأسلوبية بهذه الدقة وبهذه الثقة ملفوفة في هذا الجمال الذي لايدرك.

لقد أشار الاقدمون إليها تارة بايجاز شديد مثل ما فعل الامام محمود بن عمر الزمخشري حين قال ٨٥ : "فان قلت : فلم قدم ما هو ابلغ من الوصفين على ما هو دونه والقياس والترقي من الأدنى إلى الاعلى كقولهم : فلان عالم غزير وشجاع باسل، وجواد فياض' قلت : لما قال **(الرحمان)** فتناول جلائل النعم وعظائمها وأصولها، أردفه **(الرحيم)** كالتتمة والرديف ليتناول مادق منها ولطف".

علق احمد بن منير الاسكندري على قول الزمخشري فقال موضحا أكثر٨٦ "هذا الترتيب خاص بالاثبات وأما التقي فعلى عكسه تقدم فيه الأعلى تقول : ما فلان غريرا ولا عالما، ولو عكست لوقعت في التكرار ؛ إذ يلزم من نفي الادنى عنه نفي الأعلى وكل ذلك

---

[٨٥] – الكشاف عن حقائق غوامض التتريل وعيون الاقاويل في وجوه التأويل للزمخشري ج ١ ، ص :٧.

[٨٦] – الانتصاف للإمام احمد بن الميسر الاسكندري بهامش الكشاف. الهامش رقم ١ ص. ٧ من الجزء الأول.

مستمد في عموم الأدنى وخصوص الأبلغ، واثبات الأخص يستلزم ثبوت الاعم ونفي الاعم يستلزم نفي الأخص".

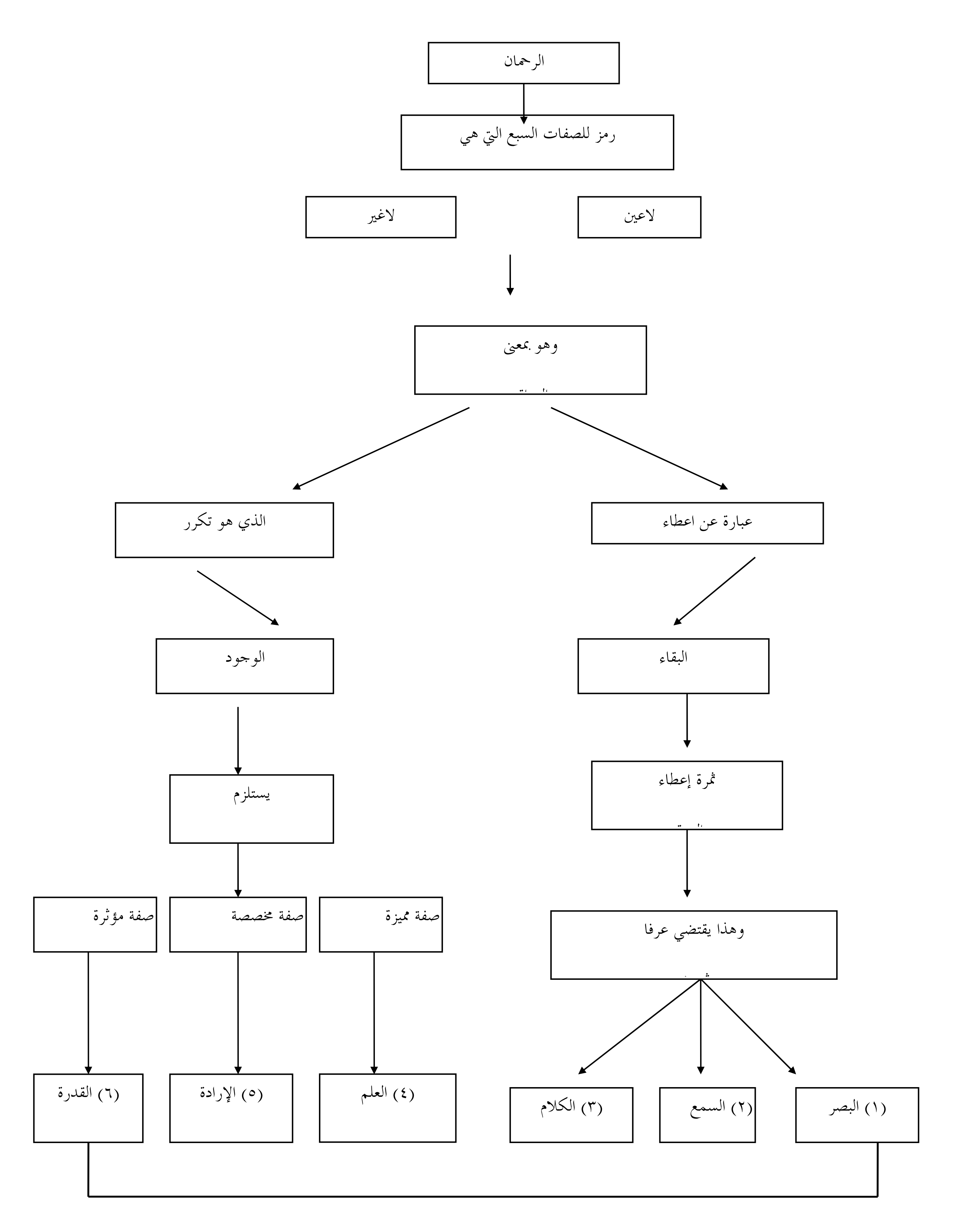
كما تعرَّض لهذه المسألة بإيجاز كذلك محمد بن أبي بكر الرازي في رسالته المسماة : "**انموذج جليل في أسئلة وأجوبة من غرائب التنزيل**"، وذكره بإيجاز كذلك أبو يحي زكرياء الانصاري في كتابه[87]. واسهب الحديث عنه ابو حيان[88] ولم يكتف الشيخ النورسي بهذا وهو يفسر وجه النظم الموجود في قوله تعالى : "الرحمان الرحيم" فأفرد قوله "الرحمان" بعناية فائقة موجها عمق النظم المشتمل فيه.

ونظرا لروعة تخريجاته، من جهة، ولتشابك البينات فيها من جهة اخرى حاولت تبسيط الأمر للناس برسم بياني ربما يوضح اكثر وبسرعة ما أراد، رحمه الله تبليغه للناس، (الرسم ٢).

---

[87] – **فتح الرحامن بكشف ما يلتبس من القرآن"** صفحة ٥.

[88] – البحر المحيط لمحمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الاندلسي ج ١ ص ١٢٩ الطبعة الأولى بيروت ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.




هذه الست تستلزم صفة سابعة هي

فقوله تعالى "الرحمان"، زيادة على أنها رمز للصفات **لاعين** ولا **غير** فهو بمعنى "**الرزاق**". **والرزاق** كما يجب أن يؤكد عليه عبارة عن اعطاء **البقاء**. أما **البقاء** فهو، من جهة، ثمرة **اعطاء الرزق**. ولابد لان يحصل عطاء الرزق ان يثبت للعاطي سبع صفات ؛ ثلاثة منها تابعة **للبقاء** وهي **البصر** و**السمع** و**الكلام**، وثلاثة تابعة **للوجود** وهي الصفة المميزة (**العلم**) والصفة المخصصة (**الإرادة**) والصفة المؤثرة (**القدرة**).

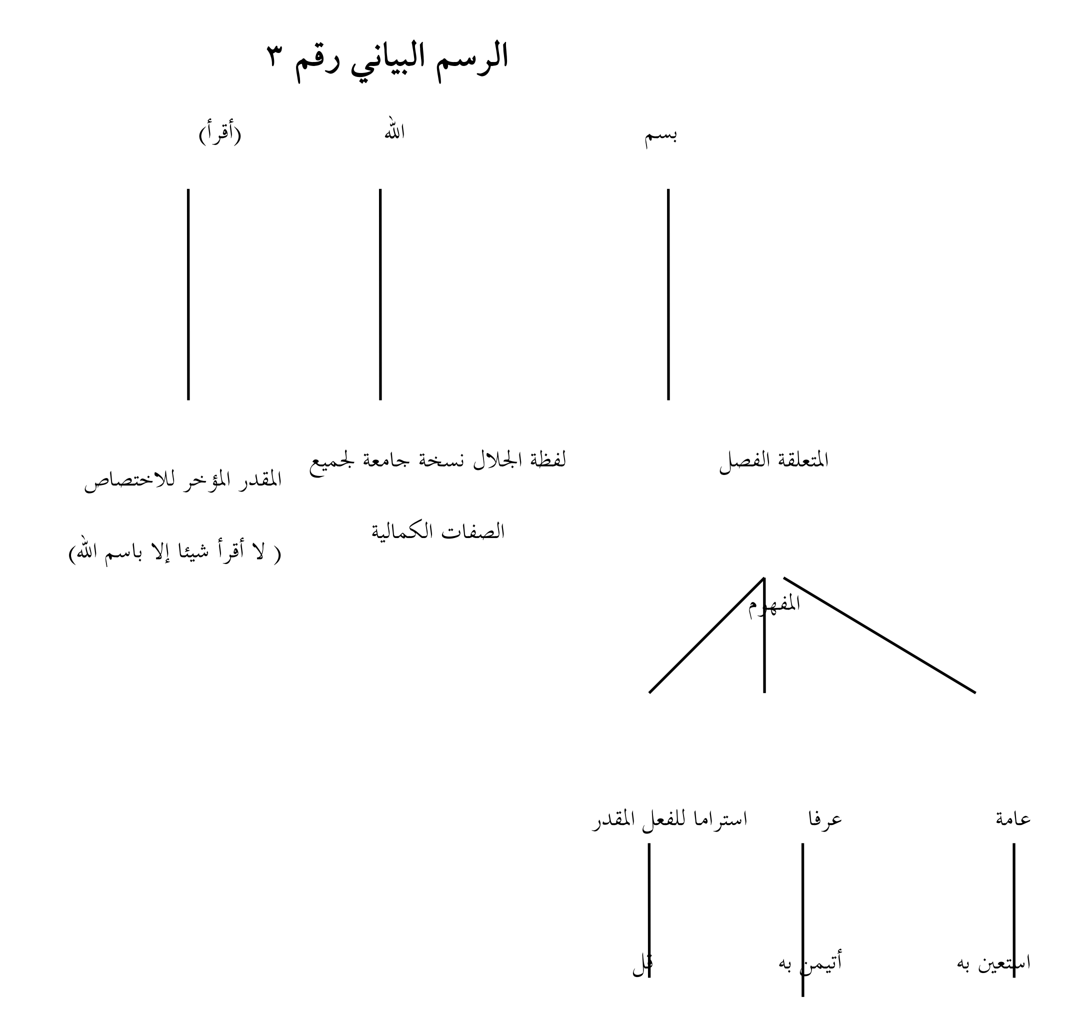
ولابد لتقوم هذه الصفات من ثبوت صفة سابعة وهي الحياة. إن روعة النظم القرآني لتتجلى كما قال في الجزء الأكبر مثل السورة كما تتجلى في الجزء دون ذلك مثل الآية أو في الجزء الأصغر مثل الكلمة والحرف وليبرهن على ذلك يحلل لنا قوله تعالى **(لبسم الله)** مركزاً كلامه على الحرف (باء) ثم على الجزء الفريد **(الله)** الدال على جميع الصفات الكمالية.

ثم إنه لاينسى المقدر، بل يرعاه رعاية خاصة بالغابه الذروة في الوضوح ؛ لنستمع اليه وهو يستعرض علينا، بأسلوبه المتميز الأخاذ وجه النظم في هذا الجزء المجهري من القرآن الكريم (الباء)[٨٩] مشدوداً شداً إيمانياً فريداً بالفعل المقدر الدال على حمل العبد على توحيد **الله** واخلاص العمل له لا لسواه ؛ يقول الشيخ النورسي :[٩٠] :"بسم **الله**" كالشمس يضيء نفسه غيره، حتى إن باءه متعلقه بالفعل المفهوم من معناه-أي : أستعين به أو المفهوم عرفا أي : أتيمن به، أو بما يستلزمه "قل" المقدر من "اقرأ"-المؤخر للاختصاص والتوحيد". اقرب هذا القول إلى الأذهان بالرسم البياني رقم ٣.

---

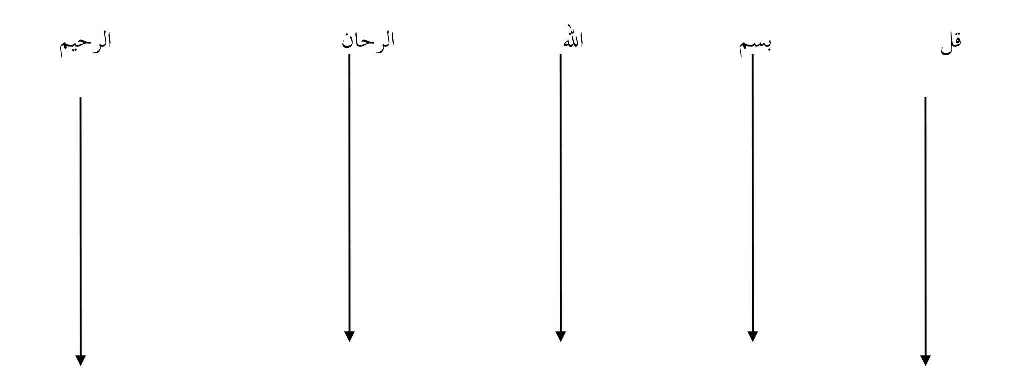
[٨٩] اشارات الاعجاز .. صفحة ٢٥.

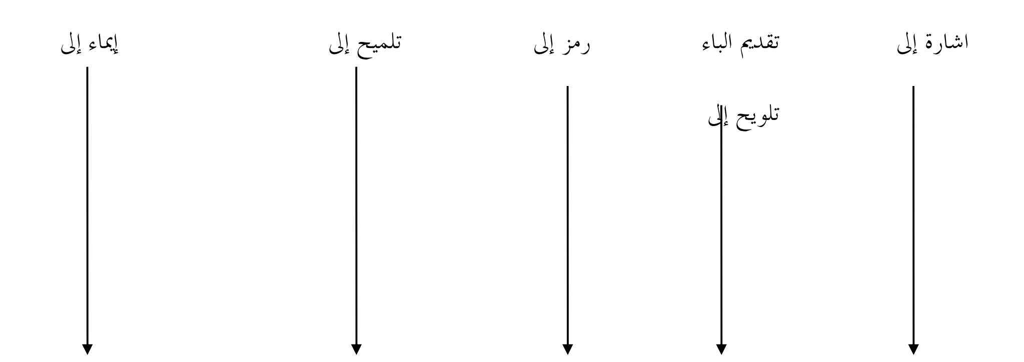
[٩٠] – يعلق محقق "إشارات الاعجاز.." الاستاذ احسان قاسم الصالحي على هذا فيقول : "إن الافعال المذكورة المتعلقة بالباء، تقدر مؤخرا للحصر ليتضمن الاخلاص والتوحيد". (هامش ١ ص : ٢٥).




الذي يفسر فيه الشيخ النورسي التركيب **(بسم الله)**.

وبنفس الحماس وبعين قوة الإيمان الذي أوتيه يتعرض للجملة **(بسم الله الرحمن الرحيم)** فيستعرض وجد النظم فيها (الرسم البياني ٤).




**الرسم البياني رقم ٤**

وهو دائما مولع بربط الأجزاء بعضها ببعض، وإن بعدت، ثم يتصدى، بكليته باحثاً عن القاسم المشترك الذي يجمع هذه الأجزاء بعضها إلى بعض.

يقول مثلا عن أقواله تعالى : "**نعبد**" و"**الحمد**" و"**مالك يوم الدين**"٩١ : "وجه النظم : أن "**نعبد**" بيان وتفسير لـ "**الحمد**" ونتيجة ولازم لـ "**مالك يوم الدين**".

وقبل هذا وضح لنا الرابط المشترك الذي يجمع بين هذه الأجزاء الثلاثة فقال ٩٢ : "والتكلم مع الغير في "نعبد" لوجوه ثلاثة.

أي نعبد **نحن معاشر أعضاء وذرات** هذا العالم الصغير-وهو أنا- بالشكر العرفي الذي هو إطاعة كُلٍّ لما أمر به.. أو **نحن معاشر الموحدين** نعبد باطاعة شريعتك... أو **نحن**

٩١ – اشارات الاعجاز... صفحة ٣٠.

٩٢ – نفس المصدر ونفس الصفحة.

**معاشر الكائنات** نعبد شريعتك الكبرى الفطرية[93] ونسجد بالحيرة والمحبة تحت عرش عظمتك وقدرتك"

لقد جمع في هذه الفقرة القصيرة "**حكمة التكلم مع الغير**" المتجلية في قوله تعالى : (نعبد) ؛ حكمة بالغة تبرر ان "المعاشر جميعها تعبد خالقها ؛ إن بالشكر العرفي الذي تؤديه معاشر اعضاء وذرات هذا العالم الصغير، إن بإطاعة الشريعة كما تقوم به معاشر الموحدين، إن بالخضوع الكامل للشريعة الكبرى الفطرية التي ألزمت بها معاشر الكائنات.

وحين يريد أن يبسط وجه النظم في قوله تعالى :"اهدنا" يقول [94] : "وجه النظم : إنه جواب العبد عن سؤاله تعالى كأنه يسأل : أي مقاصدك أعلقُ بقلبك؟ فيقول العبد : اهدنا".

يتضح من هذه الاشارة الموحية ان الفعل "**اهدنا**" هو المقصد الاعظم الذي تعلق به العبد التعلق الذي أنساه كل تعلق غيره. وما أدرك هذا الفعل هذا المقام عند العبد إلا بفضل تعدد مراتب معانيه، انطلاقا من تنوع أدوار الهادين والمستهدين وغيرهما. يشرح هذا الشيخ سعيد فيقول : "[95] واعلم ان "اهدنا" بسبب تعدد مراتب معانيه-بناء على تنوع مفعوله إلى الهادين والمستهدين والمستزيدين وغيرهم- كأنه مشتق من المصادر الأربعة لفعل الهداية. فاهدنا باعتبار **معشر "ثبتنا"** وبالنظر إلى **جماعة « زدنا"** وبالقياس إلى **طائفة "وفقنا"** وإلى فرقة **"اعطنا"**... وأيضا إن الله تعالى بحكم خلق كل شيء وهدى، **هدانا** باعطاء الحواس الظاهرة والباطنة ثم **هدانا** بنصب الدلائل الآفاقية والانفسية ثم **هدانا** بإرسال الرسل وانزال الكتب، ثم هدانا أعظم الهداية بكشف الحجاب عن الحق فظهر الحق حقا والباطل باطلا.." يظهر من هذا بايجاز شديد أن تعدد مراتب المعاني مرتبطة مع تنوع المفعولين هاد ومستهد ومستزيد "الخ" مبنية على مصادر اربعة كلها مستمدة من حقل الفعل الموجه "اهدنا".

**بحيث يصبح معنى الفعل "النواة" (اهدنا) مع مريديه كما يلي :**

- ان كنا معشرا ثبتنا

---

[93] – يعلق محقق "اشارات الاعجاز" على هذا محاولاً توضيح الافعال التي الزمت بها هذه "المعاشر الثلاثة" فيقول : (هامش ٤ صفحة ٣٠) أي ننقاد ونخضع ونطيع.

[94] – اشارات الاعجاز صفحة ٣١.

[95] –

- وان كنا جماعة زدنا
- وان كنا طائفة وفقنا
- وان كنا فرقة اعطنا

**الدكتور التهامي الراجي الهاشمي**

## من مظاهر التجديد الادبي في "رسائل النور"

## الأدب القرآني : د. حسن الأمراني

## مقدمة

من جادل في كون بديع الزمان النورسي مجدد القرن الرابع عشر، لايستطيع أن يدفع بأنه من مجدديه. والتجديد كما هو في حقيقته، وكما فهمه بديع الزمان- لايقتصر على جانب دون جانب من أمور الحياة، بل التجديد الذي يشمله كل قرن يمس الحياة في شموليتها، إذ المجدد ينبغي أن يقوم "بتجديد الدين والإيمان، وتجديد الحياة الاجتماعية والشريعة، وتجديد الحقوق العامة، والسياسة الإسلامية"[٩٦].

ولكن اجتماع هذه الوظائف في شخص واحد يكاد يكون مستحيلا، إلا أن يكون شخصا معنويا، كما يرى بديع الزمان، وعلى هذا فإن لفظ "من" في الحديث الشريف لايتصرف إلى فرد بعينه، ولاحتى إلى جماعة بعينها، بقدر ما يتصرف إلى ذلك الشخص المعنوي الذي يكون ضمير الأمة كلها.

ولما كان الأمر كذلك، اقتنع بديع الزمان بضرورة صرف نظره التجديدي إلى جانب واحد من جوانب الحياة، وقد اختار أن يكون "التجديد في مجال المحافظة على الحقائق الإيمانية، فهي أجل وأعظم تلك الوظائف الثلاث لذا تبقى دوائر "الشريعة" و"الحياة الاجتماعية والسياسية" في الدرجة الثانية والثالثة والرابعة بالنسبة لدائرة الإيمان"[٩٧].

لقد اختار بديع الزمان أن يجعل من همه "انقاذ الإيمان"، وقد وجد أن السبيل إلى ذلك صفاء المشرب، ولم يجد مشرباً صافياً صفاء لاكدر فيه غير القرآن الكريم، فرضي لنفسه وشرف بأن يكون خادما للقرآن الكريم فأفاض عليه القرآن فيوضات مست كل جوانب الحياة.

---

[٩٦] – الملاحق، ملحق قسطمربي ١٩٦.

[٩٧] – نفسه.

لقد عني النورسي، أول ماعني، بإعجاز القرآن وأسرار بلاغته، فهداه كل ذلك إلى مفهوم جديد للبلاغة والأدب. ومطالع "رسائل النور" يدرك أن بديع الزمان كان أديبا وناقدا من الطراز الأول، ولفهم طبيعة أي تجديد لابد من النظر إليه في سياقه التاريخي، وما أملاه النورسي من رسائل يعود معظمه إلى النصف الأول من القرن العشرين، وهي فترة كانت تعج بدعوات التجديد، ومنه التجديد الأدبي، في العالم الإسلامي كله. والآداب العربية والتركية والفارسية والآداب شاهدة على ذلك، ولكن ما تميز به بديع الزمان في دعوته التجديدية عن كثير من الدعوات، أن تلك الدعوات كانت تنطلق في تجديدها من خارج الذات، أما بديع الزمان فقد دعا وانطلق من الذات. كان التجديد في مفهوم كثير من الاتجاهات الأدبية يعني استجلاب حداثة الغرب، أما بديع الزمان فقد دعا إلى تجديد النظر في مقومات الأدب، ومن هنا عني بالجوهر، وعني سواه بالأعراض. فإذا نظرنا إلى الدعوات التجديدية في العالم العربي، مثلا، وجدنا التسابق نحو المدرستين الفرنسية والانجليزية، الامريكية، فتولد من ذلك أدب جديد، منبت عن واقعنا الحضاري وتاريخنا الأدبي، ولنا في تجربة مدرسة أبولو، وشعراء المهجر، أكبر دليل على ذلك.

إن الحديث عن مظاهر التجديد الأدبي عند النورسي لاتسعه مجلدات، فضلا عن أن يوجز في عرض متواضع محدود كهذا، ولذلك فلن يكون عملي هنا غير أن أكون دالا على الطريق المؤدي إلى ذلك الأدب.

ذلك بأنه على الرغم من حرص بديع الزمان على تقريب معانيه إلى الإفهام، مما جعله يؤثر أسلوباً تميز به، هو أسلوب الحكاية التمثيلية وضرب الأمثال، وأنه جعل الإبانة من أهم أغراض الرسائل، إذ "رسائل النور تؤدي هذه الوظيفة، وفي أحلك الحالات وأشدها رهبة، وفي أحوج الأوقات وأحرجها، فتؤدي خدماتها الإيمانية بأسلوب يفهمه الناس جميعا"[٩٨] إلا أن الحديث عن البلاغة والأدب ليس ميسوراً فهمه دائماً، وفي كل

---

[٩٨] – السيرة : التقديم

الحالات، لكل الناس، فلذلك جاءت بعض الفصول أو المقالات يشوبها بعض الغموض، مما جعلها بحاجة إلى شرح مفصلة. وهو أمر تنبه إليه البديع ودل عليه، وعلله بقوله : "اعلم يقينا أن هذه المقالة تبدو لك غامضة مغلقة، ولكن ما الحيلة؟ فإن شأن المقدمة الإجمال والإيجاز"[٩٩].

لم يجعل النورسي بينه وبين حضارة الغرب حجابا مستورا، يجعله يرفض كل ما يجئ من الغرب، فهو مطلع على تلك المدنية وأسرارها، ولكن تعامله معها كان تعامل الناقد البصير، لاتعامل الصبي الظمآن المنبهر بأهمها، وعلى هذا لايكون الأخذ عن الغرب محظوراً، إلا أن ذلك الأخذ يجب أن يحاط بشروط، أهمه عرض الفكر الوارد على منطق الشريعة، ومصفاة الإيمان :"إن نهر العلوم الحديثة والثقافة الجديدة الجاري والآتي الينا من الخارج كما هو الظاهر، ينبغي ان يكون احد مجاريه قسما من أهل الشريعة كي يتصفى من شوائب الحيل ورواسب الغش والخداع، لأن الأفكار التي نمت في مستنقع العطالة، وتنفست سموم الاستبداد، وانسحقت تحت وطأة الظلم، يحدث فيها هذا الماء الآسن العفن خلاف المقصود.

فلا بد إذن من تصفيته بمصفاة الشريعة"[١٠٠].

وهكذا فإن التجديد الادبي عند بديع الزمان، خلافا للاتجاهات السائدة، لم يكن استنساخ التجربة الأدبية الغربية، بقدر ما كان نقداً للغرب. وقد كان هذا النقد، وما تلاه من تأسيس رؤية جديدة للأدب، نابعا من معاشرة القرآن الكريم،

واستغناء ا بأدب القرآن عما سواه.

لقد جاء القرآن الكريم معجزة بيانية، أي أدبية، فاستظلت بظله آداب الشعوب الإسلامية، فاكتسبت من أجل ذلك رونقا و بهاء، وعمقا وأصالة. ولما انحرفت عن صفاء

---

[٩٩] – صقيل الإسلام : ١١١.

[١٠٠] – صقيل الإسلام : ٥٣٠.

ذلك النبع أصابها ماأصابها من ضمور وهزال ويحدثنا بديع الزمان عن مظاهر ذلك الضمور واأسبابه فيقول أسفا :"إنه لما انجذب الأعاجم بجاذبة سلطنة العرب فسد بالاختلاط ملكة الكلام المضري، التي هي أساس بلاغة القرآن، إذ لما تعاطى الأعاجم والدخلاء صنعة البلاغة العربية حولوا الذوق البلاغي من مجراه الطبيعي للفكر هو نظم المعاني، إلى صنعة، وهو اللفظ"[١٠١] ويعلل ذلك بقوله :"لأن مزاج الأمة مثلما أنه منشأ أحاسيسها ومشاعرها، فإن لسانها القومي يعبر عن تلك المشاعر ويعكس تلك الأحاسيس. وحيث ان امزجة الآمة مختلفة، فاستعداد البلاغة في السنتها متفاوت أيضا، ولاسيما اللغة العربية الفصحى المبنية على قواعد النحو"[١٠٢]

وهكذا انتشرت العناية باللفظ وصار المعنى مسخراً له "فاتسعت المسافة بين طبيعة البلاغة، وهي كون اللفظ خادما للمعنى، وصنعة العاشقين للفظ"[١٠٣] وقد ضرب لنا مثلا فقال :"فإن شئت فادخل في "مقامات الحريري" فإنه مع جلالة قدره في الآدب، قد استهواه حب اللفظ، وبذلك أخل بأدبه الرفيع، فأصبح قدوة للمغرمين باللفظ، حتى خصص الجرجاني-ذلك العملاق- ثلث كتابيه، دلائل الاعجاز وأسرار البلاغة، دواء لعلاج هذا الداء"[١٠٤].

وليس معنى هذا أن بديع الزمان ينتقص من قدر اللفظ، ويعتبره من فضول القول، او ينتصر للمعنى وحده، وكيف يكون ذلك وهو المعجب بعبد القاهر الجرجاني، حتى وصفه بالعملاق؟ الا أن اللفظ لابد أن يكون منسقا مع المعنى "نعم اللفظ يزين ولكن إذا اقتضته طبيعة المعنى وحاجته.. وصورة المعنى تعظم وتعطي لها مهابة، ولكن إذا أذن بها المعنى.. والأسلوب ينور ويلمع، ولكن إذا ساعده استعداد المقصود.. والتشبيه يلطف ويجمل ولكن

---

[١٠١] – نفسه : ٩٧.

[١٠٢] – نفسه.

[١٠٣] – نفسه ٩٨.

[١٠٤] – نفسه ٩٨.

إذا تأسست على علاقة المقصود وارتضى به المطلوب.. والخيال ينشط ويسيح ولكن إذا لم يؤلم الحقيقة، ولم يثقل عليها، وأن يكون مثالا للحقيقة متسنبلا عليها"١٠٥.

**أسباب الانحطاط الأدبي ودواعي التجديد :**

الألفة داء يحجب الجمال، والعادة ستار يحجب الأسرار، والأدب يعتمد المجاز، فيكون بذلك كشفا لما وراء العادة من أسرار، فإذا تحول المجاز إلى حقيقة فقد سحره، وأنطفأ نوره. وهكذا يتجدد الأدب بتجدد المجاز، أي بالعدول عن التعبير الحقيقي الكثيف، الذي إن صلح أسلوباً للاقناع والمناظرة لم يصح أسلوباً للابداع الأدبي، إلى التغيير المجازي الشفاف. فإذا طال الأمد، وبدأ التعبير يفقد مجازيته شيئا فشيئاً ويقترب إلى الحقيقة فقد رواءه وجماله، وانتكس الأدب.

"إذ المجازات والتشبيهات إذا ما اقتطعتهما يسار الجهل المظلم من عين العلم المنور، أو استمرتا وطال عمرهما، انقلبتا إلى "حقيقة" مستفرغة من الطلاوة والنداوة، فتصير سرابا خادعا بعدما كانت مستفرغة من الثرواة والنداوة ، فتصير سرابا خاضعا بعدما كانت شرابا زلالا، وتصبح عجوزا شمطاء بعدما كانت فاتنة حسناء"١٠٦ فإذا آل الأمر إلى هذا الوضع صار التجديد حتما مقضيا، وصار الانكباب على التقليد نوعا من العي والعجز.

لقد كان تشبيه الرجل بالأسد في الشجاعة، وبالبحر في الكرم،١٠٧ ابداعاً وتجديداً يوم نطق به أول ما نطق به، وما زالت الألسنة تتداوله وتبليه حتى صار التعبير به ضربا من العي، وأصبح متداولا تلوكه العامة، فلم تعد له حلاوة، ولا عليه طلاوة.

ليست رسالة الأديب إذن هي الخلق، بل الكشف. إن العالم ملئ بالأسرار، وإن هذه الأسرار إنما تغطيها حجب الألفة والعادة، وما على الأديب الا ان يستبطن الأشياء، ويكشف عنها الحجب المستورة.

---

١٠٥ – نفسه ٩٨-٩٩.

١٠٦ – صيقل الاسلام : ٤٠.

١٠٧ – طلاوة.

**الأدب القرآني** : يرى بديع الزمان أنه لايجمل بنا إلا أن يكون أدبنا قرآنيا والآدب القرآني هو القرآن، في صورته المثال، ثم هو الأدب المهتدي بهدي القرآن. ومن أجل تجلية حقائق الأدب القرآني يلجأ بديع الزمان، في عدد من رسائل النور، إلى الموازنة بين الأدب القرآني وأدب الحضارة الغربية. ولم يكف تركيزه على نقد أدب الحضارة الغربية دون غيره من الآداب، إلا وجها من أوجه دحض ما آل إليه الأمر من أن ذلك الأدب صار فتنة لأدباء العالم الإسلامي وهكذا يبين النورسي أن "الأدب الحاضر، المترشح من ادب اوربا، عاجز عن رؤية ما في القرآن الكريم من لطائف عالية ومزايا سامية، من خلال نظرته الروائية، بل هو عاجز عن تذوقها، لذا لايستطيع ان يجعل معياره محكا له.

والأدب يجول في ثلاثة ميادين، دون ان يحيد عنها.

ميدان الحماسة والشهامة..

ميدان الحسن والعشق..

ميدان تصوير الحقيقة والواقع..

**فالأدب الأجنبي :**

في ميدان الحماسة ؛ لاينشد الحق، بل يلقن شعور الافتتان بالقوة، بتمجيده جور الظالمين وطغيانهم.

وفي ميدان الحسن والعشق ؛ لايعرف العشق الحقيقي، بل يغرز ذوقا شهويا عارما في النفوس.

وفي ميدان تصوير الحقيقة والواقع ؛

لاينظر إلى الكائنات على أنها صنعة إلهية ؛ ولايراها صبغة رحمانية، بل يحصر همه في زاوية الطبيعة ويصور الحقيقة في ضوئها، ولايقدر الفكاك منها..لذا يكون تلقينه عشق الطبيعة، وتأليه المادة، حتى يمكن حبها في قرارة القلب، فلا ينجو المرء منها بسهولة.

ثم ان ذلك الأدب المشوب بالسفه، لايغني شيئا عن اضطرابات الروح وقلقها الناشئة من الضلالة والواردة منها أيضا، ولربما يهدئها وينميها. وفي حسبانه أنه قد وجد حلاً، وكأن العلاج الوحيد، وهو رواياته، وهي :

في كتاب .. ذلك الحي الميت.

وفي سينما.. وهي أموات متحركة.

وفي مسرح.. الذي تبعث فيه الأشباح وتخرج سراعا في تلك المقبرة الواسعة المسماة بالماضي!.

هذه هي أنواع رواياته.

وأني للميت أن يهب الحياة!.

وبلا خجل ولاحياء وضع الأدب الاجنبي لسانا كاذبا في فم البشر..

وركب عينا فاسقة في وجه الإنسان.. وألبس الدنيا فستان راقصة ساقطة.

فمن أين سيعرف هذا الأدب، الحسن المجرد.

حتى لو أراد ان يري القارئ الشمس، فإنه يذكره بممثلة شقراء حسناء

وهو في الظاهر يقول :"السفاهة عاقبتها وخيمة، لاتليق بالإنسان"

ثم يبين نتائجها المضرة..

إلا أنه يصورها تصويرا مثيرا إلى حد يسيل منه اللعاب، ويفلت منه زمام العقل، إذ يضرم في الشهوات، ويهيج النزوات.. حتى لايعود الشعور ينقاد لشيء"[١٠٨]. إن مفهوم الأدب مرتبط بطبيعته وبرسالته وبأدبيته على السواء.

---

[١٠٨] – الملاحق : ملحق قسطموني ١٨٧–١٨٨

قارن موقف النورسي في السينما بما قالته الممثلة المعتزلة نسرين (المجتمع : ع ١٣٤١ ذو القعدة ١٤١٩هـ–مارس ١٩٩٩م).

ليس الشأن إذن في ميادين الأدب وموضوعاته، إذ ميادين الأدب وموضوعاته وأغراضه قد تكون متشابهة، بل قد تكون واحدة، ولكن الشأن كله في الرؤية التي يصدر عنها ذلك الأدب، وفي الأسلوب الذي يعبر به عن تلك الرؤية أيضا وإذا كان النورسي يميل إلى التعريف عن طريق النفي، لا الايجاب، وذلك بنفي عدد من الصفات عن الأدب الغربي، فذلك يعني ان الأدب الحق، الأدب القرآني، هو الذي يمتلك تلك الصفات ويتحقق بها. ثم إن الأدب الذي ينعي النورسي اسلوبه وطريقته هو ذلك الأدب الذي أطلق عليه د. أحمد بسام ساعي اسم "السامرية الجديدة". فهو أدب يزعم الإصلاح، ولكنه باسم الواقعية، وباسم تصوير الحقائق كما هي ، يميل إلى أسلوب يزين الانحراف، ويحبب السلوك المشين، ويكون لذلك الاسلوب فعل السحر في إثارة الغرائز، وإضرام الشهوات، وتهييج النزوات.

"اما أدب القرآن الكريم، فإنه لايحرك ساكن الهوى، لايثيره، بل يمنح الإنسان الشعور بنشدان الحق وحبه، والافتتان بالحسن المجرد، وتذوق عشق الجمال، والشوق إلى محبة الحقيقة.. ولايخدع أحداً

فهو لاينظر إلى الكائنات من زاوية الطبيعة، بل يذكرها صناعة إلهية، صبغة رحمانية، دون ان يحير العقول.

فيلقن نور معرفة الصانع..

ويبين آياته في كل شيء.."[١٠٩].

وهذه الخصائص واضحة في القرآن الكريم جلية، فقصصه هو القصص الحق، والقصة القرآنية واقعية في نقل الأحداث، صادقة كل الصدق في تصوير المشاعر، وعكس احاسيس النفس في مرآة الحق، ولكن واقعية الأدب القرآني واقعية مثالية، إن صح التعبير،

---

[١٠٩] – نفسه : ١٨٩.

تعمل على تطهير النفس، وتهذيب الأخلاق، وتقويم السلوك، وتجعل الأرواح مشرئبة إلى عالم الجمال الكامل، والكمال الجميل.

وإذا كان الأدب والبلاغة، من حيث تأثير الأسلوب، إما يورثان إما الحزن وإما الفرح، فإن كلا الأدبين-القرآني والغربي- يورثان حزنا مؤثرا، أو فرحا مؤثرا، إلا إنهما لايتشابهان إن حالتي الحزن والفرح اللتين يتحدث عنهما بديع الزمان، هم حالتا القبض والبسط، بتعبير النقاد والفلاسفة المسلمين قديما[١١٠].

(إن آداب المدنية وبلاغتها مغلوبة أمام الأدب القرآني وبلاغته. والنسبة بينهما أشبه ما تكون ببكاء يتيم فقد أبويه، بكاء ملؤه الحزن القاتم واليأس المرير، إلى إنشاء عاشق عفيف حزين على فراق قصير الأمد، غناء ملؤه الشوق والأمل..)[١١١].

(فما يورثه أدب الغرب هو حزن مهموم، ناشئ عن فقدان الأحباب، وفقدان المالك، ولايقدر على منح حزن رفيع سام.. فهذا الشعور المليء بالأحزان والألام يهيمن على كيان الإنسان، فيسوقه إلى الضلال، وإلى الالحاد، وإلى انكار الخالق.. حتى يصعب عليه العودة إلى الصواب، بل قد لايعود أصلا.

أما ادب القرآن الكريم فانه يمنح حزنا ساميا علويا، ذلك هو حزن العاشق، لا حزن اليتيم.. هذا الحزن نابع من فراق الأحباب، لا من فقدانهم)[١١٢].

وفي هذا الكلام رد على الذين يزعمون ان الأدب الاسلامي أدب مباشر لأنه مطمئن لايستهلك أسباب التوتر، والأدب الرفيع لايتولد عن التوتر.

إن توتر الأدب القرآني توتر بناء، لايدمر صاحبه، وللنورسي قطعة فنية جميلة تعبر أصدق تعبير عن هذا المفهوم الذي يستل من قلب الليل نورا، ويوقد من الظلمات سراجا وهاجسا. عنوان هند القطعة : (الداعي) وفيها يقول :

---

[١١٠] – انظر على سبيل المثال : منهاج البلغاء : حازم القرطاجني.

[١١١] – الكلمات : ٤٧٦-٤٧٧.

[١١٢] – الملاحق : ١٨٩.

قبري المهدم يضم تسعا وسبعين جثة لسعيد ذي الآثام والآلام

وقد غدا شاهد القبر تمام الثمانين

والكل يبكي معا لضياع الإسلام

فيئن قبري الملئ بالأموات مع شاهده

وغدا انطلق مسرعا إلى عقباي

وانا على يقين ان مستقبل آسيا بأرضها وسمائها

سيستسلم ليد الإسلام البيضاء

إذ يمينه يمن الإيمان

يمنح الطمانينة والأمان للانام[113].

وكما ان الحزن قسمان، فكذلك الفرح والسرور قسمان.

(الأول : يدفع النفس إلى شهواتها، هذا هو شأن آداب المدنية في أدب مسرحي وسنيمائي وروائي.

أما الثاني : فهو فرح لطيف برئ نزيه، يكبح جماح النفس ويلجمها، ويحث الروح والقلب والعقل والسر على المعالي وعلى موطنهم الأصلي، علىمقرهم الأبدي، على أحبتهم الأخرويين. وهذا الفرح هو الذي يمنحه القرآن المعجز البيان الذي يحض البشر ويشوقه على الجنة والسعادة الأبدية وعلى رؤية جمال الله تعالى)[114].

**الإذعان، لا الالتزام :**

مع هيمنة المدارس الأدبية الغربية على آداب الشعوب الإسلامية، تسلطت على الأدباء والنقاد مجموعة من الأفكار التي صارت عندهم مبادئ لا يجوز الحياد عنها، وقد ظل ذلك كذلك عقودا من الزمن، ومن تلك الأفكار فكرة (الالتزام) التي ظهرت مع

---

[113] – هي في (اللوامع) ضمن (الكلمات : ٣٣٧) أعيد نشرها في السيرة الذاتية : ٤٨٨. وقد شرح النورسي هذا الكلام بنفسه، في الهامش، فلينظر هناك.

[114] – الكلمات : ٤٧٧.

الواقعية الاشتراكية، كما ظهرت عند وجودية سارتر، ولاسيما في مؤلفه الشهير : (ما الأدب)؟

بيد ان فكرة الالتزام التي أريد من ورائها تأكيد الأدب الرسالي، مواجهة لمدرسة الفن للفن، أسيء استعمالها، ولاسيما في المعكسر الاشتراكي، وعلى عهد جدا نوف بخاصة، فتحول (الالتزام) إلى (إلزام)، وانتحر الأدب بانتحار الفنانين، حقيقة مثل مايا كوفسكي، أو مجازاً مثل باسترناك.

وقد كثر الجدل بين أنصار هذه الاتجاه او ذاك، وكثر الحديث حول العلاقة بين (الالتزام) و(الحرية)، وماذلك إلا أن (الالتزام) كما نادى به أصحابه لايحتكم إلى الحق بقدر ما يحتكم إلى الهوى، هوى الفرد أو هوى الجماعة لافرق، ولايحتكم الى الخالق الغني المتعال، بل يحتكم إلى المخلوق الضعيف المقيد بالأهواء والنزعات، ولذلك دعا النورسي إلى أن تكون الكلمات إذعاناً لا التزاما، أي إذعانا للحق، وتعاليم الحق، وما الإسلام إلا الإذعان المطلق لإرادة الله تعالى، وذلك الإذعان المطلق هو الذي يحقق الحرية التي يتنفسها الأديب، ولايستطيع أن يحيا بدونها. ولذلك كان للكلمات التي سطرها النورسي فعل السحر في النفوس، إذ "ما يفعله سطر واحد منها من التأثير يعادل صحيفة كاملة من غيرها، وماتحمله صحيفة واحدة من قوة التأثير يعادل تأثير كتاب كامل آخر"[١١٥].

وكان الأسلوب الأثير عند النورسي هو ما عرف به من "ضرب الأمثال"، وهو ما يعتبره نعمة من نعم الله تعالى، فقال : انعم علي سبحانه شعلة من "ضرب الأمثال" التي هي من أسطع معجزات القرآن وأوضحها، انه مهما يظهر من قوة التأثير، وبهاء الجمال في أسلوب كتاباتي، فإنها ليست مني، ولامما مضغه فكري، بل هي من لمعات "ضرب الأمثال" التي تتلألأ في سماء القرآن العظيم، وليس خظي فيه إلا الطلب والسؤال منه تعالى، مع شدة الحاجة والفاقة، وليس لي إلا التضرع والتوسل إليه سبحانه مع فقهي العجز والضعف.

---

[١١٥] – السيرة : ٢٤٢.

فالداء مني والدواء من القرآن الكريم"١١٦.

الأدب الكوني : الأدب القرآني ليس أدبا قومياً، ولا إقليمياً، ولايخص جنساً دون جنس، ولا أمة دون أمة، بل هو أدب كوني، يتوجه إلى الإنسان أينما كان، وكيفما كان، فلذلك آثاره جلية على فطاحل الأدباء من غير المسلمين، أيضا. بل هو يتجاوز، في تعامله مع الكون والحياة، الإنسان إلى ماخلق الله من الطبيعة والنبات والحيوان.. إنه الأدب الذي يؤول إلى موقف رسول الله، صلى الله عليه وسلم، من جبل أحد، وقوله عليه السلام : "هذا جبل يحبنا ونحبه".

ولما كانت لغة الأدب لغة مجاز، تدل على الحقائق الجوهرية السامية، وجدنا ذلك القري في آثار بعض أدبائنا، ومما ينسب للمجنون :

**فأجهشت للتوباد حين رأيته　　　　وكبر للرحمن حين رآني**

وقصيدة ابن خفاجة في الجبل أشهر من أن يفصل فيها القول.

هذا الأدب الكوني هو الذي تجلى في رسائل النور ابداعا وموقفا ففي (رسالة تستنطق النجوم)١١٧ يقدم النورسي قطعة فنية بديعة، ويبدؤها بقوله :

"كنت يوما على ذروة قمة من قمم جبل "جام" نظرت إلى وجه السماء في سكون الليل، وإذا بالفقرات الآتية تخطر ببالي، فكأنني استمعت خيالا إلى ما تنطق به النجوم بلسان الحال.."

وتسيح بنا هذه الرسالة في عالم النجوم، حيث تتحول كائناً حيا ناطقا، يدعونا بديع الزمان إلى الإصغاء إليها قائلا :

"واستمع الى النجوم ايضا، إلى حلو خطابها اللذيذ

لترى ما قرره ختم الحكمة النيرة على الوجود

---

١١٦ – المكتوبات : ٤٨٦-٤٨٧- السيرة = ٢٤٣.

١١٧ – الكلمات : ٢٤٦-٢٤٧.

إنها جميعا تهتف وتقول معا بلسان الحق :

نحن براهين ساطعة على هيبة القدير ذي الجلال

نحن شواهد صدق على وجود الصانع الجليل وعلى وحدانيته وقدرته

نتفرج كالملائكة على تلك المعجزات اللطيفة التي جملت وجه الأرض"

I- وهكذا إذن تنساب هذه القطعة البديعة، متجاوزة الجمال الظاهري الذي طالما سحر الرومانسيين إلى الجمال الحق الشامل، جمال الخلق الدال على جمال الخالق.

ولكن كل ذلك في نهاية الأمر إنما يتوجه به إلى الإنسان الملبي نداء الفطرة في كل مكان فتقول النجوم :

"هكذا نبين مائة الف برهان وبرهان، بمائة الف لسان ولسان، ونسمعها إلى من هو انسان حقا.

عميت عين الملحد لايرى وجوهنا النيرة، ولايسمع أقوالنا البينة... فنحن آيات ناطقة بالحق، وقد خص بديع الزمان موضوع (الجمال) بمبحث مفصل بديع في (الشعاعات) لايسمح الوقت بالوقوف عنده.

**رسالة الشعر** : طالما أبدى بديع الزمان إعجابه بالشعر الرفيع، ولكم تمنى لو كان شاعراً، ولكن عجزه عن نظم الشعر لم يمنعه من تذوق فرائده، ولا من أن تسري روحه الشاعرة في كلماته الساحرة. فهو يكتب مناجاة عذابنا : (هو الباقي)، وقد أراد من ورائها معارضة قصيدة (الأسماء الحسنى) للشيخ الكيلاني، لكنه أفصح عن عجزه فقال :"إنني اردت كتابة نظيرة لمناجاة أستاذي الجليل السامي، ولكن هيهات، فإني لا أملك موهبة في النظم، لذا عجزت وظلت المناجاة مبتورة"١١٨

---

١١٨ – الكلمات : ٢٤١.

إن رسالة الشعر عظيمة، وهي :"تجميل الحقائق الصغيرة الغامضة، وتزيينها بالخيال البراق، وجعلها مقبولة تجلب الاعجاب.."[119]

**حسـن الأمـرانـي**

**وجــدة**

## النورسية هوية الأمة التركبة الإسلامية


**د. محمد أمين الإسماعيلي**

**-أستاد العقيدة وتاريخ الأديان بكلية الآداب والعلوم الإنسانية - بالرباط-**


[119] - الكلمات :١٥٢.

### ١- النورسية في مواجهة العلمنة

ولد بديع الزمان سعيد النورسي سنة ١٨٧٣ وتوفي سنة ١٩٦٠ فيكون قد شهد ما يزيد قليلا عن الثلث الأخير من القرن التاسع عشر، مع ما يزيد قليلا عن النصف الأول من القرن العشرين. وهذه السنين التي جاوزت الثمانين عاما تعد من الأعوام الخطيرة في تاريخ الشرق الإسلامي.

لقد فتح النورسي عينيه على أحداث تركيا الجسام، وتلمس أمة كبيرة لها هويتها الإسلامية وأصالتها الدينية فخورة بوجودها الإيماني، تزهو به وتنتخر، لأنها وصلت بالإسلام إلى قمة الحياة والمجد، وسادت على الأمم ؛ بفضل عقيدتها، وأصالتها، ثم أصابها المرض الذي يصيب الحضارات الكبرى، فتاهت وصارت تبحث عن نفسها بين التنظيمات الأوربية المستوردة، وبين الأصالة، وفكرة الجامعة الإسلامية، وأصبح دورها مشتتا بين الطورانية والعلمانية وفصل بين الإيمان والزمان.

في هذا الوضع المتلاطم الأمواج، كانت تركيا تبحث عن مستقبل جديد لايعرف طريق الوصول إليه، باهت المعالمم غامض الأهداف، مجهول النتائج، فاقد القدوة، فمنذ أن ظهرت المسألة الشرقية، التي كانت عنوانا لخطط أوربا للسيطرة على العالمين العربي والإسلامي ونهب ثرواتها بمختلف الطرق والأساليب، وممتلكات الخلافة العثمانية توزع كالفريسةالتي تنتهك حرماتها بين مفترسيها، وافتقدت القدوة داخل المجتمع التركي الذي غلب عليه اليأس والقنوط وهويرى أمجاده تضيع في ثنايا التاريخ الذي لم يعد يقرأه احد أو يتدبر عبره ودروسه أحد وكانت الأمة اجتثت من جذورها نهائيا.

وتلقت الخلافة ضربة موجعة حينما وجهت فرنسا حملتها على مصر واحتل الانجليز الهند، وتوالت النكبات واختلت الأحداث، وتطور مفهوم المسألة الشرقية، وصار معناه العمل على إضعاف القوة السياسية للإسلام.

وهكذا وقعت اتفاقية سايكس بيكو[120] التي قسمت ممتلكات الخلافة الإسلامية العثمانية وكانت الحرب العالمية الأولى قاصمة الظهر ونهاية الخلافة العثمانية التي دافعت عن الإسلام وأهله قرونا عديدة من الزمن.

هذا فيما يخص العدو الخارجي، أما العدو الداخلي فكان خطره أعظم، وقد تمثل في دعاوى القومية والوطنية التي حولت حركة الجهاد الإسلامي إلى حركة ضيقة دفاعية تجزيئية ، عكس مقاصد الجهاد في العقيدة الإسلامية، وقاد التعصب بعض رجال تركيا الفتاة و مثقفي البلاد العلمانيين إلى الإصلاح الدستوري، ثم العمل على القضاء على الخلافة العثمانية وعلمنة تركيا. فظهرت الثورة الكمالية وتفشت العلمانية التي تعادي الدين، ونتج عن ذلك ظهور الشقاق بين المسلمين، وتطورت النزعات القومية والحركات الوطنية في كافة أجزاء الخلافة العثمانية . وقد واكب النهضات الصناعية التي أسست مجتمعات داخل المدن بعيدا عن أعين الحشمة البدوية والقروية التي كانت تقيم الأخلاق الإسلامية في حياتها، فكان لابد من قيام حركة إصلاح تحفظ هوية الأمة وتصون أخلاقها ضد العلمانية الزاحفة، ومن ورائها المستعمر الغاشم. وهنا برزت النورسية كمصباح مضئ ما لبث ان عم نوره المبارك كافة ارجاء الخلافة لقد نشأ النورسي نشأة الحامل للأمانة وتربى ليكون رائدا لأمته ومثالا يحتذبه ."ووقف في مقدمة الصفوف وفي أول الخنادق في اسطانبول لايرضى بمغادرتها إلى أي مكان آخر، يؤدي واجبه المقدس ضد المحتلين بأفضل ما يملكه[121]".

ولم تستطع جميعة الاتحاد والترقي أن تنال من همته أو تفل من عضده بل سارسيره في ترسيخ المبادئ، وإنشاء العلم بين الناس. فقد كان رحمه الله قد توقع حدوث الكارثة بالأمة الإسلامية والخلافة، "فكثيرا ما نبه المعنيين والمسؤولين من سلاطين وحكام بأن

---

[120] – فرن انجلترا ١٩٦.

[121] – بديع الزمان النورسي : نظرة عامة عن حياته ص ١٤.

القرن الآتى هو قرن العلم، لذا فإن المدارس الدينية القائمة آنذاك والتي كانت مقتصرة على الدراسات الدينية فحسب، لاتخرج أجيالا من الشباب قادرة على التصدي للمغرمين بالحضارة الغربية ما لم تطعم هذه الدراسات بالعلوم الكونية الحديثة. لذا فقد حذر وأنذر وأعذر في خطبه الكثيرة ومقالاته الجديدة وتآليفه ومقابلاته الشخصية وتجواله في المدن والأرياف.. كل ذلك لإيقاظ الأمة والمسؤولين من هذه الحملة التي طال امدها ومن الكارثة المتوقعة، ولكن صيحاته هذه لم تلق سوى آذانا صما وقلوبا غلفا لاتعي.. حتى وقعت الكارثة"١٢٢.

**٢- النورسية والإصلاح العقدي :**

نشأت النورسية نشأة اسلامية خالصة، مدفوعة بإيمان عميق، متوجهة إلى أهداف عقدية صريحة لأن العقيدة هي روح الأمة، والطريق إلى إحيائها فبدأ بديع الزمان النورسي من إصلاح الفكر العقدي، السائد. فإذا كانت مدرسة الجزيرة العربية سنة ١١١٥ قد خلفت أثرا إصلاحيا وهبت ريحها على العالم الإسلامي، فأثارت عواطف الأمة الإسلامية لتهب لإنقاذ نفسها بدينها بعد ان فشلت تجارب القوميات في أوربا وتهاوت الخلافة على مرأى ومسمع من الشعوب المسلمة، بفعل العامل الداخلي الذي ترك الأخذ بالأسباب، والعامل الخارجي المتمثل في تكالب قوى الشر المتعصبة ضد امة الإسلام قد أعقبت قيام هذه الحركة منها حركة الإخوان المسلمين في مصر، وحركة ما شومي في أندونيسيا، والمودودي في باكستان والمهدي السوادني في السودان، والنورسي في تركيا.

وإذا كانت مدرسة الشيخ حسن البنا تجسد عقيدة سلفية وحركة صوفية أسهمت في خلق ثورة فكرية تجديدية في التفكير الإسلامي، وحملت لواء الثورة ضد الحركات الإستعمارية في المشرق القريب والبعيد، فإن مدرسة الشيخ سعيد النورسي هي المدرسة الأولى التي حملت لواء التجديد في الفكر الإسلامي في تركيا الطورانية، وبخاصة ضد

---

١٢٢ نفسه ص ١٢.

دعاوى الوضعية القومية المتعصبة التي تهاوت في معاقلها في الغرب قبل الشرق القريب والبعيد، وتنامت مع القادم الجديد الذي عبأ تركيا بغيرما كان ينبغي أن تعبأ به فمالت في أوديتها تيارات تبحث بواسطتها عن ذاتها أو هويتها هل ترتمي في أحضان الدب الأبيض أو تعود إلى ما كانت عليه قبل الإسلام؟ أم تتمسك بدينها فتحفظ لنفسها الوجود الداخلي والإنسجام الخارجي؟ وسؤالنا قبل ذلك هو : ما الذي دفع النورسي لحركته التجديدية في الفكر الإسلامي للحفاظ على تركيا مسلمة؟

يجيب النورسي على هذا الإشكال فيصف[123] الإنسان التركي بأنه ذلك المسافر الذي أرسل إلى الدنيا لأجل الإيمان، وأن سعيه ينبغي ان ينحصر في البحث عن الذات، وذلك بسياحة فكرية في عالم الكائنات للإستفسار عن خالقه في كل شيء، والتعرف على ربه في كل مكان، وترسخ إيمانه بدرجة حق اليقين، بوجوب وجود الهه الذي يبحث عنه.

ويصور النورسي هذا الإنسان التركي بالباحث الذي يدعو إلى القيام برحلة سياحة ليتفقد أحواله وذلك من خلال أربع حقائق قدسية تستحوذ على الكائنات وتستوجب التوحيد بدرجة البداهة.

أ- الحقيقة الأولى : هي الألوهية المطلقة : وحقيقة هذه العبودية تتلخص في كونها لاتقبل المشاركة معها، لأن الذين يقابلون تلك الألوهية بالشكر والعبادة هم ثمرات ذات مشاعر في قمة شجرة الكائنات، لذا فإن إمكان وجود آخرين يشدون انتباه الناس، ويجدبونهم إليهم، ويجعلونهم ممتنين لهم وشاكرين، محاولين ... معبودهم الحق الذي يمكنه أن ينسى بسرعة لغيابه عن الرؤية ولاحتجابه عن الأنظار-مناقض لماهية الألوهية ومناف لمقاصدها القدسية، ولا يمكن قبوله إطلاقا.

---

[123] - الشعاعات ص

فهو يربط الناس بالسماء دون إبعادهم من الأرض التي تتطلب منهم العمارة وتحقيق الأثر، فكل من ينسي الإنسان مهمته في الحياة يكون قد ااستغفله وأخرجه عن مهمته مهما كانت الدعوة التي يوجهه إليها.

الحقيقة الثانية : الربوبية المطلقة : والاعتراف بها يقتضي التعلق بخالق الإنسان ورفض الشريك مطلقا فيها، لأن أهم غايات تلك الربوبية وأقصى مقاصدها هو إظهار جمالها، وإعلان كمالها، وعرض صنائعها النفسية، وإبراز بدائعها القيمة. وقد تجمعت هذه المقاصد جميعها في كل ذي روح، بل حتى في الجزئيات، لذا لايمكن أن تقبل الربوبية الواحدة المطلقة الشرك ولا الشركاء إطلاقا.

الحقيقة الثالثة : الكمالات : ومعناها الإتقان للكون والحياة والإحسان فجميع ما في الكون من حكم سامية وجمال خارق وقوانين عادلة، وغايات حكيمة إنما تدل بالبداهة على وجود حقيقة الكمالات... ويعني شهادة ظاهرة على كمال الخالق سبحانه الذي أوجد هذا الكون من العدم، ويدير أمره في كل ناحية إدارة معجزة جذابة جميلة، فضلا عن أنها دلالة واضحة على كمال الإنسان الذي هو المرآة الشاعرة العاكسة لتجليات الخالق جل وعلا.

الحقيقة الرابعة : الحاكمية المطلقة : وهي النظرة الفاحصة الواسعة إلى الكون، الذي يرى انه بمثابة مملكة مهيبة في غاية الفعالية والعظمة، وتظهر له كأنها مدينة عظيمة تتم إدارتها إدارة حكيمة، وذات سلطنة وحاكمية في منتهى القوة والهيبة. ويجد أن كل شيء وكل نوع متملك ومسخر لوظيفة معينة. فما دامت الحاكمية الواحدة المطلقة حقيقة كائنة، وهي موجودة ، فلا بد أن الشرك لا حقيقة له ؛ ذلك لأن الحقيقة الجازمة التي تصرح بها الآية الكريمة { لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا} ١٢٤ تفيد بأنه لو تدخلت أيد متعددة في مسألة معينة وكان لها النفوذ اختلطت المسألة نفسها. فلو كان في مملكة ما حاكمان، أو

١٢٤ – الأنبياء :

حتى لو كان في ناحية ما مسؤولان، فإن النظام يفسد ويختل وتتحول الإدارة إل هرج ومرج[125].

هذه الحقائق عند سعيد النورسي يريد من خلالها أن يقول : إن على المسلم في كل مكان وزمان أن يقدر موقفه، وأن يعيد بناء نفسه، وبناء حياته الاجتماعية على ضوء المبادئ النهائية، وأن يستنبط من أهدافه، منه التي لم تتكشف بعد إلا تكشفا جزئيا تلك الحاكمية الروحية التي هي منتهى غاية الإسلام ومقصده-والتي بدونها يفقد وجوده الحر الثابت الذي يتخذ منهجه من الدين الحق الذي هو أحرص من العلم على الوصول إلى ما هو في النهاية حق، وإلى صيانة هذا الحق. ويريد أن يقول إن الإنسان العصري وقد أعياه نشاطه العلمي كف عن توجيه روحه إلى الحياة الروحية الكاملة. وقد استغرق في الواقع الآلي الظاهر للعيان فأصبح مقطوع الصلة بأعماق وجوده -تلك الأعماق التي لم يسر غورها بعد. والحقيقة في نظر الإسلام الحق روحية ووجودها يتحقق في نشاطها الدنيوي، فالماء لا تكون لها حقيقة ما حتى تكشف عن أصلها المتأصل فيما هو روحاني.

وخلاصة أمر النورسي يتجلى في أن منتهى غاية الذات ليس أن ترى شيئا، بل أن تصير شيئا، والجهد الذي تبذله الذات لكي تكون شيئا هو الذي يكشف لها فرصها الأخيرة لشحذ موضوعيتها وتحصيل هوية أكثر عمقا ورحم الله الإمام الغزالي حينما قال : أنا أريد إذن، أنا موجود.

**التجديد العقدي عند النورسي د. الحسين ايت سعيد استاذ السنة وعلومها بكلية الأداب بمراكش**

[125] – الشعاع السابع، سعيد النورسي ص ١٩٥ مطبعة المدني القاهرة.

إن المعتقد هو المحرك للإنسان، وهو الذي يضبط توجهاته، ويحدد له ما ينبغي أن يفعل وما ينبغي أن يذر، وهو الذي يجلى له حقائق الأشياء فيراها بذلك المنظار، ويرفض مشاهدتها بمنظار آخر. بغض النظر عن كون الرؤية أو المعتقد سليمين أو عليلين.

ذلك أن عملية التفاعل مع الواقع، والتاثير فيه، وتغييره بأفعال الإنسان، تمر من مرحلتين اثنتين :

إحداهما : عملية التصور لما ينبغي أن يفعل، وما ينبغي أن يترك، وما يجوز أن يقدم، وما لا يجوز وما يجوز أن يؤجل، فالعقل يتصور ذلك كله ويرتب جزئياته، وينسقها بعمليات معقدة، حتى تصبح كخريطة بناء يحتذى حذوها، ويقوم على وفقها ورسم بناء عظيم، وفق تلك الخريطة، بلا تزيد ولاتنقص.

والثانية : عملية التنفيذ الفعلي والتطبيق لما تصوره الذهن ورسمه، تنفيذ له في عالم المادة والواقع الخارجي، طبقا لذلك المصدر المعهود، فكل من سعى لفعل شيء أو تركه في الخارج، فإنه يسعى له بعد تصوره وإدراكه، فغير المتصور لايسعى في فعله، وغير المدرك لايتصور وجوده.

ومن هذا المنطلق والسنة الحتمية، يجري جميع العقلاء لتحقيق تصوراتهم وإبرازها، وإخراجها من عالم المُثل إلى عالم الحقائق الملموسات، بغض النظر عن كون تلك التصورات حقا أو باطلا.

وقد لخص الأقدمون هذا كله في عبارة جامعة وجيزة بليغة، وهي قولهم : "الحكم على الشيء فرع عن تصوره».

وإذا كان للدافع الداخلي وإداركه كل هذا الأثر في العالم الخارجي وكان ذلك غريزة لايشعر بها أغلب الخلق، وكانت النتائج المترتبة على ذلك، قد تكون حسنة وقد تكون سيئة، كان الناس بحاجة إلى تفكير جدي ضروري في تصحيح تلك التصورات الغرزية،

حتى تكون ثمارها في الواقع يانعة، واشجارها باسقة وارفة الظلال، يأوي إليها، من اضناه الجوع لتشبعه، ومن لفحته السموم لتظله.

وهذا التفكير الضروري، هو أيضا خاضع لمقاييس البشر التي تختلف في معايير القبح والجمال، والمنفعة والمضرة، والمصلحة والمفسدة، والتفكير السديد من التفكير الأرعن، المنسوج بأهواء وغرائز الناس التي لاتكاد تأتلف على شيء. فأملق الناس إلى سنخ آخر، وركن شديد يأوون إليه، من أهواء مضلة، ومصالح متباينة، ليجنبهم كل ملغ من الأقوال والأفعال، وهنا أدركت عناية الله عز وجل هذا الإنسان المكلف، فأرسل إليه رسله تترى، وأنزل له الكتب، تملزه، من براثن الهوى والشهوة والمنفعة المتوهمة، وبدأت ببناء كيانه الباطني، وشحنه بقوة موصولة بالله، مستمدة من اسم الله هذه القوة هي العقيدة، التي ستتفجر من مخبوء هذا الإنسان، لتصبح عيونا وأنهارا، تسقي الأفئدة الميتة، وتروي الضمائر الهامدة، لتحيا برحيقها العذب، وزلالها الصافي، وتنمو في أحضان التدرج والسنن المنصوبة المشهودة، ولهذا ركز القرآن المكي على هذا الباطن إصلاحا، وتهذيبا، وتغييرا، وتقويما ورصداً ومتابعة، فاستغرق بناء الكيان الداخلي الذي سيشيد عليه صرح البناء الخارجي، مدة أكثر من مدة البناء الخارجي، للدلالة على أن القوة في الإنسان تأتي من الداخل، وليس من الخارج وان التغيير تال لذلك، يأتي من الضمائر، وليس من المظاهر فإذا تجدرت هذه القوة في الداخل، ونمت نموا طبعيا، وحضنت حضانة حصيفة، وأخذت من الزاد ما يكفيها، فإنه لن يقف في وجهها قوة خارجية، مهما عظمت وتجبرت، وملكت وتملكت، لأن سنة الله جرت أن العاقبة للتقوى، وأن الأرض يرثها عباده الصالحون.

ولهذا الملحظ عُني علماء هذه الأمة، وأمناؤها على الوحي بأمر العقيدة، وجعلوها أقدس الأوْلويات، وأمعنوا في تقرير حقائقها، وأجمعوا على تبيان مسالكها، ومعضوا من كل من تنكب سبيلها أو قرر غير مضامينها، ومظوا من ينقر لها عن بديل، فاستنارت الأفئدة

لذلك بتوجيههم وتذكيرهم، وقوي الوارع، وقل الرقيب، وانتشرت الامانة بذلك والعفة، وأصبح الخدن يبحث مع خدنه في أمر جامع، لا أمر جامح نازع.

ومن هؤلاء العلماء الذين لهم شرف تقرير حقائق العقيدة العلامة السجدد، الشيخ بديع الزمان النورسي-رحمه الله- الذي جدد ولا شك في مجال تقرير العقيدة من جهات.

احدها : ابتعاده عن جدل المتكلمين في تقرير حقائق الإيمان، فلم يفتعل معركة بين العقيدة والواقع حتى يحتاج لسيف مسلت، ولا كان غرضه الدخول في معارك لا تكاد تنتهي.

وثانيتها: تقرير حقائق المعتقد بلغة عصره وتقريبها بأمثلة حية من العلوم المادية، التي كان الناس يقدسونها في زمانه، وتعنو لاها جباههم، ولذلك يكثر في كلامه، ضرب الأمثلة، بالذرات، والنباتات والحيوانات، والكائنات الحية، والطبيعة.

وهذه كلها مصطلحات علمية، تقرب الصورة ، وتقنع الخصم، وتورث الإيمان باستحقاق الله عز وجل لعبودية العباد، وهذا أعز مطلب.

وثالثها : عدم إبعاد نتائج المعتقد عن تقرير حقائق هذا المعتقد، وهي التربية على الأخلاق والفضائل التي تستمد، من نصوص العقائد، وقد فطن لهذه المسألة المهمة، التي كان كثيرون يغفلونها في الدرس العقدي، فيصبح بذلك جافا لا رصيد له من الواقع، يخرج منه المتلقي كما دخل إليه، لم يبل ببلاله، ولامش من معناه ما يشفي غليله، فوقعت المسافة والشقة، بين ما يتلقنه الشخص، وبين عمله، فضاع الجهد، ومضغت الحقيقة، فأصبح المسلم بذلك فارغاً يبابا ينطبق عليه قول القائل :

= غاض الوفاء وفاض الغدر وانفرجت=مسافة الخلف بين القول والعمل= ولأهمية هذا المعنى-أعني التخلق بمضامين العقيدة- يكثر الشيخ النورسي من التذكير بجلال الله، وجماله، وإحسانه لعباده، وحكمته في خلقه وكماله، ليلفت نظرنا إلى التخلق بهذه الأخلاق، والتحلي بمداليلها، إنه لايكفي ان نتعلم أن الله حكيم، ولانبغي الحكمة

ولانتجللها، كما لايكفي ان نعلم ان الله رحيم ولانرحمُ ولانتراحم، وبهذا ربط الشيخ الايمان بآثاره النفسية والواقعية، واعاد وشائج القربى والتلاحم لجزئيات العقيدة، فأصبحت بذلك منتظمة من كلية، تهيمن وتجمع الأشتات. هذه غاية الجدة التي أغفلت منذ أزمنة سحيقة.

هذه الخصائص الثلاث في تصور الشيخ النورسي للعقيدة ، تشمل عنده : الربوية، والألوهية، والنبوات. ولننصت إليه وهو يقرر هذه الحقائق في هذه الجوانب الثلاث من خلال كتابه « أنا »

**١- الجانب الأول : الربوبية :**

يقول المؤلف : »إن في حركة كل ذرة وفي سكونها، يتلمع نوران للتوحيد، كأنهما شمسان ساطعتان... إن كل ذرة من الذرات، إن لم تكن مأمورة بأوامر الله تعالى، وإن لم تتحرك بإذنه وفعله، وإن لم تتحول بعلمه وقدرته، فلابد أن يكون لكل ذرة علم لا نهاية له، وقدرة لا حد لها. وبصر يرى كل شيء، ووجه يتوجه إلى كل شيء، وأمرنا فد ني كل شيء، لأن كل ذرة... تعمل عملا منتظما في جسم كل كائن حي، علما أن أ،ظمة الأشياء، وقوانين تركيبها، مخالف بعضها بعضا، ولايمكن عمل شيء ما لم تعلم أنظمته، وحتى لو قامت الذرة بعمل، فلا يخلو من خطأ، والحال أن الأعمال تنجز من دون خطأ، فإذن إما أن تلك الذرات العاملة، تعمل وفق أوامر من يملك علماً محيطاً بكل شيء، وبإذنه وبعلمه، وبإرادته... أو ينبغي ان يكون لها مثلُ ذلك العلم المحيط والقدرة المطلقة » ص -٥٦- ٥٧.

هكذا سلك الشيخ -رحمه الله- لإثبات ربوبية الله تعالى لخلقه مسلك الحدوث والافتقار، ومسلك عناية الله تعالى بخلقه، وقد استعمل نوعا ما السبر والتقسيم في حصر الأوجه، ثم نفي ما لايمكن منها، لإثبات الممكن، وهو المطلوب، وهو في هذا قد لايخرج عن تقسيمات المتكلمين للموجودات، لكنه أبرز القضية في قالب آخر تفهم به بلا عناء،

ولم ينسه في صدد تقرير ما قرره أن يبطل خرافة المصادقة، التي كان الفكر المادي الملحد روج لها بكثرة في زمانه، وأرادوالها أن تكون حقيقة من الحقائق، ولكنها فكرة ماتت، حيث ولدت، وأثبتت التجارب العلمية المخبرية، سفسطتَها وخيالها.

**٢- الجانب الثاني : الألوهية**

يقول الشيخ-بصدد تقرير هذه الحقيقة- : "بل إن خلق تلك اللطائف والحواس والمشاعر في وجودكم، وإدراجها في فطرتكم، إنما يستند على أساسين اثنين :

**الأول** : أن تجعلكم تستشعرون الشكر تجاه كل نوع من أنواع النعم التي أسبغها عليكم المنعم سبحانه، أي عليكم بالشعور بها، والقيام بشكره تعالى وعبادته.

**الثاني** : أن تجعلكم تعرفون أقسام تجليات الأسماء الحسنى، التي تعم الوجود كله معرفتها وتذوقها فردا فردا، أي، عليكم الإيمان بتلك الأسماء ومعرفتها معرفة ذوقية خالصة، وعلى هذين الأساسين تنمو الكمالات الإنسانية وبهما يغذو الإنسان إنسانا حقا » اهـ ص ٩٨-٩٩-

هكذا قرر الشيخ العبودية الاختيارية التي هي حق الله على عباده بدليل الانعام الذي يبعثه على عبودية فيها محبة واخلاص، لاعبودية فيها كراهة وانتكاس. لأن كمال العبودية، في كمال المحبة للمعبود، والانقياد له ظاهراً وباطنا.

**الجانب الثالث : النبوات**

يقول الشيخ النورسي في بيان هذه الحقيقة : "إن في تاريخ البشرية، منذ زمن سيدنا آدم عليه السلام إلى الوقت الحاضر تيارين عظيمين وكسلسلتين للأفكار بجريان عبر الأزمنة

والعصور... احداهما  سلسلة النبوة والدين، والأخرى سلسلة الفلسفة والحكمة، فمتى كانت هاتان السلستان متحدثين.. استجارت الفلسفة بالدين، وانقادت إليه، وأصبحت في طاعته... ومتى انفرجت الشقة بينهما...احتشد النور والخير كله حول سلسلة النبوة والدين، وتجمعت الشرور والضلالات كلها حول سلسلة الفلسفة... والآن لنجد منشأ كل من تلكما السلسلتين... فإن سلسلة الفلسفة التي عصت الدين اتخذت صورة شجرة زقوم خبيثة تنشر ظلمات الشرك وتنشر الضلالة ... وبجانب هذه الشجرة الخبيثة- نشات شجرة طولي العبودية لله، تلك هي سلسلة النبوة، فأثمرت ثمرات يانعة طيبة في بستان الكرة الأرضية ومدتها إلى البشرية، فتدلت قطوفاً دانية، من غصن القوة العقلية أنبياء ومرسلون، وصديقون وأولياء صالحون... وهكذا فمنشأ هذه الشجرة المباركة، ومنشأ تلك الشجرة الخبيثة، هما جهتا « أنا »... إن النبوة تمضى آخذة وجهاً لأنا والفلسفة تقبل آخذة الوجه الآخر لأنا فالوجه الأول الذي يتطلع إلى حقائق النبوة، هذا الوجه منشأ العبودية الخالصة لله، أي إن « أنا » يعرف أنه عبد لله مطيع لمعبوده...هكذا نظر الأنبياء والمرسلون ومن تبعهم من الأصفياء والاولياء إلى « أنا » بهذا الوجه، وشاهدوه على حقيقته هكذا، فأدركوا الحقيقة الصائبة، وفوضوا الملك كله إلى مالك الملك ذي الجلال.... أما الوجه الثاني فقد اتخذته الفلسفة، وقد نظرت إلى « أنا » بالمعنى الأسمى، أي تقول « إن أنا يدل على نفسه بنفسه... » اهـ ص ٢٧- وما بعدها.

هكذا قرر الشيخ مسلكين في حال بيانهما او اتخاذهما، مسلك الفلسفة ومسلك النبوة، فالمقارنة هنا، وإن كانت لاتصح في ذاتها، إلا أن الغرض بها، هو الوصول إلى إبطال استقلال الفلسفة عن النبوة، ولهذا الملحظ صحت المقارنة، فالشيخ النورسي، هو فيلسوف كبير، قد خبر الفلسفة وعرف أدواءها، وعلم منعرجاتها الملتوية، ولذلك حينما يتكلم عنها يتكلم ، وهو من أبناء دروبها، فقوله فيها قول صادق، وحكمه عليها حكم عادل، وقد قرر بصفاء إيمانه، وبراعة عبارته، أن الفلسفة- يعني عالم الأفكار، للفلسفة بعينها- لابد أن

تخضع للدين والنبوة والوحي، إذا أرادت ان تعبر عن انسجامها التام مع الكون كله، فإذ تفلتت من هذا المرض ومن قيوده، فإنها تصبح وحشاً كاسراً، يأكل ويفترس كل ما أتى عليه، وهذا تأكيد منه على غلط الفلاسفة حينما زعموا استغناءهم عن الوحي والنبوة، وأن قلوبهم تتلقى عن الله مباشرة، حتى قال كبير من كبرائهم، حدثني قلبي عن ربي.

والشيخ لم ينس بيان ما يترتب على كل من النبوة والفلسفة من نتائج واقعية كافية في الحكم على مدى أحقية أحدهما دون الآخر بالاتباع، ولايخفى تشبيهه البارع لهما بشجرتين، ولفوائدهما بالثمار، وبذلك جمع بين متعة الكلمة ورنينها المشوق، وتقرير الحقائق الكلية المعبرة، التي تمر عبر سلاسة العبارة ومنافذها المتفتحة المفعمة بروح جديدة تسري في كيان الأحياء الحقيقيين، وتقوم بها الحجة لله ولعباده على الجامدين المقلدين أو الأموات الهالكين الذين لاتنفعهم الذكرى، ولايتذكرون.

## من الأسس الفكرية والحضارية في كتابة النورسي

ذ. العربي بوسلهام أستاذ الفكر والحضارة بكلية الآداب والعلوم الأساسية بالرباط

باسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين.

وبعد فالموضوع الذي سأعالجه بين أيديكم أيها السادة الأساتذة والعلماء الأفاضل والحضور الكريم هو: بعض الأسس الفكرية والحضارية في كتابة الإمام المصلح سعيد بديع الزمان النورسي رحمه الله.

لاحظ الإمام سعيد النورسي وهو الذي عاصر أخطر فترة انتقالية في حياة المسلمين وهي نهاية القرن الثالث عشر الهجري وبداية القرن الرابع عشر. أن لاحظ أن المجتمع الإسلامي ينحدر في مظاهر حياته كلها انحدارا سريعا، واكتشف أن غزوا فكريا منظما يشن على العقيدة الإسلامية ابتداءا من الدوائر الأجنبية إلى صحيفة الإتحاد والترقي إلى أجهزة إعلام الإنقلابات الكمالية الادينية، وخاصة بعدما صرح وزير المستعمرات البريطاني - غلادستون- في مجلس العموم البريطاني وهو يخاطب النواب وبيده نسخة من القرآن الكريم قائلا : "مادام هذا القرآم بيد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم لذلك فلا مناص لنا من أن نزيله من الوجود أو نقطع صلة المسلمين به". ولقد تأكد للنورسي أن الإسلام أصبح في خطر أكيد، وأنه لابد من تقوية الإيمان عند البعض وانقاذه عند البعض الآخر، أمام هذه الموجات العاتية من تزييف المنطق العقلي والحقيقة العلمية.

ولقد ساعدت دراسته العقلية الرصينة واطلاعه الواسع على تطور العلم الحديث في محاولة ذلك الإنقاد، فبدأ بتأليف الرسائل والكتب في دحض شبهات القول واثبات حقائق الإيمان بأسلوب علمي عصري قريب إلى روح العصر وفهم الناس جميعا، وكان يتتبع الشبهات التي كان يثيرها الملاحدة وأعداء الأمة لإدخال الشك في عقول الجيل الحديث فيرد عليها ويخصص لها الرسائل المتنوعة دون ذكر الشبهة إلا نادرا ١٢٦. ومن هنا نرى أن

---

١٢٦ – "راجع مقدمة رسالة المعجزات القرآنية ٣٣٨"

كتابات النورسي تمثل الصراع الفكري في عصره تمثيلا تاما وتضع الأسس الفكرية لتنشئة جيل مؤمن يعرف كيف يتعامل مع عصره.

**وسأقسم موضوعي إلى المحاو التالية:**

١- مميزات رسائل النور

٢- أسسها

٣- انجازاتها في واقع حياة الأتراك وغيرهم.

**عندما نتصفح رسائل النور نجدها قد اتخذت منهجا وطريقة وغاية لإعادة الناس إلى دينهم وصقل شخصيتهم بالقرآن الكريم فهي تتسم بما يلي:**

١- انسجامها وتلاؤمها مع قوانين الفطرة.

٢- مصدرها رباني ومحور موضوعاتها القرآن الكريم فهي بمثابة تفسير لمعاني القرآن.

٣- تهتم بالبنية الداخلية للإنسان وتتجه لتزيينها.

٤- تعطي أهمية كبرى لصحة البنية الإجتماعية.

٥- تقوم رسائل النور بالتربية والتعليم وتوسيع الأفق وبيان السبيل القويم

٦- تقوم رسائل النور بمزج المادة مع المعنى وتحتضن الدنيا والآخرة معا.

٧- موقف بديع الزمان النورسي من التيارات المنحرفة موقف الإعراض عنها واللامبالاة بها.

*** أما المحور الثاني فسأتناول فيه النقط التالية:**

١- خدمة هذه الرسائل للإيمان وحمل دعوة القرآن.

٢- الدعوة إلى الإخلاص.

٣- الدعوة إلى الأخوة

٤- الدعوة إلى العجز والفقر إلى الله والشفقة على المستضعفين.

٥- سبيل رسائل النور هو الثبات بصدق

***أما المحور الثالث فسأعالج فيه ما حققته رسائل النور في نفوس قارئيها ومحبيها، وكذلك النقط التالية:**

١- أصبحت رسائل النور مرآة للقرآن العظيم ومنهجا تجديديا لتفسير معانيه لمواجهة التحديات وقضايا العصر.

٢- جددت علم العقيدة وعلم الكلام

٣- أسست شخصية معنوية تجاه الشخصية المعنوية الإلحادية.

٤- جعلت روادها ومريديها يتصرفون تصرفا إيجابيا في المجتمع.

٥- تجرد أصحابها عن السياسة الغربية المقيتة.

٦- تعمل على ترسيخ الإيمان في أصحابها الذين مكنهم ذلك من تخطي الصعاب والتحديات.

٧- حققت نموذجا متميزا في التربية والتعليم مثل ما حققه السلف الصالح.

٨- حركة رسائل النور بعيدة عن الرياء ولاتطلب أجرا عند إيفاء الخدمة.

وأخيرا سوف أختم بخاتمة إن شاء الله، وسنمر الآن إلى تفصيل هذه العناصر انطلاقا من كليات رسائل النور وكذلك البحث الذي قام به الأستاذ الدكتور شنردلك حول منهج وطريقة رسائل النور وغايتها ١٢٧.

**÷ المحور الأول سنتناول فيه مميزات رسائل النورسي :**

أولا : رسائل النور منسجمة وموضوعاتها تدور حول القرآن الكريم وتفسير معانيه : ومن ثم فهي تتلاءم مع قوانين الفطرة قال تعالى : " فطرة الله التي فطر الناس عليها" فهناك انسجام مع قوانين الفطرة وقوانين الكون فهذه القوانين الموضوعة في الكون والمنقوشة في

---

[١٢٧] – بديع الزمان النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر السلامي " ترجمة أو رخان محمد علي ص ١١٧- ١٦٥ الطبعة الأولى ١٩٩٧ دار سوزلر للنشرNESIL- ISTAMBOUL

الفطرة لايمكن نزعها من الكون ولايمكن إخراجها من الفطرة وإهمالها والإنسان يصل إلى كماله عندما يدرك جيدا العلاقة بين هذه القوانين وعندما يؤسس التوازن بينها، إلا أن الإنسان عاجز عن إدراك هذه القوانين المنقوشة في فطرته لذا يحتاج إلى معلم ومفسر هو القرآن الكريم والفرقان الحكيم ".. نعم! ان الفطرة بلسان حالها تقول للقرآن الكريم : (لايتحقق لمالنا من دونك)" كليات رسائل النور-المكتوبات. وتعرض رسائل النور هذه الحقيقة ويعتبر النورسي - كي نتمكن من فهم قوانين الفطرة - علينا بمطالعة القرآن الكريم بقوله " أما القرآن الحكيم فهو قراءة كتاب الكون هذا وتلاوة نظامه فهو يقرأ شؤون النقاش الأزلي ويكتب أفعاله"[١٢٨] إن الوظيفة التي أخذتها رسائل النور على عاتقها هي إيضاح قوانين الفطرة هذه السارية في الكون والإنسان :" اعلم علم اليقين أن أسمى غاية للخلق وأن أعظم نتيجة للفطرة هو الإيمان بالله. وإن ألمع سعادة للإنس والجن وأحلى نعمة هي محبة الله الموجودة في معرفة الله... »[١٢٩]

وهكذا فإن الغاية الأولى لرسائل النو هي إيضاح وبيان أسمى نتيجة للفطرة وهي معرفة الله ونقش محبته في القلوب والأرواح.

ويبين بديع الزمان العلاقة بين الإسلام وبين قوانين الفطرة في الجمل التالية "(أجل إن حقائق الشريعة التي أتى بها رسولنا محمد صلى الله عليه وسلم حافظت على التوازن الموجود في قوانين الفطرة فلم تخل بالمناسبات اللازمة للروابط الإجتماعية، فكلما طال الزمن ظهر الإتصال فيما بينها، ويتوضح من هذا أن الإسلام دين فطري للنوع البشري وهو العامل الوحيد في المحافظة على الحياة الإجتماعية ووقايتها من الهزات والزلازل"[١٣٠]

**٢- أما مصدر هذه الرسائل فهو القرآن الكريم** : مصدرها رباني ومرشدها الرسول العظيم صلى الله عليه وسلم وسبيلها هو السبيل القويم لأهل السنة والجماعة. إن أي قوة

---

[١٢٨] – المثنوي العربي النوري ص ١٦٨.

[١٢٩] – المكتوبات ص ٢٢٢.

[١٣٠] – اشارات الإعجاز في مظان الإيجاز ص ١٢٥.

كي تستطيع النفود إلى أعماق قلب الإنسان وروحه وربط روحه وقلبه بالحقائق، وإثارة الكرامة الإنسانية بمشاعر الشوق والوجد فلا بد أن يكون مصدرها ومنبعها قدسيا.

فإذا لم تكتسب هذه القوى قدسية عامة وكلية فإن تأثيرها سيكون باهتا وضعيفا، فإن كان المصدر مقدسا فإن التأثير سيكون جدريا وعميقا وكليا ودائميا، ويشرح بديع الزمان هذه الحقيقة كما يلي: " إن قدسية المصدر تظهر تأثيربراهين عديدة، وبهذه القدسية تفرض أحكامها على الناس عامة"١٣١ وهكذا فإن رسائل النور تستمد لمعانها من قدسية القرآن وتترنم بهذه القدسية. يقول بديع الزمان "بما أننا نملك في أيدينا معجزة باقية مثل القرآن فإن البحث عن برهان آخر يبدو لعقلي شيئا زائدا، بما أننا نملك برهانا للحقيقة مثل القرآن فهل يصعب على قلبي إلزام المنكرين وإفحامهم"١٣٢ يقول الأستاذ محمد عبده :" إن رسائل النور برهان للقرآن الكريم وهي لمعة براءة من لمعات إعجازه ورشحة من رشحات ذلك البحر وشعاع من تلك الشمس الملهمة من كنز العلم وترجمة معنوية نابعة من فيوضاته، وإذا قيل كيف تُعد رسائل النور تفسيرا للقرآن مع أنها لا تشبه التفاسير المتداولة فالجواب أن التفسير نوعان : هما تفسير اللفظ والعبارة والجملة في الآية الكريمة أو إثبات الحقائق الإيمانية للقرآن الكريم إثباتا مدعما بالحجج الرصينة والبراهين الواضحة، وقد ثبث بشهادة ألوف من العلماء المحققين أن رسائل النور هي من القسم الثاني من التفسير بل من أثمنه وأسطعه وأكمله وأكثره قيمة.

**٣- تهتم رسائل النور بالبنية الداخلية للإنسان وتتجه لتزيينها.** وتأثيرها تأثيرا عميقا وحيويا وجذريا : إذ تقوم بتشكيل الروح وتوسيع أفق التفكير وتؤمن امتزاج العقل مع القلب، وتأثيرها يهيء الإنسان لأكبر وافضل تغيير. فهي تزرع في العالم الداخلي للإنسان مشاعر علوية كطلب الرضا الإلهي، والإخلاص والفداء والصفاء والصدق سئل الشيخ بديع

---

١٣١ – المكتوبات ص ٣١٩.

[132] Nuris, B.S, Bozler S. 365.

الزمان النورسي رحمه الله عن ذلك حيث قيل له : "لماذا نجد تأثيرا غير اعتيادي فيما كتبته في (الكلمات) المشتقاة من فيض القرآن الكريم، قلما نجده في كتابات العارفين والمفسرين.. فأجاب النورسي : ٩ (ان الفضل في هذا التأثير يعود إلى اعجاز القرآن الكريم وليس إلى شخصي أنا)" كليات رسائل النور -المكتوبات-ط٢- ص ٤٨٦. فبخلاف المدنية الغربية التي لاتعرف مثل هذه المشاعر ولاتفهم مثل هذه المفاهيم، لأنها مشاعر إيمانية وعملية ووجدانية وحالية وليست قولية أو لسانية. ولأنها ليست ضمن الثروة وضمن المادة ولاضمن الشهرة والمظاهر الخادعة.

٤- **تعطي رسائل النور أهمية كبرى لصحة البنية الإجتماعية ولاتجاهها،** لذا تبذل جهدها لتأمين الهدوء الإجتماعي والراحة العامة ولاتعير أي اهتمام أو التفات لحركات التدمير والهدم والتمزيق بل ترفع شعار الحركة الإيجابية وترى فيها وظيفتها ومهمتها، ولا تسمح مطلقا بالفعاليات السلبية، بل تسعى لتقوية أواصر المحبة والأخوة في بنية المجتمع، وتطرح ضرورة الإتحاد والإمتزاج. وترد بشكل مطلق وتطرد كل المشاعر والأفكار التي أطفأت روح الأخوة التي يأمر بها ديننا الإسلامي، والتي مزقت المحبة والإخلاص الموجود بين المسلمين كالشعور القبلي أو العشائري أو الفكرة القومية أو العنصرية أو الملية السلبية[133] يقول بديع الزمان النورسي مخاطبا دعاة التفريق بين المسلمين والمطالبين بحقوق الأقليات دون غيرها قائلا :"إن كنتم حقا تحبون هذه الأمة حبا جادا خالصا، وتشفقون عليها فعليكم أن تحملوا في قلوبكم غيرة تسع الاشفاق على غالبية هذه الأمة لا علي قلة قليلة منها، إذ أن خدمة هؤلاء خدمة اجتماعية مؤقتة غافلة عن الله، وهم ليسوا بحاجة إلى الرأفة والشفقة-وعدم الرأفة بالغالبية العظمى منهم ليس من الحمية والغيرة في شيء" كليات رسائل النور-المكتوبات ط ٢ - ص : ٤٢٠.

---

133- .

أن استحصال الرضا الإلهي وتحقيق الفضيلة هو هدف وغاية رسائل النور التي تسعى لتحقيقها في البنية الإجتماعية . وفي المجتمعات التي تحل المادة والمنافع المادية محل الفضيلة والتي تنتشر فيها المظاهر الخداعة والتصفيف، بحيث تكون العلاقات قائمة على اسس النفاق والتزلق وفي مثل هذا الجو لايمكن تأسيس المحبة الحقيقية والتساند.

**٥- تقوم رسائل النور بالتربية والتعليم وتوسيع الأفق وبيان السبيل القويم :** فهدفها تربية مخاطبيها بالحق وبالمعرفة عن طريق القراءة واكسابهم الشخصية الواثقة. إن مطالعة رسائل النور لذيذة ومنهجها مقنع، إذ تتناول المسائل تناولا منطقيا تحليليا، وتعجنها بالادلة والبراهين، فإلى جانب استفادة العقل يستفيد القلب والروح واللطائف السرية الموجودة لدى الإنسان ويأخذ كل منها نصيبها، فمعانيها سامية وأفقها واسع، وهي ترمي لتنشأة عناصر دعوة مثالية لهم همم عالية.

**٦- تقوم رسائل النور بمزج المادة مع المعنى وتحتضن الدنيا والآخرة معا.**

إذا نظرنا إلى نظم التفكير الغربي على مدار التاريخ وكذلك في ايامنا الحالية فقد تناولت حقيقة الإنسان ببعد واحد ذي صبغة مادية فإنها لم تصل أبدا إلى أعماق الإنسان ولم تعرف دقائق روحه ولا سماته الملكوتية، والنتيجة أنها بقيت بجناح واحد ولم تستطع تأسيس التوازن، بينما نرى أن رسائل النور لكونها تترنم بأسس الإسلام التي هي نبع الحياة والسعادة الحقيقية - تأخذ بنظر الإعتبار المسؤولية الأخروية للإنسان ووظائفه العبودية بشكل حساس وبشكل جدي إلى جانب وظائف الإنسان الدنيوية ومسؤولياته الإجتماعية، يقول بديع الزمان: " فلا بد أن أسعد إنسان هو من : لاينسى الآخرة لأجل الدنيا... ولا يضحي بآخرته للدنيا... ولا يفسد حياته الأبدية لأجل حياة دنيوية ... ولا يهدر عمره بما لا يعنيه. "[١٣٤]

---

[١٣٤] - Nursi, B.S.Mektubat,s. ٧١ المكتوبات ص ٧١

**٧- موقف بديع الزمان النورسي من التيارات المنحرفة موقف المعرض عنها وغير المبالي بها** : فهو يرى أن مجرد الإطلاع على الثيارات التي تستند إلى العناد وإلى العصبية الملية والمنافع القومية الضيقة وعلى أنانية النفس، والتي تعمل لحساب ظلم لم تشهد الدنيا مثيلا له يرى الأستاذ النورسي ان مجرد الإطلاع عليها وتتبع أخبارها وسماع دعاياتها الكاذبة والمظلمة ومشاهدة ظلمها شيء لا يجوز. ذلك لأن الرضا بالظلم ظلم، فإن كان مناصرا له يكون ظالما فإن مال إليه يكون مظهرا للآية الكريمة " ولاتركنوا إلى الذين ظلموا فتمسكم النار"١٣٥. وملاحظات بديع الزمان في هذا الموضوع نستحق التأمل إذ يقول : " إن العالم الإسلامي والقرآن بريئان من هذا التقاتل الذي لا يتلاءم ولا ينسجم مع أي قانون للعدالة ولا مع الإنسانية ولا مع أي دستور للحقيقة ولا مع أي قانون أو حقوق. إذ لايتنازلان لمعونته ولا يتذلالان له ذلك لأن الفرعونية المدهشة والأنانية هي التي تحكمه، وهو عندما يمد يده لا يمدها من أجل خدمة القرآن وخدمة الإسلام، بل لكي يجعل الآخرين تابعين له وألة بيده. ولا شك أن الحق القرآني لا يتنازل للاستناد إلى سيوف هؤلاء الظالمين. وبدلا من الإستناد إلى قوة قد تخضبت يدها بدماء ملايين الأبرياء فإن الواجب على اهل القرآن الإلتجاء إلى قدرة وإلى رحمة خالق الكائنات بل هو فرض عليهم"١٣٦.

**÷ في المحور الثاني والمحور الذي يليه سنتناول منهاج وطرقه وغاية رسائل النور:**

يمكن النظر إلى خطة سير رسائل النور وغلى اسلوبه وطرازه من زوايتين : الأولى : ماهي أسس سبيل رسائل النور؟ وبتعبير آخر على أي الأسس أقيم خط سير وسلوك رسائل النور؟

**الثانية : - ماهي خطط وطرق الخدمة التي تؤديها رسائل النور؟**

---

[١٣٥] -سورة هودية ١١٣.

[١٣٦] -Nursi, B.S. Kastamonu lahivast 1.ENvar Nesryt,s.190 قسطموني ص ١٩٠.

ضمن هاتين الزاويتين من النظر إلى كليات رسائل النور وإلى الخدمة الإيمانية التي تقدمها سنقسم ملاحظاتنا بشكل موجز. ففي القسم الثاني أو هذا المحور سنوضح أسس سبيل رسائل النور .

**١- سبيل رسائل النور هو خدمة الإيمان وحمل دعوة القرآن:**

إن أساس سبيل رسائل النور هو خدمة الإيمان وخدمة القرآن، وغاية الخلق هي الإيمان بالله، والدعوى الكبرى هي كسب الحياة الأبدية، فهذه أكبر من الحروب العالمية وأكبر من موضوع حاكمية الشعب على ظهر هذه الأرض فدعوى، ربـم حياة باقية وأبدبة أو خسارة تلك الحياة دعوى مفتوحة وتعود لكل مسلم. وهذه هي خلاصة دعوة بديع الزمان ولبها.

ولهذا السبب فإن السعي لإنقاذ الإنسان من مستنقع الكفر ومن هوة الفسق والضلالة وجلبه إلى دائرة الإيمان وبذل كل المساعي والجهود في هذا السبيل إلى درجة الوجد والعشق هو محور هذه الدعوى٤ يقول بديع الزمان النورسي :"إن في الإيمان حقا جنة معنوية، وإن في الضلال جحيما معنويا أيضا في هذه الدنيا ذاتها" الخطبة الشامية ط ٢ - ص ٤٨٦.

لقد فتحت المدنية السفهية جراحا يصعب علاجها في روح البشر، فمن ذا الذي سيمد يده إلى الإنسان المحطم والممزق والمنحل بسبب التأثير المدمر والخانق للكفر والإباحية؟ ومن سيرشده إلى السبيل القويم؟ هذا هو مصدر ألم بديع الزمان النورسي ، وهو يعبر عن ألمه هذا بهذه الجمل:

"إن العالم يمر بأزمة معنوية كبيرة، فالأمراض الموجودة في المجتمع الغربي الذي اهتزت قواعده المعنوية- بدأت تنشر في سائر الأرض مثل وباء الطاعون، فكيف يستطيع المجتمع الإسلامي أن يواجه هذا الوباء المرعب ويتحداه وبأية وسائل؟ أيستطيع ذلك بالصيغ المتفسخة والمتعفنة والباطلة للغرب؟ أنني أرى الرؤوس الكبيرة ساردة في الغفلة.

فالأعمدة المتهرئة للكفر لا تستطيع حمل حصن الإيمان وقلعته. لذا فقد كتفت جميع جهودي حول الإيمان وحول الحياه الداخلية للمجتمع ووجوده المعنوي ووجدانه وإيمانه.

ولكنني عندما أفعل ذلك أفعله على اساس الإيمان والتوحيد الذي أسسه القرآن فقط، فهذا هو العمود الأساس للمجتمكع الإسلامي، وعندما يهتز هذا العمود فلا يبقى أثر للمجتمع)[137] ٢- أساس سبيل رسائل النور هو الإخلاص :

إن الإخلاص هو سبيل رسائل النور. ففي العمل يجب قصد وجه الله تعالى ويقول بديع الزمان أن أكبر قوة لرسائل النور تكمن في الإخلاص وقد الف رسالة بهذا الخصوص، ويظهر مدى اهتمامه بالإخلاص من الكلمة التي وضعها في أول رسالة الإخلاص فقد قال " يجب إعادة قراءة هذه الرسالة كل ١٥ يوما" وقد بين بديع الزمان أن ابطال الحقيقة الذين أخذوا الخدمة القرآنية على عواتقهم أن طريق التخلص من الأحاسيس القذرة مثل الرياء وحب المظهر والحسد والحرص والطمع يتحقق بالإخلاص . إن حب الجاة وهوى توجيه الأنظار إلى النفس مرض روحي.

**I- -إن سبيل رسائل النور هو جعل طلب رضا الله تعالى هو الأساس.**

فإذا كانت رسائل النور قد نجحت كل هذا النجاح وتنجح فإن السبب في هذا يكمن في سر الإخلاص يقول بديع الزمان النورسي :"فإنه بالإخلاص والتساند الحقيقي يستطيع ثلاثة أشخاص أن يفيدوا أمتهم فائدة مائة شخص" المكتوبات ط ٢ ص ٣٤٠..

### ٣- أساس سبيل رسائل النور هو الأخوة:

إن العلاقة في رسائل النور هي علاقة صميمية قائمة على الأخوة الحقيقية دون انتظار أي مقابل ليست مثل العلاقة الموجودة بين الشيخ وبين المريد، ولا بين الأب وابنه . فطلاب النور أخوة وأصدقاء في مائدة درس القرآن يعين بعضهم بعضا، ويعبر عن هذا في

---

[137] – سيرة ذاتية ص ٦٢٩.

رسائل النور ب "الفناء في الإخوان". أي فناء بعضهم في بعض، أي العيش فكريا في مزايا أخيه، فإن رأى فيه نقصا أكمله وأن رأى فيه فتقارتقه، وأن رأى فيه سوءا تألم له ونصحه بكل لطف، وحاول إصلاحه دون إبداء خشونة أو إظهار حب السيطرة عليه٦ يقول بديع الزمان النورسي :"إذ المؤمن يحب أخاه، وعليه أن يوده، فأيما تصرف مشين يصدر من أخيه يحمله على الإشفاق عليه، وعلى الجد في محاولة إصلاحه باللين والرفق دون اللجوء إلى القوة والتحكم".المكتوبات ط ٢ ص ٣٤٠.

إن الإيمان يقتضي المحبة، والإسلام يقتضي الأخوة، فروابط الوحدة الموجودة بين المؤمنين والإتفاق والامتزاج مؤسسة بفضل أسماء الله الحسنى.

**ويشرح بديع الزمان هذا الترابط كما يلي:**

(إن خالقكما واحد، ومالككها واحد، معبود كما واحد، رازقكما واحد... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ الألف، ثم إن نبيكما واحد، دينكما واحد، قبلتكما واحدة، وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ المائة.

ثم إنكما تعيشان معاني قرية واحدة، تحت ظل دولة واحدة في بلاد واحدة... وهكذا واحد واحد إلى أن تبلغ العشرة[١٣٨])

كل هذه الروابط سلاسل معنوية تستطيع ربط الكائنات والعوالم بعضها ببعض وهذه الأوامر ليست مادية أو شكلية أو سطحية أو سياسية بل تستمد نبعها من القرآن وتستثار بالإنفعالات المقدسة للحمية الدينية فهي علاقات وأواصر تتحد وتتماسك وتتكامل ضمن روح الدعوة.

٤- سبيل رسائل النور هو العجز والفقر والشفقة والتأمل :

[١٣٨] - المكتوبات ص ٢٦٤.

سبيل رسائل النور قائم على هذه الأسس الأربعة. وقد وصف بديع الزمان هذا الطريق الذي استخرجه من القرآن الكريم بأنه أقصر طريق للوصول إلى الله واسلمه وأمضاه.

فالمؤمن يرقى ويسمو بقدر إدراكه عجزه تجاه الله وفقره وبقدر إدراكه نقصه وقصوره. وهكذا يوصله العجز عن طريق العبادة إلى اسم المحبوب، ويوصله الفقر إلى اسم الرحيم. وعندما يسلك المؤمن طريق استعمال واستغلال فقره وعجزه فإنه يصبح مرآة لتجلي الصمدانية قول بديع الزمان النورسي :"ولايذهبن بكم سوء الفهم إلى الخطأ. فالمقصود بالعجز والفقر والتقصير إنما هو إظهار ذلك أمام الله سبحانه وليس إظهاره أمام الناس". المكتوبات ط ٢ ص ٥٩٤.

إن ربع سلوك رسائل النور شفقة. فمن أسس رسائل النور مديد الشفقة باسم القرآن ومن أجل الآخرة إلى الناس المحيطين من الناحية المعنوية، والسعي لانقاذهم والعمل من أجلهم وبذل كل الجهود في سبيل هذا الإنقاذ.

الشفقة مثل الحب والعشق (بل ربما أكثر منهما) طريق واسع ومؤثر. فطريق الشفقة هو طريق الرحمة، وبديع الزمان متصل مع جميع المسلمين، بل حتى مع جميع الناس بسبيل الشفقة، والجمل التالية تبين مدى شفقته الواسعة.

" يقولون لي : لم تعرضت لفلان ولعلان؟ انهم لايدركون ... إن أمامي حريقا هائلا يصل لهيبها إلى السماء ويحترق فيها أولادي، ويحترق فيها إيماني. وأنا أهب لإطفاء هذا الحريق ولانقاذ إيماني، فإذا تعثرت رجلي بشخص يحاول منعي عن ذلك فما أهمية ذلك؟ وماذا تعني هذه الحادثة الصغيرة أمام هذا الحريق الهائل المرعب؟ أه من التفكير الضيق ومن النظرة الضيقة"١٣٩

---

[١٣٩] – NURSI, B.S TARIHCE-I HAYAT,S.629. سيرة ذاتية ص ٦٢٩.

والتفكير أساس آخر من أسس سبيل رسائل النور، فتناول المواضيع والمسائل بأبعادها الواسعة والتفكير فيها بدقة وبعمق، وامرار الأحداث من أشعة الفكر وتصفيتها ثم تصنيفها وتحليلها للتوصل إلى تركيبها من أسس سلوك رسائل النور. فهناك تفكير شامل وتأمل عميق في رسائل النور وابعاد التفكير المتعلق بالمعرفة فيها ذات آفاق واسعة وذاتية. والتفكير الذاتي تفكير عميق ودقيق. ففيها سباحة في شواطئ الأسرار الإلهية باستخدام خريطة الحقيقة الإنسانية وبمطالعة مرآة الماهية الإنسانية بوجدان مذعن للحق وبإيمان تحقيقي سمته الإطمئنان إن آفاق التفكير التي تكسبها رسائل النور للإنسان هي قراءة ومطالعة كتاب الكائنات بابا بابا وصفحة صفحة  وسطرا سطرا وطرا باسم الله وعلى ضوء الأسماء الحسنى لله.

٤- سبيل رسائل النور هو الثبات بصدق:

إن الثبات والاستمرار في آداء الخدمة الإيمانية حتى الموت ومهما كانت الظروف والأحوال ودون خوف أو تراجع، والإيمان بالدساتير الموجودة في رسائل النور والمحافظة على العزة وعلى الكرامة الإسلامية وإظهار الوفاء والإخلاص والصدق لدعوة القرآن من أسس سبيل رسائل النور.

لقد كان ابرز صفات رجال الإسلام العظام الذين لعبوا أدوارا حاسمة في التاريخ الإسلامي أو الأبطال الذين حفروا أسماءهم في سجل التاريخ هو الثبات المخلص الصادق، فبهذا الصدق والتبات تسير الدعوة وتبقى حية. والصدق عند بديع الزمان كان من نوع الصدق الصديقي[١٤٠] والكلمات التالية تعبر بكل جلاء عن مدى صدقه وبطولته:

---

١٤٠ - نسبة إلى ابي بكر الصديق رضي الله عن

" لو منت أملك رؤوسا بعدد شعرات راسي، وبدأ كل يوم بنزع رأس من رؤوسي لما تخليت عن الخدمة الإيمانية.. لو حولتم الدنيا إلى نا تصبونها على رأسي لما أخيت هذا الرأس -الذي وضعته فداء للحقيقة القرنية- امام الزنادقة"١٤١

سبيل رسائل النور هو الشوق المطلق والشكر المطلق:

منأسس رسائل النور إبقاء الشكر لله تعالى في جميع الأحوال وفي جميع الأوقاف في الألم والحزن، في الفرح وةالسرور، دون الوقوع في هوة اليأس جون فقدان الأمل والشوق والعزيمة، ومهما كانت الظروف والأحوال فيجب إيفاء هذا الشكر دون اتهام الرحمة الإلهية.

إذ يرى بديع الزمان أن : " اليأس يمنع كل نوع من أنواع الكمال، والذي فرق العالم اللإسلامي ومزقه تمزيفا هو اليأس، فاليأس هو أفظح داء يصيب الأمم والشعوب فهو سرطان الأمم"١٤٢.

لم يسقط بديع الزمان في ظلام اليأس حتى في تلك العهود المظلمة المرعبة التي صدرت في حقه أحكام الإعدام ودبرت ضده خطط الخيانة، ولم ينحن ولم يفقد جلده بل حافظ على عزمه الدينية، وبذر بذور الأمل في كل مكان ذهب إليه مثيرا الهمم وملهبا الحماسة والشوق للدعوة.

يقول بديع الزمان في ذلك : " أجل كونوا مفعمين بالأمل .ففي الثورة المستقبلية سيكون أعلى صوت هو صوت الإسلام."١٤٣

والأساس الثاني من أسس رسائل النور هو الشكر المطلق. فأهم شيء يريده الخالق من عباده هو الشكر. فكل مخلوق في هذا العالمن وكل شيء متوجه إلى الشكر بشكل ما يؤدي إلى الشكر.

---

١٤١ --سيرة ذاتية ص ٧٠١.

١٤٢ (Nursi,B.S, Hutbe-i samige, s.38) الخطبة الشامية ط ١ ص ٣٨. الخطبة الشامية ص ٣٨.

١٤٣ – سيرة ذاتية ص ١٣٣.

والشكر هو ثمرة شجرة الخلق : ( إن مقياس الشكر هو القناعة، والإقتصاد،والرضى، والإمتنان. أما مقياس عدم الشكر والإستغناء عنه هو الحرص، والإسراف، وعدم التقدير والإحترام وتناول كل ماهب ودب دون تمييز بين الحلال والحرام)١٤٤

**ااا القسم الثالث - طرق تنفيذ الخدمة في رسائل النور-**

**١- أصبحت رسائل النور مرآة للفقرآن العظيم:**

يرى بديع الزمان أن من أهم اسباب الكسل الذي يبديه المسلمون نحو الأحكام الدينية، والإهمال واللامبالاة التي يظهرونها نحوها هو أن الكتب الموضوعية والمؤلفات المكتوبة لا تعكس بشكل جيد قدسية المصدر والمنبع وهو القرآن الكريم، وهو يرى أن الإجتهادات والكتب يجب أن تكون مرآة للقرآن حيث تبرز القرآن وتظهره أمام الأنظار، فإن أصبحت الكتب وكيلة أو ظلا غائب قدسية المصدر، ذلك لأن الذي يدعو الجمهور إلى الإمتثال والطاعة هو قدسية المصدر أكثر من الأدلة والبراهين:

(عندما ينظر امرؤ إلى كتاب ابن حجر فإنه ينظر إليه بقصد فهم القرى ومعرفة ما يقوله وليس من أجل معرفة ما يقوله ابن حجر)١٤٥.

فلو وجهت الأنظار بهذا الشكل إلى القرآن وتمت الإشارة في الضرورات الدينية إلى القرآن لأدى هذا إلى أيقاظ أكثر للضمائر ولزادت أشواق الأرواح إلى الحقائق، ولقامت قدسية القرآن وجاذبيته بهز الضمائر ولأثرت الحقائق على النفوس بواسطة الإيمان، وهكذا تزداد حاكمية القرآن ونفوذه بكل معنى الكلمة على النفوس بصورة مباشرة.

يقول بديع الزمان :" يجب أن تعطى الدروس القرآنية بشكل نحيث لا تكون آلة لشيء، لكي يمكن كسر الكفر المطلق والضلالة المتمردة العنيدة، ولكي يعطى الإقناع القطعي للجميع. ولا يتم هذا الإقناع في هذا الزمن وفي ظل هذه الظروف إلا عند حصول

---

١٤٤- المكتوبات ص ٣٦٦.

١٤٥ - اسنوحات ص ٢٨.

القناعة بأن الدين لم يجعل آله لأي غرض دنيوي أو أخروي أو شخصي، ماديا أو معنويا ١٤٦

٢- رسائل النور جددت علم العقيدة وعلم الكلام:

إن رسائل النور هي الدرس الذي يقدمه القرآن الحكيم إلى عقل العصر وإلى إدراكه. ففي رسائل النور ثم شرح الحقائق القرآنية بلغة العلم والتقنية وبشكل ملائم لإدراك العصر =، فبالمنطق وباستخدام طريقة ضرب الأمثال وطريقة التمثيل قربت الحقائق البعيدة وجمعت المسائل المتفرقة المشتتة ضمن إطار منهجي واحد، مما سهل الوصول إلى أسمى الحقائق فإلى جانب استفادة العقل فقد روعي استفادة الأحاسيس أيضا مثل النفس والخيال والتوهم والهوى. وبدلا من نقب الجبال وإجراء الحفريات لجلب المياه من أماكن بعيدة فقد اتبعت رسائل النور طريقة "موسى" عليه السلام الذي كان يجد الماء بعصاه في كل مكان، فاينما ضربه انفجرت عنده عيون الماء الزلال الذي جعل الله تعالى منه كل شيء حي.

"إن رسائل النور لا تقوم بإعطاء الدروس مثل العلماء الآخرين، إذ لا تعتمد فقط على ارجل العقل ونظره، ولا مثل الأولياء الذين يتحركون بالكشف القلبي وأذواق القلب. ولكن هذه الرسائل تتحرك باتحاد العقل والقلب وامتزاجهما وبتعاون الروح وسائر اللطائف الأخرى. فتطير إلى الأوج الأعلى وتصل إلى ذرى لا تصل إليها قدم الفلسفة، بل لا يستطيع حتى نظرها الوصول إليها وتستطيع إظهار هذه الحقائق الإيمانية حتى للعيون العمياء."١٤٧

٣- رسائل النور أسست شخصية معنوية.

يرى بديع الزمان أن أي شخص -مهما كانت مرتبته المعنوية كبيرة- لا يستطيع النجاح في إزالة الوساوس الصادرة من الكفر ومن الضلالة ومن الإلحاد الناتج من فكرة

---

١٤٦ – NURSI, B.S, MEKTUBAT, SM 319. المكتوبات ص ٣١٩.

١٤٧ – NURSI,B.S, KASTMONU LAHIKAST, S.12 قسطموني ص ١٢.

الجمعيات السرية التآمرية إزالة تامة. لذا يجب وضع شخصية معنوية تجاه الشخصية المعنوية للإلحاد. ورسائل النور أصبحت شخصيةمعنوية بعد أن نجحت في جلب ملايين الناس إليها. وهذه الشخصية المعنوية لا تحمل سمة السياسة أو الجمعيات السرية المسلحة التآمرية، ولا سمة الجمعيات الإعتيادية، ولا سمة الفكرة القومية أو المحلية ولا سمة فكرة شخصية. بل هي عبارة عن افراد تجمعوا وتحلقوا حول رسائل النور التي هي تفسير معنوي وتفسير حقيقي للقرآن يريدون ارتشاف الحكمة والمعرفة منها، وهذه الشخصية المعنوية لاتعني جمعية علنية أو سرية بالمفهوم الإجتماعي والسياسي، بل تعني ربما "وحدة قلبية" نابعة عن علاقات وجدانية وعاطفية أو "انتسابا للقرآن".

لقد جمعت الشخصية المعنوية لرسائل النور أشخاصا من مستويات متعددة في صعيد واحد، والخدمات التي تقدمها حلقات الحقيقة المتداخلة بعضها في بعض والممتدة من المركز نحو المحيط، والتي تعبر عنها بتعابير" الطالب- الأخ- الصديق" لها وجوه متعددة، وتهدف جميعا إلى إيصال حقائق القرآن وإلى كل جبهات الحياة الإجتماعية المختلفة بصورة صادقة ومخلصة، ومع أن أساس سلوك رسائل النور اساس واحد، إلا أن المظاهر المختلفة لهذه النشاطات تتعلق بالميل النفسي وليس بالأساس. أي أن رسائل النو لا تنشئ أناسا ذوي بعد واحد،أو اناس في قالب معين فقط . فلكونها مظهرا لـ" الإسم الجامع" فإن كل شخص يأخذ من معرفتها الكلية وحكمتها وحقيقتها وإطار فكرها حسب قابليته وميله وفهم المشارب هذه يساعد على وضوح الحقائق النسبية وحضورها وإذا جاز التعبير فإن الشخصية المعنوية لرسائل النور ليست بستانا فيه نوع واحد من شجرة الفاكهة بل هي حديقة بستان واسعة تحتوي على أشجار متنوعة وعلى أثمار وفواكه متعدد وعلى ورود وزهور عديدة تنمو كلها في أطيب مناخ وأحلاه وضمن تكاملها فإن هذه تظهر بشكل "جميل" و"أجمل " و "الأجمل".

٤- طريقة رسائل النور هي التصرف الإيجابي:

الدرس الأخير الذي أعطاه بديع الزمان سعيد النورسي قبيل وفاته كان حول " التصرف الإيجابي" فهو يقول في درسه الأخير:

"إن واجبنا هو التصرف بشكل إيجابي وليس بشكل سلبي أي إيفاء الخدمة الإيمانية لتحصيل الرضا الإلهي دون التدخل في الوظيفة الإلهية. ونحن مكلفون بالصبر اتجاه كل الظروف الصعبة وبالشكر وبالتصرف الإيجابي الذي يحافظ على الأمن و على الإستقرار"١٤٨

ويقول ايضا : " لقد بذلت كل ما في وسعي من جهد طوال حياتي للمحافظة على الأمن إذ يجب ألا تستعمل القوة في الداخل بل نحو الإعتداء الخارجي . وظيفتنا هي مد يد المساعدة للمحافظة على الأمن الداخلي بكل ما نملك من قوة. إن أكبر شرط من شروط الجهاد المعنوية هو عدم التدخل في الوظيفة الإلهية، فوظيفتنا نحن أداء الخدمة ، أما النتيجة فتعود إلى الله سبحانه وتعالى ونحن مكلفون ومجبرون على آداء وظيفتنا"١٤٩

وقد ابتعد بديع الزمان البعد كله عن أي عمل أو نشاط يؤدي إلى إثارة أهالي البلد بعضهم ضد بعض أو عمل أي شيء إلى الإحساس بالإنحياز نحو طرف أو التزام طرف أو القيام بما يمس الأمن والإستقرار والهدوء. وقد أوصى تلاميذه وطلابه بذلك بشدة.

هناك أسباب حيوية ومهمة جدا وراء إعطاء بديع الزمان كل هذه الأهمية للتصرف الإيجابي ومراعاة الأمن والإستقرار:

إن الحياة الإجتماعية إن كدر ماؤها، فإن إعادة السكون والإستقرار إليه تحتاج إلى مدة طويلة من الزمن، وتتطلب همة كبيرة وجهودا مكثفة.

والبنية الإجتماعية إن اهتزت بعوامل الإستبداد أو الإرهاب والفوضى، فلا يمكن أداء الخدمة فيها بشكل مستمر وصحي ومؤثر.

---

148- NURSI B.S, EMIRADAGE IAHIKASI 2, 5, 241.

149- Nursi, B.S, A.g.e, s, 242.

ولكي يتم نقش الحقائق القرآنية في القلوب والعقول فإن الهدوء الإجتماعي شيء ضروري ولازم فإن تم تناول الأمور تحت تسلسل (التهيج -استعمال القوة الجسدية - الإنحياز) وليس تسلسل (العقل- المنطق- موازنة الأدلة) زادت التناقضات واكتسبت شدة وارتفع النبض الإجتماعي، والإضطرابات الشديدة تؤدي إلى غياب الإستقرار والهدوء الداخلي وإلى انفراط عقد القلوب. وإذا غاب الهدوء احتلت الفوضى والإستبداد والإرهاب مكانه.

أما السد الذي يقطع السبيل أمام الفوضى الاجتماعية والفساد والإنقلابات فهو التصرف بحركة إيجابية.

٥- تجردت رسائل النور عن السياسة:

لم يهتم بديع الزمان طوال حياته بالسياسة الفعلية أبدا، وقد رأى أن من أسس وموجبات طراز خدمته تجرده من السياسة تماما. ومن الملفت للنظر والداعي إلى التفكير تجرد مثل هذا الشخص الذي يستطيع تحليل الأحداث الاجتماعية والسياسية تحليلا فكريا حكيما وجيدا كل هذا التجرد من السياسة والحقيقة أن تبنيه طراز خدمة بعيدة تماما عن السياسة يعد من أكثر أفكاره جدة وأكثرها مدعاة إلى التحليل والبحث.

فلماذا لم يقم بديع الزمان بتشكيل حزب ولماذا لم يعمل على تشكيل نموذج سياسي؟ ولماذا حصر كل همه وجهوده في خدمة القرآن؟ دعنا نرتب الجواب على هذا السؤال في شكل مواد موجزة بعد القيام بمسح شامل لرسائل النور.

أ - يرى بديع الزمان أنه عندما يتم تقييم الحوادث الإجتماعية يجب أن يكون التشخيص تاما وذو متانة وصحة. وتشخيصه الموجز هو ما يلي:

" إن الحياة البشرية ماهي إلا مركب وقافلة تمضي، ولقد رأيت بنور القرآن الكريم في هذا الزمان، إن طريق تلك القافلة الماضية أدت بهم إلى مستنقع آسن، فالبشرية تعثر في سيرها فهي لا تكاد تقوم حتى تقع في أو حال منتنة.

ولكن قسما منها يمضي في طريق آمنة، وقسم آخر قد وجد بعض الوسائل لتنجيه - قدر المستطاع- من الوحل والمستنقع. وقسم آخر وهم الأغلبية يمضون وسط ظلام دامس في ذلك المستنقع الموحل المتسخ. فالعشرون بالمائة من هؤلاء يلطخون وجوههم وأعينهم بذلك الوحل القذر ظنا منهم أنه المسك والعنبر، بسبب سكرهم. فتارة يقومون وأخرى يقعون وهكذا يمضون حتى يغرقون. أما الثمانون من المائةن فهم يعلمون حقيقة المستنقع ويتحسسون عفونته وقذارته إلا أنهم حائرون، إذ يعجزون عن رؤية الطريق الآمنة).١٥٠

ومن الصعب إثارة القلوب بمطرقة السياسة. ثم إن إيفاء الخدمة في زمن عاصف يكون صعبا، فإن تكسرت هذه المطرقة لسبب من الأسباب طار حتى النور. (هنا).

(أو انطفأ). لذا يجب ترك تلك الناحية، والالتفات إلى أهم وألزم وأسلم ناحية وهي ناحية الخدمة الإيمانية. والجهاد المعنوي داخل البلد لا يحتاج إلى خدمات معنوية.

ب- إن رسائل النور دروس قرآنية وتهدف إلى نيل الرضى الإلهي، ولا يمكن أن نكون متحيزين ضد أي شخص يأتي إلى درس الإيمان مهما كان هذا الشخص فلا نميز في الدرس الإيماني بين صديق وعدو، بينما التحيز الموجود في السياسة يقضي على هذا المعنى ويختل معنى الإخلاص١٥١.

ج- هناك دوائر وحلقات للقلب والمعدة والبدن بعضها وسط بعض بدءاً من الأسرة إلى المحلة إلى المدينة إلى البلد إلى الكرة الأرضية والنوع البشري، ففي كل دائرة قد يكون هناك نوع من الوظيفة لكل إنسان، ولكن أكبر وظيفة وأهمها وأكثرها داما توجد في أصغر دائرة وهي دائرة القلب، وقد توجد الوظيفة الصغيرة والمؤقتة والتي لاتحتاج إليها إلا من وقت إلى آخر في أكبر دائرة١٥٢. ولكن الدائرة الكبيرة تكون أكثر جاذبية:

---

١٥٠- NURSI, B.S, MEKTUBAT,S.48 المكتوبات ص ٤٨.

١٥١- NURSI,B.S, EMIRDAG LAHIKAS 25.36

١٥٢- NURSI, B.S, EMIRDAG LAHIKASI-1.3.57

" وبجاذبيتها هذه تجذب إليها الفضوليين وتشغلهم بها. وتجعلهم ينسون الوظيفة الحقيقية والوظيفة الكبرى، وتعطي دافعا للتحيز ولا ترى بأسا في ظلم الظالمين فتكون بذلك شريكا في الظلم"١٥٣.

إن أوسع مجال ودائرة تكون سببا في الغفلة وفي الإنشغال بالدنيا والغرق فيها وفي نسيان الآخرة هي دائرة السياسية. فمن الصعب على الشخص السياسي المحافظة على الإخلاص وعلى الصفاء وعلى نقاء القلب، فتجاه الحوادث وفي أثناء غمار النضال هناك حاجة ماسة إلى إيمان بوضوح الشمس لكي لا يختنق الإنسان بهذه الحوادث لذا:

" إن السياسي لا يكون - في الأغلب- متدينا ومتقيا تمام التقوى، كما أن المسلمين والمتقين الحقيقيين لا يكونون ساسة. والشخص المتدين الذي يعرف أن الغاية الكبرى للكائنات كلها هي عبودية الإنسان لله، لذا فإنه لا يتعلق بالسياسة تعلق العاشق، بل يمكن أن يهتم بها بدرجة ثانية أو ثالثة وفي سبيل جعلها وسيلة لخدمة الدين وخدمة الحقيقة"١٥٤.

د- "وحمدا لله فإنني بسبب تجردي عن التيارات السياسية لم أبخس قيمة حقائق القرآن التي هي أثمن من الألماس ولم أجعلها بتفاهة قطع زجاجية بتهمة الدعاية السياسية. بل تزيد قيمة تلك الجواهر القرآنية على مر الأيام وتتألق أكثر أمام أنظار كل طائفة"١٥٥.

ه- إن الساحة السياسية ساحة ملوثة بالأمراض السارية، وتشبه الإنفلونزا تجعل الفكر يهذي... وهي تفرق ما بين المسلمين، فتجعل الشخص عدوا لأخيه المؤمن ولو كان طيبا كالملاك لمجرد أنه يختلف عنه في النظرة السياسية، ويحتج عليه ويكون محبا لصديق سياسة ولوكان كالخناس ويكون مناصرا له حتى في الظلم ويشترك معه من الناحية المعنوية في جرائمه.

---

[١٥٣]- A.g.e, S. 202

[١٥٤]- NUSRI, B.S, EMIRADAG LAHIKASI 1.3.57.

[١٥٥]- المكتوبات ص ٤٩.

وفي الواقع العملي يخل بإجراءات العدالة والحق وبأسسهما، ويتخذ التحيز السياسي أساسا فيخل بالروابط الإجتماعية١٥٦.

و- في الحوادت السياسية " لسنا متحركين ذاتيا، بل نتحرك بالواسطة. فأوربا تنفخ ونحن نرقص هنا"١٥٧ . فمنبع الحوادث السياسية ومصدرها ومواضع صنعها هو الغرب لذا فهناك احتمال الإشتراك بعلم أو دون علم بالأعمال القذرة وبمناورات الغرب والأعيبه. والذين ينحرفون في تلك التيارات تكون أعمالهم لحساب القوى الخارجية لأن إرادتهم لاتأثير لها وكون نياتهم خالصة لا تفيد شيئا١٥٨.

ز- ولا يؤيد بديع الزمان الإنشغال بالسياسة من الناحية النفسية أيضا للفرد ... ذلك لأن الذين يتعلقون بالسياسة والنظر إليها من زاوية متحيزة يجعلون أرواحهم غبية وعقولهم منتكسة.

والسياسة في هذه الأيام تفسد القلوب وتجعل النفوس العصبية في عذاب دائم. فمن كان يرغب في قلب مستريح ونفس مرتاحة فعليه بالإبتعاد عن السياسة١٥٩.

ط- إن للخدمة القرآنية منزلة أسمى من جميع السياسات، ولا تستطيع هذه الخدمة النزول إلى مستوى السياسة الدنيوية التي صبغتها- في الأعم الأغلب- هي الكذب، وبالنسبة إلينا فإنه تكفينا الأذواق المعنوية والأنوار الإيمانية١٦٠.

٢-قوة رسائل النور أصلية:

إن الخدمات التي لاتأسر القلوب ولا تشغل الأرواح مهما بدت كبيرة في المظهر الخارجي، فإنها - من منطلق الحقيقة - تشبه نار القش المشتعل لا تملك دواما ولا تأثيرا،

---

[١٥٦] - السنوحات ص : ٤٦.

– [157]Nurisi, B.S, A.g.e, S.46.

[١٥٨]- قسطموني ص ١٢٣.

[١٥٩] - المكتوبات ص ٤٨- قسطموني ص ٣٠٩

[١٦٠] - المكتوبات ص ٤٨- قسطموني ص ٣٠٩.

إن فعالية ونشاط رسائل النور هو في سبيل أسمى معنى، فلكونها تأخذ (العقل، القلب، الروح) أساسا فهي لا تهتم بإطلاق الشعارات، بل تهتم بالحياة الواقعية، ووسيلتها ليست الهدم والتمزيق والحدق واستعمال القوة العمياء والسلاح بل وسيلتها عشق الحقيقة والإرشاد القلبي، فليست هي دون غاية أو هدف أو نظام. وفعاليتها تساعد على استتباب الأمن والإستقرار والهدوء، وتقف في وجه الفتن والهدم الاجتماعي والإضطرابات والهزات ولاتعطي لها فرصة، وهذه الفعالية تحاول بالرفق واللين وبمشاعر الرحمة والشفقة معالجة دواليب المجتمع التي أصابها الخلل والفساد.

وتتميز فعاليتها بأنها تقوم بنفس الحقائق في النفوس، وبالنفوذ إلى أعماق القلوب لتثير ارق المشاعر ولتوسع الإستعدادات السامية.

ولإيضاح مدى تأثير فعالية رسائل النور وقوتها أدرج أدناه حادثة حقيقية: في اثناء المحكمة التي انعقدت في ظل الأحكام العرفية سنة ١٩١٠ أحضر أرمني- يحتمل أنه كان من حزب "أصالا" الأرمني السري- إلى قاعة السجن الذي كان أحد طلاب النور مسجونا فيه، كان هذا الأرمني مولودا في اسطبنول ويتقن اللغة التركية، فدار بينهما الحوار التالي :

- سأل الأرمني : مالتهمة الموجهة إليك؟ لماذا أتو بك إلى هنا؟

- أنني برئ لقد جاؤوا بي إلى هنا لكوني أقرأ كتابا

-أي كتاب؟

- رسالة النور.

ما ان سمع الأرمني كلمة "رسالة النور" حتى صمت قليلا ثم دمدم بالكلمات التالية:

- الحركة النورية ... أكثر القوى هدوءا في العالم ولكنها أكثر القوى قدرة وفعالية.

٦- طريقة تعليم وتربية رسائل النور متكاملة:

لقد أسست رسائل النور في طول البلاد وعرضها ورشة تربية دائمية، وقلبت سطح الوطن إلى مدرسة وإلى مؤسسة معرفة، إن رسائل النور تقرأ الآن بكل شوق داخل البلد

وخارجه من قبل جميع الأعمار بدءاً من الأطفال إلى الشيوخ قراءة مستمرة .إن اجتماع العديد من الناس- قد يبلغ عددهم عدة ملايين - حول دروس وحقائق رسائل النور في سبيل الله، دون وجود أي إكراه ودون وجود أية روابط فيما بينهم، وتوحدهم حول هذه الحقائق يعد خدمة قرآنية كبيرة وحادثة مهمة. فلم يحدث في تاريخ الإسلام أن اجتمع كل هذا العدد من الناس حول كتاب أي مؤلف. ولما كانت رسائل النور تجليا لسلوك الصحابة في هذا العصر فإن نظام التربية عندها انعكاس لأنموذج " دار الأرقم" في عصر النبوة. إن طريقة التربية والتعليم لرسائل النور تعطي أهمية كبيرة لتربية المؤمنين - ولاسيما أجيال الشباب - تربية قرآنية. ويركز هدفها التربوي على الكيفية اكثر من الكمية، إذ تتبع انوذج " أصحاب الصفة" وتعكس النظرة القائلة بأن " أسد واحد أفظل من الف غنم"

١- لا تطلب أجراً ولا أجرة عند إيفاء الخدمة:

تتبع رسائل النور الأنبياء في موضوع نشر الحق، أي أنها لا تطلب أجرا مقابل خدماتها، بل تنتظر أجرها من رب العالمين فهذه الدنيا عالم خدمة وليس عالم الأجر. وطريقة رسائل النور هذه بعيدة عن الرياء وعن المظاهر وعن حب التصفيق، فهي طريقة لخدمة خالصة. فقد اتخدت رسائل النور دستور "تقديم الخدمة دون مظاهر" فباستغنائها عن الشعب وبرعايتها للإقتصاد انقذت العلم من أن يكون واسطة لجر المنافع فحافظت بذلك على عزة العلم وعلى كرامته.

- خاتمة:

يقول بديع الزمان سعيد النورسي في كتابه " سكة تصديق الغيب " إنني أوكد لكم وأقسم على ذلك بأن قصدي من الثناء على رسائل النور هو تأييد حقائق القرآن وتأييد أركان الإيمان والبرهنة عليها ونشرها .إنني أحمد خالقي الرحيم مائة ألف حمد وشكر، لأنه لم يجعلني أعجب بنفسي، وأنه أراني كل تصييرات نفسي وكل عيوبها فلم تبق هناك أية رغبة للسعي لجمع الإعجاب لهذه النفس الأمارة بالسوء".

وعلى ضوء هذا البيان فقد حاولنا في محاضرتنا هذه ليس استعراض شخصية سعيد النورسي، بل حاولنا استعراض الخدمات التي قدمها للقرآن وللإسلام، غير أن مدح هذا المجدد وعلامة القرآن باسم القرآن والثناء عليه لايعد إسرافا كما اعتقد، ذلك لأنه كان تحت إمرة القرآن وتلميذا من تلاميذه.

ذلك لأنه - لقمان الحكيم- في عصره الذي شخص حيرة العصر، وطبيب الإيمان ودلال القرآن وهو من الناحية المعنوية أخصائي على مستوى العالم.

بديع الزمان هو طبيب فتش الذي قدم من صيدلية القرآن أدوية لأمراض العصر.

بديع الزمان هو دلال القرآن الذي عمل على إحياء سنة الرسول صلى الله عليه وسلم وأعلن عن قدسية القرآن.

بديع الزمان هو دليل زمانه الذي عن الخلاص في القرآن وجلب الأنظار إلى القرآن.

بديع الزمان هو ناشر نور القرآن الذي أخذ على عاتقه مسؤولية الدعوة القرآنية.

بديع الزمان هو معمار الإيمان الذي عالج الوجدان العام والقلب العام بالحكمة القرآنية.

بديع الزمان هو الجواد الأصيل الذي سبح في شواطئ أسرار معرفة الله، وهو معرف بالقرآن، وهو في النهاية الأمل المنتظر للإسلام.

لقد أرسى بديع الزمان سبيله على اسس صلبة، فالطريق الذي أختطه طريق حكيم وملائم للفطرة، فقد بدأ بألزم شيء للإنسان، فدعا البشر إلى "التوحيد". وبعد أن جعل منتسبي طريقه يمرون من مراحل انتقاله في الفكر والقلب والروح، جعلهم يتجولون في الآفاق الرحبة للفكر والتأمل، وتشكل منهم جماعة حصينة وكاملة، واستخدم الحكمة والكلمة اللينة واللسان العذب في تبليغ دعوته، ولم يلتفت أو يتهم أبدا بالأسلوب الخشن الحاد وبالأسلوب الهدام المخرب، واستمر في دعوته بصبر وجلد، وتحمل كل الآلام دون خوف ودون استسلام ودون التخلي عن أسلوبه الإيجابي في التصرف.

ونجح بديع الزمان النورسي في تأسيس جيش فدائي متماسك نقي وصميمي، وأنشأ شخصية معنوية قوية تشع نورا تجاه الشخصية المعنوية للكفر، وقد تطلع إلى المستقبل بأمل ولم يقع في اليأس.

عاش مثلما تحدث، وتحدث مثلما عاش، فتربع على عرش القلوب كحقيقة تعيش في الواقع، ففي سبيله وطريقته وطرازه وأسلوبه اتخذ الإنسان أساسا ورسم سبل الوصول إليه، واهتم كل الإهتمام بإنشاء هذا الإنسان وبكيفية صعوده مدارج الكمال.

وقد أصبح سعيد النورسي المنقذ المنتظر في عصره بإخلاصه التام وبتفكيره العميق وبتضحيته اللامحدودة وبتواضعه الكبير وبروحه المتآلقة وشفقته الوسعة وشخصيته الكبيرة الخالية من الأنانية، وبخدماته الجليلة وبعبوديته الخالصة الخالية من حب المظاهرن وبالتزامه المتين.

لقد عكس هذا المفكر الكبير في القرن العشرين انموذج عصر الصحابة، ونشر أسلوب دار الأرقم وأصحاب الصفة، فحرك الجماهير الجامدة، بمشاعر عشق الحقيقة، وجعل غاية الإسلام ومثله الأعلى، والغاية العلوية والمقدسة للدين فوق جميع المنافع الشخصية، وفوق جميع المآرب.

حافظ على العزة الدينية، وجعل الإخلاص والاستغناء عن الناس والتضحية والاقتصاد التام أسس قواعد حياته. وبمفهومه عن طراز الخدمة - الذي يبدأ من المركز ويتوجه نحو المحيط- فقد بدأ بشخصه وخاطب نفسه، ولم تقتصر طاقة خدماته في مكان معين أو زمان معين أو بيئة معينة.

بل دوام على أداء خدماته المخلصة في كل مكان وفي كل زمان وتحت جميع الشروط.

وخلاصة القول أن رسائل النور أخذت نورها من القرآن الحكيم مباشرة أي أنها أصبحت مثلما قال الشاعر:

إن التقدير الإلهي لا يمكن رده بقوة الذراع وأن شـــمعة أوقـــدها الله لاتنطفئ بالنفخ

إن رسائل النور برسالتها الغنية وبفكرها المؤثر وبعلمها العميق تحمل بحق صفة "المعلم" ولكونها تزكي الأنفس وتطمئن القلوب وتهذب الأرواح فهي تحمل بحق صفة "المربي".

إن قراءة رسائل النور تجعل الإنسان ينسى الإنسان، إذ تحمله إلى أقاليم المعرفة وتعجنه بأسرار وبأنوار القرآن، وتصفي نفسه وتعيد تشكيله من جديد، وتربطه برسول الله وبالقرآن وبالله. وتجعله يطير في أنوار أسماء الله الحسنى ويتنزه في حدائق العشق والمحبة الإلهية.

لذا فإن العالم الإسلامي بأجمعه، والبشرية جمعاء في حاجة إلى مثل هذا التفسير للقرآن وإلى منظومة الحقائق هذه في بداية نقطة انطلاقها للهداية. وستزداد هذه الحاجة يوما بعد يوم وستحتفظ رسائل النور بشبابها وطرواتها ويناعتها حتى يوم القيامة. تم والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم.

المصادر والمراجع

* بديع الزمان النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي "موضوع البروفسور الدكتور : شنردلك تحت عنوان"

- منهج وطريقة رسائل النور وغايتها-

من مجموع كليات رسائل النور : - المناظرات

- المكتوبات

- الشعاعات

-اللمعات

- اشارات الاعجاز في مظان الإيجاز

- سيرة ذاتية
- قسطموني
- الخطبة الشامية
- السنوحات

-Nursi B.S. Sozler

- Nursi B.S. A.g.e.

**بسم الله الرحمن الرحيم.**

## موقع رسائل النور من الفكر الإسلامي الحديث

**ذ. مهدية أمنوح - أستاذ الفكر والحضارة بكلية الاداب والعلوم الإنسانية-تطوان**

لقد مثلت الفترة المعروفة بالحديثة وهي المبتدئة من القرن التاسع عشر إلى أواسط القرن العشرين فترة مصيرية في حياة الشعوب الإسلامية. إذ تراكمت إبانها تجارب عديدة

ومتنوعـة فـي كافـة الميـادين يمكـن أن نسـميها بالمشـكلات الحضـارية أو الإشـكاليات الحضارية نظرا لكونها لم تجد لها حلولا عملية بعد.

وأهم ما ميز الفكر الإسلامي الحديث في هذه الآونة هو الإلتفاف حول مائدة عامة من القضايا التي كانت تأرق أعلامه وتجد صدى في تجاوب عوامه.

وقد كان لمبادئ الانعتاق والتحرر من التواكل والتحرر من الآخر مساحة كبيرة في برامج هذا الفكر. إذ كان هذان العنصران في توافقهما واجتماعهما بمثابة المكبلان للإنسان الإسلامي والمعيقان له عن الحركة. فنشأ من ثم ما يمكن أن نطلق عليه وفق تعبير أحد الباحثين الإسلاميين" صراعا فكريا" عم حضوره كل البلاد الإسلامية بدون استثناء أسفر عن ظهور مبادئ موازية للمبدأين الأولين من مثل : تحقيق الذات الإسلامية أوترسيخ الهوية (وليس البحث عنها)، والتقدم.

جاءت الدعوة إلى تحقيق الذات الإسلامية التي غاب حضورها الفعلي بشكل مريب ؛ وذلك قصد التخلص من حالة نفسية عويصة للغاية تصور فيها الإنسان الإسلامي ذاته شبحا مخيفا أو ظلا باهتا وإعداد وضع صحي تغيب فيه الدونية والانفصام وذلك بإكساب الإنسان المسلم شجاعة كافية كي يتقدم إلى العالم كله باسمه الحقيقي وشكله الأصلي وانتمائه الأصيل وهو عين المبدإ الثاني الذي سميته بترسيخ الهوية عوض البحث عنها، نظرا لأن أصالة العالم الإسلامي لم تضع منه كي يبحث عنها. بل إنه كتمها إما قسرا وقهرا أو ضعفا وتواكلا.

وهنا تظهر مسألة الصراع الفكري على مسرح أحداث العالم الإسلامي بإثارة مبدإ ثالث هو ضرورة التقدم وكيفية تحقيقه في غياب وصاية الآخر المذمومة والمحبطة للطاقات الإسلامية.

إذا ثبت هذا عند حديثنا عن الفكر الإسلامي بصفة عامة في هذه الإبان فإن هناك عناصر خاصة تميز نوعا من الفكر الإسلامي عن نوع آخر وذلك بحسب التنوع البيئي بما فيه السياسي والاجتماعي و... العلائقي في الداخل والخارج.

ولنا في "رسائل النور" التي ألفها الأستاذ سعيد النورسي أنموذجا مفصلا وشاهدا في هذا المقام. إذ هي عبارة عن مادة مكثفة من المقالات والخطب والخواطر والتحليلات والتفسيرات التي انصب جزء كبير منها إن لم أقل جلها في تفسير القرآن الكريم. وما تسميتها برسائل النور إلا لكونها تطمح إلى الاقتباس من نورانية هذا الكتاب بدورانها في فلكه وقربها منه. فقد "شقت رسائل النور طريقها إلى الحقيقة في موضع العبادة ضمن العلم، وفتحت سبيلا إلى حقيقة الحقائق في موضع السلوك والأوراد ضمن براهين منطقية، حجج علمية وكشفت طريقا مباشرا إلى الولاية الكبرى في موضع علم التصوف والطريقة ضمن علم الكلام والعقيدة وأصول الدين"١٦١.

والقارئ قد يحار تجاه التعريف للرسائل. ما هي هذه المادة بالضبط؟ أهي تصوف أم كلام ،خاصة حينما يطلع على كلام صاحبها١٦٢ : "لقد كنت أقول : إن هذا الزمان ليس زمان الطريقة فالبدع تحول دون ذلك، مفكرا في حقائق الإيمان وحدها. ولكن الزمان أظهر أنه يلزم لكل صاحب طريقة -بل الألزم له- أن يدخل دائرة رسائل النور التي هي أوسع الطرق وتضم خلاصة الطرق الإثنتي عشرة المهمة ضمن دائرة السنة النبوية الشريفة. حيث إن الذي غرق في الخطايا والذنوب من أهل الطريقة لايلج في الإلحاد بسهولة ولايقهر قلبه. ولهذا فهم لايتزعزعون أبدا فيمكنهم إذن أن يكونوا طلاب رسائل النور حقا، بشرط ألا يدخلوا -حسب المستطاع- في البدع ولايرتكبوا الآثام التي تحول دون التقوى وتجرحها".

[١٦١] – بديع الزمان سعيد النورسي–الملاحق ص ٢٧٦

[١٦٢] – بديع الزمان سعيد النورسي–الملاحق ص ٣٤٤.

إنها ليست شيئا من هذا بل إنها هذا كله. فقد توسل الخطاب في رسائل النور بإمكانيات منهجية ومعرفية إسلامية كثيرة خاصة منها منهج الجدل ومنهج الذوق. إذ أن الاستفادة من القدامى في هذين البابين واردة لامحالة. بل إن مؤلف الرسائل الأستاذ سعيد النورسي يعطيها أكثر من حظ القدامى والمحدثين أيضا حين يدعو أهل التصوف إلى الانضواء تحت ظلال رسائل النور إيمانا منه بكون الرسائل أقرب إلى الحقيقة القرآنية والربانية من غيرها. فقد جعلت محورا لها التفكر في الآفاق وفي الأنفس وفق ما ورد في القرآن الكريم.

وعن هذا التفكر في يرى النورسي رسائل النور تبين أن الموجودات قاطبة إنما هي مظاهر الأسماء الحسنى بحيث لاتدع مجالا للغفلة قط. فلا شيء يكون حائلادون السكينة والإطمئنان. لذا تكسب قارئها مرتبة واسعة من الاطمئنان سعة الكون كله وتفتح أمامه دائرة عبودية واسعة ودائمة سعة الكون أيضا كما أنه -أي النورسي- يؤيد التفصيل في التفكر في الأنفس ويرى أن الطريق هو أقصر من التفكر في الآفاق وقطعي أيضا.

حتى إنه عندما يعرف النتيجة التي يتم التوصل إليها بالتفكر النفسي بمرتبة حق اليقين. وقد قام المؤلف بإضافة قسم بعنوان "شهادة الماهية الإنسانية" إلى خلاصة الخلاصة التي هي بمثابة خلاصة بالعربية للآية الكبرى التي تشكل مثالا في التفكر الآفاقي[١٦٣] ويبين أسباب هذه الإضافة في أحد مكاتيب أميرداغ على الشكل التالي :

"نعم إن الكون العظيم يكون أمامي بمثابة حلقة ذكر في أثناء قراءتي لخلاصة، ولكن لأن لسان كل نوع من الأنواع واسع جدا، يتحرك العقل عن طريق الفكر كثيرا كي يذعن بالأسماء الإلهية وصفاتها بعلم اليقين، وبعد ذلك يتمكن أن يبصر ذلك بوضوح. وعندما ينظر إلى الحقيقة الإنسانية في ذلك المقياس الجامع، في تلك الخريطة المصغرة، وفي ذلك

[١٦٣] – المؤتمر العالمي لبديع الزمان سعيد النورسي ٣ مقال (أصول التفكر في رسائل النور) ص ٢٣.

النموذج الصادق، وفي ذلك الميزان الصغير، وفي ذلك الشعور بالأنانية، فإنه يصدق تلك الأسماء والصفات بإيمان واطمئنان ووجدان جازم شهودي وإذعاني وبسهولة ويسر"١٦٤.

وهكذا مهما حاولنا ضبط تعريفنا لرسائل النور فإننا لن نصيب إذا لم نتتبع وحداتها أو فقراتها بالبحث في ضوء الأحداث والظروف التي كانت تمر بها تركيا عندئذ. فقراءة هذه الرسائل في ذاكرة الفكر الإسلامي في عموميته أمر فيه مغالطة كبيرة. بل إن الاحتفاظ بالخصوصية الكاملة والتامة لفكر هذه المكتوبات هو الشرط الأساس لوضع أقدام القارئ على السبيل الصحيح (المواضيع تكاد تكون واحدة لكن أسلوب المعالجة والأولويات في ترتيب العناصر وغير ذلك ليس واحدا). فجميع المفكرين في إصلاح أوضاع العالم الإسلامي تطرقوا لمواضيع الاستبداد، والتعليم والعدل، والتنمية، و... ولكن ما قاله محمد عبده يتميز عما قاله محمد إقبال وعما قاله غيرهما. إذ لكل واحد في إطار بيئته اصطلاحاته الشارحة والباحثة عن الحلول.

وعليه أقول، إنها محاولة لتفسير القرآن وتفكر في آيات الآفاق والأنفس، أي نعم. لكن مع ايقاع أو جرس الزمن الإجتماعي والسياسي والحضاري لتركيا الحديثة بهدوئها وضجيجها، بمدها وجزرها.

وخير ما يعكس هذه الصورة سفر صيقل الإسلام في مواضع متنوعة حيث يقول الأستاذ سعيد في إحدى الفقرات "لقد ألقيت نظرة إلى رسالة "المناظرات". وذلك بعد مرور خمس وثلاثين سنة على تأليفها فرأيت فيها وفي مؤلفات "سعيد القديم" أخطاء وهفوات. إذ ألف تلك الآثار في حالة روحية ولدها الانقلاب السياسي وأنشأتها مؤثرات خارجية وعوامل محيطة به"١٦٥.

---

١٦٤ – بديع الزمان سعيد الورسي – الملاحق ص ٢٨٤.

١٦٥ – بديع الزمان سعيد النورسي–صيقل الإسلام ٢٧١.

فلقد أحس بإحساس مسبق أن "رسائل النور" ستنقد ايمان كثير من المؤمنين وستشد أزرهم... ألا أنه نظر إلى هذا النور من خلال الأحداث السياسية التي واكبت الانقلاب، وحاول تطبيق ما رآه من نور على واقع الحال من دون تعبير ولا تأويل ... إلا أنه لم يوفق في التعبير عن بشراه توفيقا كاملا[١٦٦].

-كأننا برسائل النور-على لسان مؤلفها- في التجارب[١٦٧] تستعجل أمرا لم يحن أوانه بعد.

ولكن بحلول الحرب العالمية وخضها للمجتمع التركي وخاصة منه تلك العناصر التي كان النورسي يعول عليها في تدشين فجر جديد. تبين له الأمر. فعاد "سعيد الجديد" إلى الاستمرار في مهامه وخالف "سعيدا القديم".

ولا أرى هذه المخالفة إلا في وجهة واحدة هي الوجهة السياسية أما فيما عدا ذلك فنهج رسائل النور بقي حاملا للروح المبشرة والمؤمنة بغد أفضل بثقة كبيرة وعزم أكيد.

"إنني أقسم بما آتاني الله من قوة بل لو كان لي ما لا يعد ولا يحصى من الألسنة لأقسمت بها جميعا، بالذي خلق العلم بهذا النظام الأكمل، وخلق الكون في منتهى الحكمة والانتظام من الذرات إلى السيارات، السابحات في أجواء الفضاء. ومن جناح البعوضة إلى قناديل النجوم المتلألئة في السماوات... لايمكن أن يخرج البشر على سنة الله الجارية في الكون ويخالف بقية إخوانه من طوائف المخلوقات بشروره الكلية ويقضي بغلبة الشر على الخير... فهذا لايمكن قطعا"[١٦٨] (فالنصر آت لا محالة)

وتقرير مثل هذا مسند بقسم غليظ لا يمكن أن يصدر إلا ممن يعرف موطئ أقدامه ونتيجة منطوقه.

والشئ نفسه نلحظه في كيفية تعليله للمسألة الحضارية حيث يطرح السؤل التالي :

---

[١٦٦] – نفسه.

[١٦٧] – تأييده للجيش وجمعية الاتحاد والترقي.

[١٦٨] – بديع الزمان سعيد النورسي-صيقل الإسلام ص : ٥٠٣.

ما الشر الذي جعل العالم الإسلامي يقف على أعتاب القرون الوسطى بينما طار الأجانب والأوربيون بخاصة نحو المستقبل؟!.

الأمر في تمثله راجع إلى مجموعة من الأدواء التي يعاني منها المسلمون في عهده (وإلى يومنا هذا) من مثل :

١- اليأس : يأس الفرد بالتراكم (=يأسا مركبا) عبر سنين متعددة، ترتب عنه وضع نفسي عويص.

٢- الكذب : وهو أنواع كثيرة ومراتب متفاوتة..

٣- العدوانية والتباغض وهي ظاهرة نفسية تدل على فقدان التوازن على مستوى شبكة العلاقات الاجتماعية.

٤- الجهل بما عند المسلمين من روابط نورانية وخاصة تلك التي تربطهم بالآخرة أو بالحياة الأخرى.

٥- الاستبداد وهو حالة نفسية قبل أن تكون سياسية.

٦- الذاتية أو حب الذات والظهور.

وبعد. فموقع هذه الرسائل يظهر في كونها متفتقة وصادرة عن واقع مصدوم حيث إن صدمته أتته من : -تكرار الفشل في تسمية الأشياء بأساميها الحقيقية ومن الفشل في إعادة الإنسان الإسلامي إلى موضعه الأصلي.

- فمثلت من ثم رد فعل بناء حول الفرد إلى أمة حيث ظهرت نتيجة ذلك في المجتمع التركي المعاصر.

ودلت أيضا على رد فعل بناء حول الفكرة إلى تجربة ناجحة من ناحية الكيف وذلك من خلال السلوك العملى لطلبة النور في واقع تركيا الاجتماعي.

وخلاصة الخلاصة أن كاتب الرسائل عاش بين الأفكار الخادعة والأفكار المخدوعة بحثا عن -وأملا في تحقيق :-قاعدة مجتمعية شرعية ثابتة لاينخرم فيها أي شرط من

الشروط التي تحقق الحياة الكريمة والأخرى السعيدة وذلك بتوفير عنصري : -الأمن، والعدل.

لأجل رد الظلم ودفعه عن الإنسان (وخاصة المسلم). ونجد في ثنايا هذا الحديث تذكير بما ذهب إليه ابن خلدون في مقدمته قائلا:

"لاتحسبن الظلم إنما هو أخذ المال أو الملك من يد مالكه من غير عوض ولا سبب كما هو المقصود بل الظلم أعم من ذلك. وكل من أخذ ملك أحد أو غصبه في عمله أو طالبه بغير حق أو فرض عليه حقا لم يفرضه الشرع فقد ظلمه" اه[١٦٩].

---

[١٦٩] - انب خلدون-المقدمة ص ٢٨٨.

## قراءة في كتاب (الطبيعة)

**د. محمد خروبات : أستاذ الفكر الإسلامي بكلية الأداب بمراكش**

**بسم الله الرحمن الرحيم، وصلى الله على محمد وآله وصحبه : وبعد :**

**أريد في البداية أن أقدم بيني يدي الموضوع النقط المنهجية التي سأتكلم فيها :**

**يتكون هذا الموضوع من مقدمة وخاتمة وأربعة مباحث :**

- المبحث الأول : موضوعه : النورسي ودواعي تأليف كتاب (الطبيعة)
- المبحث الثاني : موضوعه وقفه مع كتاب (الطبيعة)
- المبحث الثالث : موضوعه في (الطبيعة) خارج كتاب (الطبيعة)

وفي كل مبحث من هذه المباحث فقرات وعناصر ومحاور وهي كلها من المكونات الأساسية لكل مبحث على حدة، اختلفت في النعوت بحسب الموضوع الذي تتناوله.

### تقديم

كتاب (الطبيعة) الذي تحوم أفكارنا حوله هو في أصله مذكرات من مذكر ات سعيد النورسي نشرها في كتاب ( حقائق الإيمان)[١٧٠] ولأهميتها طبعت مستقلة في كتاب بعنوان (الطبيعة)[١٧١] وهو الكتاب الذي نوقفنا عنده[١٧٢].

هذه الوقفات هي رحلة من النوع المثير حقيقة إنها رحلة مع بديع الزمان النورسي في مناقشة لأصعب موضوع في الفكر البشري، وأعتقد أنه من المهمات الشائعة والضرورية للفكر الإسلامي المعاصر.

---

[١٧٠] انظر (اللمعة السابعة عشرة)، وهي بعنوان (مذكرات في المعرفة الإلاهية) نشرت في كتاب (حقائق الإيمان) ترجمة إحسان قاسم الصالحي الأولى ١٤٠٥هـ-١٩٨٤م -مطبعة معاني-بغداد (العراق).

[١٧١] - جمه احسان قاسم الصالحة عرصة وعلق عليه تعليقات جيدة أديب ابراهيم الدباغ-صدر في طبعته أولى عام ١٤٠٥هـ- الموافق لـ ١٩٨٥م-مطبعة الزهراء -العراق.

[١٧٢] - وجدنا النورسي يثير الموضوع نفسه في مواطن متعددة من رسائله، ستأتي الاشارة إلى بعضها في المبحث الرابع.

إن الحديث عن .. ومناقشات النورسي للفكر الطبيعي هو حديث يجرنا بالضرورة إلى الحديث عن تاريخ هذا الفكر ذلك أن حقيقة (الحالة الطبيعية) تظهر في واجهتين : الأولى في التاريخ، حيث في التاريخ كان ميلاد هذا المذهب، ربما لا أحد يعلم على وجه التقدير التحديد في أي سنة؟ وبأي تقويم؟ لكنه في الزمان كان، قد يكون مع اليونان أو مع الشيطان، فالأمران سيان ولما كنت قد وقفت عند تاريخ (الحالة الطبيعية) أو (المذهب الطبيعي) حين وازنت بينه وبين خاصية الفطرة في التصور الإسلامي وذلك في كتابي (الفكر الإسلامي المعاصر-دراية في التدافع الحضاري)[١٧٣]. فإنني الآن سأبقى مع الوجه الثاني للقضية وهو المتمثل في البنية، حيث في البينة تظم القضية الثانية لهذا المذهب، لكن البنية ذات دلالة جامدة تحتاج إلى تفعيل بالفحص، وبالفحص يتم فتح مغاليق جزئيات هذا المذهب..

دعونا نقول الآن أفكارا عامة نقدم بها الموضوع، تسجل هذه الأفكار ان (المذهب الطبيعي) هو أخطر فكر نما وترعرع في أنحاء الأرض، قديما وحديثا.. صيغت منه تيارات فكرية ومذاهب عقدية ونظريات فلسفية هي من منظور الفطرة لها مقاصد مشتركة، وفقط التقاء موحدة موصدة واليوم الذي هو عالم الحضارة والمدنية والتقدم يطل عليه العلم من كبوات مختلفة حيث يقدم نفسه على صفة البراءة والنفعية مثل العوالم.. على حقه الاحترام المطلق للعادات والتقاليد والأعراف والعقائد والخصوصيات والواقع انه لم يسلم من المنحى الطبيعي إن لم نقل أنه يعكس في نظرياته وفي فحصه واختياره مناحي إيديولوجية لها صلة بالأفكار والآراء المتولدة من خصوصية هذا المذهب وهذا يبين في نهاية المطاف ان الفكر الطبيعي دخل في كل تصور انسجم مع جل المذاهب العاملة في حقل الفكر والفعل نظرياته وإذا كان تأثيره في العلوم الطبيعية ظاهرا فإنه ترعرع ونما وتوالد بالفيض

---

[١٧٣] – انظر الفصل الثاني من الكتاب–وهو من سلسلة المحاضرات رقم ١– صدر في ذي القعدة من سنة ١٤١٨هـ الموافق لـ ٨ مارس ١٩٩٨م مطبعة الثامنالإنتاج بالبيضاء، المغرب.

والصدور في أحضان العلوم الإنسانية[174].. واعتقد ان الاستاذ بديع الزمان النورسي -وهو استاذ القرن عايش مظاهر هذا التيار في الحياة العامة وكان رحمه الله على علم بنظرياته وعلى معرفة بأعلامه وعلى صلة بمصادره[175]. فتصدى للرد لمعالجته.. وهو الأمر الذي سنعرض له في المباحث القادمة إن شاء الله.

**المبحث الأول : النورسي ودواعى تأليف كتاب الطبيعة**

١- **تجربة النورسي** : اكسبت الحياة التي عاشها النورسي، والتي تمتد في عمر يناهز ستة وثمانين سنة تجربتين متكاملتين : الأولى علمية، والثانية جهادية.

أ- **التجربة العلمية** : تعتقد أن نجاح النورسي في مهامه العلمية إنما جاء نتيجة ما يلي :

**أولا : التجربة العلمية** : إيمانه العميق بالعقيدة الإسلامية، فقد كان لهجا بالتوحيد في مصنفاته كلها، مقرراً ومدافعا، وشارحا ومفسرا.

**ثانيا** : زهده وورعه وتقواه الذي نال منه حظا وافراً، سبيله في ذلك التربية التي تلقاها من أسرته النقية، وسلامة فهمه لنصوص الشريعة وارشادات الصالحين والزهاد والنساء.

---

[174] -تكاد العلوم الشرعية تبقى حالة نادرة في هذا المجال لولا بعض القضاءات المعرفية كعلم الكلام والتصوف والفلسفة الإسلامية، لكن الأصول بقيت سالمة ولله الحمد. التي تأثرت بشكل بليغ بهذا المذهب.

[175] - عصر سعيد النورسي هو نهاية القرى الثالث عشر وبداية القرن الرابع عشر الهجري، ولد من أسرة كردية عالمة في قرية نورس من قرى ولاية (بتليست) في شرق الأناضول وذلك في سنة ١٢٩٣هـ الموافق لـ ١٨٧٣م، عرف بقوة الحفظ والذكاء والشجاعة في قول الحق، حكم وسجن مرات، ونفس بسبب مواجهة للظلم وجهره بالحق، كان من الدعاة الفاعلين المتطلعين للتغيير والإصلاح، شارك في الجهاد ضد القوات الروسية الغازية مع كتيبة أطلق عليها لقب الأنصارا. ما اشتهر بتأليف رسائل في موضوعات متفرقة سماها رسائل النور يتجاوز عددها ١٣٠ رسالة كتبت كلها في الفترة ما بين ١٩٠٦م و١٩٥٠م استطاعت هذه المؤلفات أن تنجح في تربية شباب النور كما كان لها صدى طيب في انحاء العالم الاسلامي ولاسيما عند الدعاة والمفكرين والمصلحين توفي النورسي رحمه الله في ٢٥ من شهر رمضان سنة ١٣٧٩هـ الموافق لـ ٢٣ من آذار (مارس) من سنة ١٩٦٠م استفيدت هذه الترجمة من الدراسة الجيدة التي أنجزها الدكتور محسن عبد الحميد في كتابه (من أئمة التجديد الإسلامي) ص ٩٥ وما بعدها -طبع بالمغرب سنة (١٤٠٧هـ-١٩٨٦م في طبعته الأولى).

**ثالثا** : إدارة الوجه عن شيخ الطريقة الصوفية. واستبداله بشيخ واحد هو (القرآن الكريم).

**رابعا** : نهله من العلوم الإنسانية بصفة عامة، ولاسيما الفلسفة المادية حيث يظهر أنه كان على معرفة جيدة بتاريخها. وأعلامها وموضوعاتها، ونظرياتها...

**خامسا** : إلماله بنظريات العلوم الطبيعية، ومعرفته ببعضها ويبدو أنه ألف في بعض منها.

**سادسا** : نهله من المعين الصافي للعلوم الإسلامية التي حاز فيها على عنصر السيف السبق تمكن منها بفعل حفظه وقوة استنباطه فقد استطاع أن يحفظ ما يقارب الثمانين من أمهات الكتب، وتألق رحمه الله في ميادين علمية محددة منها :

١- علم العقيدة بكافة محاوره وموضوعاته، والتوحيد والإيجاد فيه بصفة خاصة.

٢- علم الكلام الذي بدى فيه رائعا.

٣- الفلسفة الاسلامية التي أطلع على مقالات اصحابها، وضرب فيها بسهم وافر

٤- اللفظة الأدبية السليمة التي تقلب في علومها ومعارفها، يدلنا على ذلك حسن استخدامه للمجاز، بمختلف صوره وأشكاله، وقد ساعده على ذلك أنه كان يحفظ القاموس المحيط للفيروز آبادي إلى باب (السين).

٥- الوعظ والارشاد والتوجيه، ويمكن القول انه كان فيه إماما.

٦- الدعوة الى الله التي كان فيها رائدا، لايظاهيه أحد في العصر الحديث فيما نعلم.

واعتقد أن هذه الفنون كلها تتجسد في (رسائل النور) التي هي موسوعة علمية رائعة وجولات إيمانية فدة يجد فيها كل ظمآن إلى المعرفة الشرعية حاجته، ويجد فيها كل ضال

فـي دهـاليز هـذه الحضـارة هدايتـه، إنهـا تخاطـب الفكـرة الطموحـة إلـى الاكتمـال، لـم لا والنورسي قد استقاها من فيض نور القرآن الكريم لذلك سماها بـ (رسائل النور).

**ب – التجربة الجهادية :**

قضى النورسي ربع قرن تقريبا من حياته في نفي وسجن ومراقبة ومضايقة وتهديدات ومحاكمات.. وهذا يدل على أنه عاش في حياته كثيرا.. والنورسي لـم يكـن مـن النـوع الـذي يجلس على أريكته بعد تلبية حاجات نفسه وأهله يرشف فنجان الراحة على أوراق بيضاء بقلم سيال.. بـل كـان رحمـه الله يكتـب فـي ظـل الإضطهاد والتردي والرِّدة، ومـن هنا وجـب النظر إلـى مؤلفاتـه مـن زاويـة أنهـا انعكـاس لمعانـات متتاليـة.. والمعانـات كمـا يقولـون تولـد الطاقات والأزمات هي محك للرجال.. إن الرسائل التي تمت الإشارة إليها في (التجربة العلميـة) كتبـت كلهـا في المنفى، فقـد نفي رحمـه الله إلى مدينـة (بـارلا) وظـن المعتـدون أن أنفاسه ستخمد، وأن صيته يستوارى لكـن الرسائل كانت قد وصلت إلى القلوب، وعانقتها العقول ووجدت إقبالا كبيرا في تركيا حيث بدأت تنسخ بالايدي وتوزع من أقصى تركيا إلى أقصـاها.. ولـم تكشـف السـلطات التركيـة التـي هيـأت مشـروع العلمانيـة فـي أبشـع صـوره بمضـايقة النورسـي ورسـائله فـي حياتـه بـل عمـدت إلـى إخـراج جثمانـه ودفنـه فـي مكـان مجهول..!

لم يكن النورسي مجاهدا بالقلم فحسب، بل كان مجاهدا في ساحة الوغى، فقد شكل مع طلبته فرقة جهادية تسمى ب (الانصار) أمضى معهم وقتا في مقاتاة القوات الروسية المعتدية من جهة القفقاس وطيلة مكوته في المعركة كان مدربا، ومعلما، ومربيا، ولـم ينسى خدمته للقرآن الكـريم الـذي كـان يستخرج منه نكتـا دقيقـة، وإشـارات بليغـة، هـذه النكـت

والإشـارات هـي التـي كـون بهـا تفسـيره الـذي سـماه بـ(إشارات الإعجـاز فـي مظـان الإيجاز)١٧٦.

--> هذه التجربة المركبة من تجربة علمية وجهادية هي التي أعطت للنورسي شحنة قوية، وطاقة معنوية لخوض غمار الجدل والحوار وقد اسدى لنا النورسي معلومة قيمة عن جهوده حتى اعترف بأنه كان في مجادلة مع طاغوتين، عرفهما لنا فقال :(إن هذه ثلاثون سنة لي مجادلة مع طاغوتين وهما : (أنا) في الإنسان، و(الطبيعية في العالم...)١٧٧، وفعلا فإن النورسي كان يجمع في توافق وانسجام -وبكل نجاح- بين مناقشة جموح (النفس) وتمردها وزيغها ومناقشة المؤلهين للطبيعة الذين وقعوا في شركها وأنساقوا في حبائلها حاور وقد آليت على نفسي -في هذه المحاولة- أن أتوقف عند مناقشتي للطبيعيين بقراءة هادفة لكتابه في (الطبيعة) نسعى من خلالها إلى تقريب افكاره وبسطها ومناقشتها والاستفادة منها في معالجة الظاهرة الطبيعية التي مازالت تخيم على الحضارة الانسانية المعاصرة وقبل ذلك لابد من معرفة، دواعي تأليف هذا الكتاب حتى نربط الوسائل بالغايات.

---

[١٧٦] – انظر ص ١٥ من مقدمة كتاب (المثنوي العربي النوري)، وهو نص كامل لاثنتي عشرة رسالة حقق إحسان قاسم الصالحي، (الطبعة الأولى ١٤٠٨هـ–١٩٨٨م). مطبعة الزهراء–العراق.

[١٧٧] – انظر ص ٢٨ من المصدر السابق.

### ٢- دواعي تأليف كتاب (الطبيعة)

لاحظ النورسي باستقراء عام أن الملايين من البشر في هذا العصر-والذي قبله- وقعوا في شرك (الطبيعة) وانحبسوا في حبائلها ووضعوا أرواحهم في أقفاصها. حتى راحوا في النهاية يعبدونها بطريقة وثنية، تارة بصفة مباشرة وتارة أخرى بصفة غير مباشرة، ومن مظاهر هذه الآفة أنهم نسبوا السنن وقوانين الطبيعة ما ينسب المؤمنون بالله لله من صفات الخلق والإيجاد والعلم والحكمة والقدرة.. كانت النتيجة إذا ان الطبيعة وقفت حائلا بين الإنسان وخالقه بحيث حولت إليها كل صفات التبجيل والتعظيم والجلال..

لقد استولت (الطبيعة) على عقل الإنسان استيلاء مطلقا، وامتصت إيمانه امتصاصا تاما، بحيث أصبح حاق القلب، تصلب الطبع، وأصبح عقله عقلا آليا، ميكانيكيا، لا يحس بالتوافق مع الكائنات المحيطة به، ولا بالانسجام مع روحه وكيانه، ولا بالالتئام مع بعضه البعض.. كائن تائه مهجور.. يحمل معاول الحفر في هذا الجانب حتى إذا اعياه ذلك ضرب في موطن آخر... يعكس الحيرة، والدهشة، والشك المتهور، والاضطراب والشقاء الروحي الحاد[١٧٨].

وكان الذي حز في نفس النورسي هو أن يرث شباب الأمة من طلبة المدارس والمعاهد والجامعات يقعون في فخ هذا المذهب الجارف. لقد ظنوا ظن السوء أن ما يشاهدون من مظاهر الخلق والايجاد والاحياء إنما هو من فعل (الطبيعة) لا من خلق الله وهذا التصور يفضي لا محالة إلى القضاء على الاعتقاد، وإذا قضي على الاعتقاد قضي على الإسلام.. وهو ما يراد فعلا لبلد كتركيا التي تعاني من تفسيخ خطير سماه النورسي في خطابه إلى مجلس الأمة ب(الانقلاب العظيم)[١٧٩]، ولندع النورسي يوجه كلمته إلى شباب الأمة الاسلامية كلها، وذلك تحذير وجهه إلى شباب يحذرهم فيه من الانجراف جهة أوربا

---

[١٧٨] - بتصرف من ص ٢١ من كتاب المثنوي العربي النوري (المدخل).

[١٧٩] - راجع نص الخطاب في الرسالة الخامسة -كتاب المثنوي العربي النوري- ص ١٩٩، وهذا الخطاب كان الأستاذ سعيد قد آلقاه قبل إلغاء الخلافة بسنة.

وعاداتها وأنماط فكرها يقول : (فيا شباب الترك، فهل بعد كل ما رأيتم من ظلم أوربا معكم، وعداوتهم لكم تتبعونهم في سفاهاتهم (فيا سكان الترك، وأفكارهم بل تلتحقون بصفهم بلا شعور؟... ألا إنكم تكذبون في دعوى الحمية، إذ هذا الاتباع استخفاف بالملية، واستهزاء بالملة، هدانا الله وإياكم إلى الصراط المستقيم)[١٨٠].

ان هذه الصيغة ليست صيغة فوق الشباب من الوقوع في هذا المذهب الذي تَصَدَّر من أوربا، ولكنه يخاطب الشباب الذي وقع فعلا في شرك أوربا، في شرك الحادها وقلبها للقيم، في شرك منها للعلمانية وطمس الهوية والتراث الإسلامي.. وأكبر خطر هو تمزيق جسد الأمة المتوحدة باسم (الخلافة الإسلامية) وقد رأى سعيد أن سموم هذا المذهب الأوروباوي بدأت تسري في جسد الأمة تستنشق كما يستنشق الهواء، وتشرب كما يشرب الماء، ولما كان داعية العصر، عالم الوقت بادر إلى التأليف في (الطبيعة)[١٨١]، توجه بها أساسا إلى تفنيد دعاوى الطبيعيين. واستطاع -رحمه الله- أن يؤكد بمحاولاته العقلية ومداراته المنطقية وتحليلاته المنهجية القائمة بأساليب العلم نفسه، مستخدما في ذلك تجربته في محاورة طبيعيي عصره، ومبلوراً للخبرة التي اكتسبها من مدارسة العلوم الطبيعية أن سنن الطبيعة وقوانينها، وما يتراءى للعقل من قانون السببية هو من صنع الله الخالق الفاطر، القادر... وهو بهذا كان يهدم شبهة ليثبت حقيقة، ويفند معتقدا مفضيا إلى الشرك لثبتت مكانه معتقدا مفضيا إلى الإيمان... وحتى يكون ما قلناه قد- رام مقصد العنوان الفرعي الذي نعالجه ندع النورسي يتكلم لنا نسفه عن الحافز الأساسي الذي حركه لتأليف هذا الكتاب يقول :

---

[١٨٠] – الرسالة النوري ص ٢٧٢.

[١٨١] – الكتاب –كما يذكر النورسي– هو مذكرة من مذكراته كانت برقم ١٦ ضمن اللمعة السابعة عشرة وهي بعنوان : (مذكرات في المعرفة الإلهية) نشرت ضمن كتاب (حقائق الإيمان) والكتاب من ترجمة احسان قاسم الصالحي، صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٥هـ–١٩٨٤م عن مطبعة المعاني ببغداد ونظرا لأهميتها طبعت مستقلة في كتاب بعنوان (الطبيعة) علق عليه السيد أديب ابراهيم الدباغ بتعليقات مفيدة وجيدة، وهو من ترجمة احسان قاسم الصالحي أيضا، صدر في طبعته الأولى سنة ١٤٠٥هـ–١٩٨٥م عن مطبعة الزهراء بالعراق.

(دعيت لزيارة أنقرة سنة ١٣٣٨هـ-١٩٢٢م وشاهدت فرح المؤمنين وابتهاجهم باندحار اليونان أمام الجيش الإسلامي إلا أنني أبصرت خلال موجة الفرح هذه-زندقة رهيبة تدب بخبث ومكر وتتسلل بمفاهيمها الفاسدة إلى عقائد أهل الإيمان الراسخة بغية إفسادها وتسميمها... فتأسفت من أعماق روحي، وصرخت مستغيثا بالله العلي القدير ومعتصما بسور هذه الآية الكريمة :{**قالت رسلهم أفي الله شك فاطر السماوات والأرض**}[١٨٢]، من هذا الغول الرهيب الذي يريد أن ينقض على أركان الإيمان ويعمل معاوله في أسسه وأصوله، فجئت -ضمن هذه الرسالة- ببرهان قوي حاد قاطع يقطع رأس تلك الزندقة ويدحرج أشلاءها وقد صنفتها بالعربية استقيت معانيها وأفكارها من نور هذه الآية الكريمة لاثبات بداهة وجود الله سبحانه ووضوح وحدانيته، وقد طبعتها في مطبعة "يني كون" في أنقرة... إلا أنني لم ألمس آثار البرهان الرصين في مقاومة الزندقة وإيقاف زحفها إلى أذهان الناس، وسبب ذلك -على ما أظن- كونه مختصرا ومجملا جدا فضلا عن قلة الذين يتقنون العربية في تركيا وندرة المهتمين بها آنذاك، لذا فقد انتشرت أوهام ذلك الالحاد واستشرت في صفوف الناس مع الأسف الشديد[١٨٣] مما اضطرني إلى اعادة كتابة تلك الرسالة ببراهينها بالتركية مع شيء من البيان والتوضيح، فكانت هذه الرسالة..

ولما كانت بعض أقسام تلك البراهين قد أوضحت توضيحا كافيا في بعض "رسائل النور"[١٨٤] فسنذكرها هنا مجملة، كما أن البعض من البراهين الأخرى البتوثة في ثنايا رسائل أخرى تبدو مندرجة في هذه الرسالة)[١٨٥].

ثم يوافينا بسببت آخر لا يقل أهمية عما سبقت الإشارة إليه غير أن هذا هو أشد إلحاحا إلى تأليف كتاب (الطبيعة) يقول :

---

[١٨٢] – الآية ١٣ من سورة ابراهيم (مصحف براوية ورش عن نافع) طبع بالمدينة المنورة سنة ١٤١٠هـ.

[١٨٣] – خط التشديد من عندي.

[١٨٤] – التمثيل على هذه الحالة بشواهد من رسائل النورسي هو كثير جدا، فالنورسي يتعرض كثيرا لشبهات الطبيعيين بالنقد والدحض، ويعرض في المقابل براهين كثيرة وأدلة وافية لإثبات نقيض دعاوي الطبيعيين، وسنعرض لبعض الحالات في المباحث القادمة.

[١٨٥] – ص ٨ من كتاب (الطبيعة)

( إن الداعي الأشد إلحاحا إلى تأليف هذه الرسالة ما لمسته من هجوم صارخ على القرآن الكريم، والتجاوز الشنيع على الحقائق الإيمائية بتزييفها، وربط أواصر الالحاد بالطبيعة والصاق نعت الخرافة على ما لا تدركه عقولهم القاصرة العفنة... وقد أثار هذا الهجوم غيظا شديداً في القلب ففجر فيه حمما تسربت إلى أسلوب الرسالة فأنزلت هذه الحمم والصفعات على أولئك الملحدين وذوي المذاهب الباطلة المعرضين عن الحق. وإلا فليس من دأب "رسائل النور" إلا القول اللين في الخطاب والرفق في الكلام)١٨٦.

هذه هي الدواعي التي حركت في النورسي فكرة تأليف (الكتاب)، ودفعت به إلى خوض غمار هذا الموضوع الوعر.. لاشك أنها أنارت لنا سبيل المقصد، وأضاءت جوانب هذا الكتاب حيث يصبح التعامل معه الآن أيسر وأسهل.. وهذا ما سنحاول القيام به في المبحث الثاني.

**المبحث الثاني : وقفة مع كتاب (الطبيعة)**

**عند النظر في الكتاب يتبين أن النورسي يناقش الطبيعيين على ثلاثة مستويات :**

- المستوى الأول الطبيعي في المرحلة الطبيعية المحضة
- المستوى الثاني الطبيعي في المنزلة الوسطى
- المستوى الثالث الطبيعي في مرحلة الاعتقاد

والباعث على هذا التقسيم هو نوع الشبهات والأدوات تسلح بها الطبيعي ويبني عليها آراءه، ويشيد فكره، فكل مستوى تناسبه أطروحات معنيشة، وعند النظر يتبين ذلك.

**المستوى الأول : في المرحلة الطبيعية المحضة**

١٨٦ - ص ٨ من كتاب (الطبيعة).

وهذه المرحلة هي مرحلة ما قبل المرحلة الوسطى من الإيمان حيث يكون الطبيعي فيها غارقا في ة، متأثرا بمظاهرها، لذلك فهو دائما يبني فكره على تأيرها، ويشيد نسق تصورة في ضوء معطياتها ، وامامنا اربعة اطروحات نخالها من الاطروحات المركزية في التصور الطبيعي بصفة عامة وهي :

**أولا : قولهم : إن الأشياء أوجدتها الأسباب**

هنا قول يفيد أن أسباب العالم تجتمع لتخلق الموجودات وتوجدها، ومن ثم تتشكل الأشياء، وهذا القول الذي -أصبح شائعا- فَنَّدَه النورسي بمعالات كثيرة كلها تدحض القول بالصدفة ومن المحالات التي اختارها مثال الصيدلية التي تحتوي على مضاداة حيوية للسموم. هذه المضاداة تمت وفق مقادير معينة ومحسوبة بحيث زادت أو نقصت لبطل مفعول المستحضر المضاد للسموم، فهل يمكن ان يتصور عاقل أن ذلك المعجون ثم من جراء مصادفة غريبة؟ أو أن زلزالا عنيفا تسبب في اصطدام العقاقير فحدث ذلك المعجون؟.

إن القول بأن (الأسباب أوجدته) هو قول باطل وبعيد عن موازين العقل بمثل بعد وبطلان ومحالية تكون المعجون الحيوي بنفسه من سيلان تلك المواد من القناتين ويحكم النورسي على الطبيعي القائل بهذه المقالة بأنه شقي حين يتوهم (أن هذه الموجودات هي نتاج عناصر الكون الكلية)، أو هي (من شؤون طبائع المواد) أو (من عمل الأسباب المادية)١٨٧.

وبعد محال الصيدلية ينتقل النورسي إلى محال ثان -وهو دائما في تفنيد هذه الدعوى- إلى محال الذباب والكون فقول الطبيعيين يجعل من الكون حضرة خالقة متصرفة لما أراد خلق ذباب مثلا استنفر عناصره واستحضر جنوده ليخلق ذبابا بتلك الصنعة الهائلة، والدقة المتناهية.. فلما استحال ذلك استحال الإيمان بتلك الدعوى، وهي صورة

١٨٧ - الطبيعة، ص ١٥-١٦.

خيالية غاية في السطحية والسذاجة لما يمكن أن نتخيله من أن الكون خلق على الأقل ذبابا..

وبعد هذا المحال يعطي محالا ثالثا : وهو محال الواحد والوحدة، فالقاعدة البديهية تقرر (ان الواحد لايصدر إلا عن الواحد)، فلما كان الوجود في غاية الانتظام والانسجام والتوازن وفي منتهى الدقة والإتقان وعلى صورة جميلة من حيث الإبداع دل كل هذا على أنه لم يصدر من أيدي متعددة، ومعلوم أن تعَدُّد الأيدي هو مدعاة للاختلاف والمنازعة١٨٨، ومن ثم يسقط ما يدعيه الطبيعيون من أن الأسباب المادية هي التي خلقت وأوجدت، فالأسباب كثيرة، وكثرتها هي في الاختلاف والتضاد ولو استطاعت أن تخلق لذهب كل سبب أو كل (جملة من الأسباب) بوحدة في الخلق وهذا مناف للوحدة في الخلق.

هذه المقالات الثلاثة هي محالات متناسبة ومتناسقة، أي أنها تتناسب فيما بينها لتفنيد الدعوى، وتتناسق فيما بينها في نسق واحد هو نسق فكر النورسي المتسلسل بفكر فلسفي عميق، كل محاولة استهدفت ناحية معينة. فمحال الصيدلية استهدف دحض نظرية الصدفة التي سيبني عليها الطبيعيون القول بتشكل الوجود والمحال الثاني استهدف دحض نظرية السببية في صيغتها السطحية المقدمة من قبل الطبيعين وذلك حين تكون للأشياء القدرة على الخلق بعنصر السبب، المحال الثالث استهدف دحض الكثرة والتعدد في صيغتهما عند الطبيعيين وذلك حتى تكون الأسباب متعددة وكثيرة وعن هذه الكثرة يكون الواحد!.

**نقطة فرعية نقده للسببية كما يصورها الطبيعيون :**

من بين المهاوي التي وقع فيها الطبيعيون أنهم أضفوا صفة الخلق والإيجاد على الأسباب وذلك بإضفاء صبغة الفاعلية عليها، ويمكن القول أنه انطلاقا من صفة الفاعلية جاء معتقد القول بالخلق والإيجاد، وقد تم هذا بعاملين :

---

١٨٨ – مصداقا لقوله تعالى (لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا، فسبحان الله رب العرش عما يصفون) الآية ٢١ من سورة الأنبياء.

الأول : ما يتراءى للعقل في جل الظواهر الطبيعية تقريبا من تلازم متين بين الأسباب ومسبباتها وما يلاحظ في كثير من مظاهر الطبيعة من الترابط المقدمات بين المُحدثات والأحداث وهذا تم على مستويين : على المستوى "الماكروسكوبى كالنار والاحراق، والمصباح والنور، والسحاب والمطر، والشمس والنهار...، وعلى المستوى "الميكروسكوبى" كالذرة والأجسام، والأكسجين والهواء، والفيروس والمرض...، وهذا يقع في ملايين الموجودات التي توجد باقتران السبب بالمسبب والمحدث بالحدث.

الثاني : غياب الإيمان أدى إلى القول بفاعلية الأسباب، وعدم الاقتناع بالربوبية المطلقة الفاعلة أدى إلى إضفاء صفة الألوهية على الأسباب، والإيمان المفقود هو عاصم من الوقوع في هاوية هذا التصور الممكن، لأن الإيمان يعلمنا (أن السببية وإن كانت قانونا مطردا في الطبيعة إلا أنها من سنن الله، وأن هذه السنة لاتحكم فعل الله فيها، وإنما هو الذي يحكمها، وآيات ذلك معجزات أنبيائه ورسله التي تأتي وكأنها تحد لقوانين الطبيعة وسننها، وهي تقع من البشرية موقع التذكير والتنبيه كيي لاتنزلق إلى أسر هذه العبودية للأسباب لأن الأسباب هي مخلوقة أيضا، ولايمكن أن تكون خالقة، فالاقتران غير الخلق، وكون السبب يأتي دائما مقترنا ومصاحبا لمسببه لايمكن أن يكون دليلا على أنه يملك بعض صفات الربوبية، بل على العكس من ذلك، فالإقتران والتلازم ينافي تنزيه الربوبية لأن التنزيه يقتضي عدم الإلتماس والمباشرة بين الخالق والمخلوق، وحيث يوجد تماس وتوجد مباشرة فإذن لا ربوبية هناك)١٨٩.

**ثم يواصل النورسي خطابه (للعقل الطبيعي) بخطاب نقدي صريح فيقول :**

(فيا عابد الأسباب أيها المسكين المفتون بالطبيعة إن طبيعة كل شيء مخلوقة كالشيء نفسه، لأن تكونها محدث غير قديم، وعليها علامة الصنعة والاتقان، وإن سبب وجود هذا الشيء الظاهري هو أيضا مصنوع حادث. ولما كان وجود أي شيء مفتقراً إلا وسائل

١٨٩ - راجع كتاب (الطبيعة) ص ٥٤، وللتوسع راجع كتاب (حقائق الإيمان) ص ١١٣.

وآلات وأجهزة كثيرة جدا فلا بد من قدير مطلق القدرة مستغنا غناء مطلقا، فلا يشرك الوسائط العاجزة في إيجاده للشيء وفي هيمنة ربوبيته عليه)١٩٠.

هكذا يخلص النورسي إلى دائرة قد لاتنتهي، أو تنتهي بعد جهد وذلك حين تجمع بين السبب والمسبب وبين المحدث والحدث حيث تجد كلا منهما مخلوق بذاته.. هذا على صعيد كلي.. أما على الصعيد الجزئي أو الجسيمي فالمسبب يقتضي هو الآخر أجزاء، ويقتضي كل جزء على حدة أجزاء مكونة له تتحول هي بدورها إلى مكونات في ذات السبب فإذا أخذنا مثلا النار التي طبيعتها (الإحراق)، كانت النار (شيئا)، وهي سبب بذاته، وكان (الإحراق) (طبيعة الشيء) وهي المسبب، وهما مخلوقات فكما كان من طبيعة الإحراق النار، كان من طبيعة النار الحطب الذي تسعر فيه، وكان من طبيعة الحطب الشجر، وكان من طبيعة الشجر بذرة وهكذا.. هذا على المستوى التنازلي، أما على المستوى التصاعدي فالإحراق هو الآخر قابل لأن تظهر فيه مواصفات تظهر من أجزاء كله ماكروسكوبيا وميكروسكوبيا، (وهكذا ندخل في دائرة الحياة المغلقة بأسبابها ومسبباتها، ونصل إلى ما كان (مسببا) قد يعود في إحدى دورات حياته ليصبح سببا، وما كان سببا يمكن أن يصبح في دورة أخرى مسببا أيضا)١٩١. وهذا كله بحسب اختلاف موقع البحث، والغرض المنوي الوصول إليه..

**ثانيا : قولهم إن الشيء تشكل بنفسه**

هذا قول ظاهر البطلان، وقد فنده النورسي رحمه الله بمحالات كثيرة، استطيع أن أسمي كل محالة من محالاته نظرية كاملة ومتكاملة.

---

١٩٠ – الطبيعة..ص ٥٥.

١٩١ – المصدر السابق (التعليق).

أ- نظرية الحركة والثبات : من منطلق هذه النظرية يتقدم النورسي لتفنيد هذه الدعوى، فإذا كان الإنسان قد اكتشف الكيمياء في خارجة فإنه ككائن بيولوجي شاهد على نفسه بعملية الخلق المتجسدة في ذاته... إن ذاته هي ملايين من الذرات العاملة في الجسم، فذات الإنسان معمل حي متحرك لكنه في ثبات صورة الجسد... ثم إنها ثابتة بعمل مستمر.... فهناك حركة الذرات العاملة النشيطة المتحركة الساهرة على حفظ سير التفاعل ودقة انتظامه، وهناك في المقابل ثبات على صورة معينة، بعمل منهجي معين، وهذا لاشك أنه ينقض القول بوجود الأشياء من مادة بسيطة جامدة تأبى التغير، خاضعة لنفسها بنفسها من دون ذات هي أكبر منها ومن دون عين ترى ما لاتراه العين المجردة.

ب- نظرية بناء الذات : إن ذات الإنسان هي بناء هندسي متكامل، متناسق ومنسجم، يشبهه النورسي بالقصر الفخم العامر الذي يحتوي على القُبَابِ الكثيرة، كل قُبة فيها ما فيها من الأحجار المتراصة ببناء محكم... ووجود الإنسان هو أحسن من هذا القصر الباهر، ولو تأمل الإنسان في روحه وحدها لأدركها معجزة بعد ذاتها...

إذا كانت هذه الروح منقادة إلى ذرات الجسد، وسلمنا بأن كل ذرة من الذرات لها عقلها المدبر والمفكر، ولها ارادة حرة تتصرف بها بخلاف بعضها فإننا يقينا لانحصل على هذا البناء الخارق والعجيب... إن هذا كله لايمكن أن يكون إلا أثرا بسيطا من آثار الواحد الأحد. هو الله سبحانه.

ج- نظرية الكتاب : لندع النورسي يقدم لنا هذه النظرية بأسلوبه وبطريقة تحليله، يقول : (إن لم يكن وجودك هذا قد كتب بقلم الواحد الأحد، القدير الأزلي، وكان مطبوعا بمطابع الطبيعة والأسباب فيلزم عندئذ وجود قوالب طبيعية بعدد ألوف الألوف من المركبات المنتظمة العاملة في جسمك، والتي لايحصرها العد، ابتداء من أصغر الخلايا العاملة بدقة متناهية وانتهاء بأوسع الأجهزة العاملة فيه ولنفهم هذا المحال نأخذ الكتاب

الذي بين أيدينا[192] مثالا، فنقول : إن اعتقدت ان هذا الكتاب مستنسخ باليد، فيكفي إذا لاستنساخه علم واحد، يحركه علم كاتبه ليدون به ما يشاء ولكن إن لم تعتقد أنه مستنسخ باليد، ولم يسند إلى قلم الكاتب. وافترض انه قد تشكل بنفسه. أو أسندت كتابته إلى الطبيعة، فيلزم عندئذ أن يكون لكل حرف من حروفه قلم معدني خاص به، ويكون عدد الأقلام بعدد تلك الحروف (بمثل وجود الحروف المعدنية في المطبعة والتي هي بعدد الحروف وأنماطها). أي يلزم وجود أقلام بعدد الحروف بدلا من قلم واحد للاستنساخ، وقد يكون هناك في تلك الحروف حروف مكتوب فيها ما في صحيفة كاملة فيلزم إذا لكتابة مثل هذه الحروف الكبيرة ألوف الأقلام الدقيقة.

والآن، ماذا إن كانت تلك الحروف متداخلة بعضها بالبعض الآخر بانتظام كامل متخذة هيأة جسدك وشكله...

فيلزم عندئذ أن يكون لكل جزء من أجزاء جسمك، وفي كل دائرة من دوائره المذكورة قوالب عديدة بعدد تلك المركبات التي لايحصرها العد!!.

هب أنك تقول لهذه الحالة المتضمنة لمئة محال في محال إنها ممكنة الحدوث!.

فحتى في هذه الحالة -على فرض إمكانها- أفلا يلزم لصنع تلك الأقلام وعمل تلك القوالب والحروف المعدنية أقلاما وقوالب وحروفا بعددها لتصب وتسكب فيها إن لم يسند صنعها جميعا إلى قلم واحد؟. ذلك لأن جميعها مصنوعة ومحدثة. ومفتقرة إلى صانع ليصنعها، ومحدث ليحدثها وهكذا الأمر يتسلسل كلما أوغلت فيه، فتدخل بهذا دائرة مقفلة من "الدور والتسلسل" (كما أبطله وفنده علماء الكلام)، فأفهم من هذا مدى سقم هذا الفكر الذي يتضمن محالات وخرافات بعدد ذرات جسمك!.

فيا معطل عقله... عد إلى عقلك وانبذ هذه الضلالة المشينة)[193].

---

[192] - الطبيعة ص ٢٨-٢٩.

[193] - الطبيعة ص ٢٨-٢٩.

وهذه ايضا محالات أو نظريات متناسقة كل واحدة تؤدي إلى الأخرى، لقد اختار لها النورسي (ذات الإنسان)، ولما كان الطبيعيون من بني البشر كان اختيار-جسم الإنسان أقرب إلى الإنسان، لأن الإنسان لايحس إلا بما هو ألصق به، وأقرب إليه (وضرب لنا مثلا ونسي خلقه)١٩٤.. ولقد لاحظنا كيف تظافرت جملة من التشبيهات والأوصاف للإنسان في ذاته، فهو تارة معمل كبير ضخم تتحرك فيه الذرات بكيفية منتظمة، أدى هذا إلى الوصف إلى تقعيد نظرية (الحركة والثبات) في جسم الإنسان، وهو حينا بناء ضخم مشيد تشييدا محكما بفاعلية الواحد في الكثرة، أدى هذا الوصف إلى تقعيد الوحدة في جسم الإنسان، وهو في طور آخر كتاب عظيم شاخص للحيان، بحكمه وِعبَره، ظاهر بآيات إعجازه لاكما يقولون إنه مطبوع بمطابع الطبيعة والأسباب...

**ثالثا : قولهم : (.................)١٩٥**

هذا من تأثر الطبيعيين بسحر الطبيعة، فالطبيعة تبدو في الظاهر قوة مؤثرة، فاعلة في الحياة، لكنها ليست هي القوة بحد ذاتها، وليست هي الحياة في حد ذاتها، ولم يرثق الطبيعيون. بتصوراتهم إلى ما هو أسمى من الطبيعة، وما هو أعلى منها حين اسبغوا بعض صفات (الله) تعالى على الطبيعة المسخرة من مثل : الحياة والعلم والحكمة والإرادة والخلف والإيجاد، ولعل السر في ذلك يكمن في تأثرهم بالقريب المحسوس وبتشبتهم بالمحيط الملموس، وهذا لاينفك أن يكون سلوكا طفوليا ساذجا حين يجعل الطفل من الملموس والمحسوس كل شيء في وجوده أو يشبه سعيد (الطبيعيين) بالأطفال من هذه الناحية، فهم (شيئيون) تستولي عليهم الأشياء وتغرقهم في مظاهرها الجذابة، وتسد عليهم منافذ البصيرة والإدارك، يعطون للمس قيمة تدغدغ شهوة (المعرفة الحسية).. من منطلق هذا التصور يقدم النورسي لتفنيد هذه الدعوى ثلاثة محالات :

---

١٩٤ – الآية ٧٧ من سورة يس.

١٩٥ – عدم وضوح الأصل.

- المحال الأول يتناول فيه على الإجمال صلة الطبيعة بالخالق، ويمثل لعنصر الصلة بثلاثة أمثلة :

١- يختار في المثال الأول حفنة من التراب تنبت أزهاراً، فللطبيعي أن يعتقد في هذه الحفنة صفة الخلق والإبداع والتناسب والتوازن، تصبح هذه الحفنة بحد ذاتها هي الإله الخالق لتلك الأزهار، ثم أنى لها أن تستجيب لولادة ازهار العالم كله، بمختلف أشكالها وروائحها. (فيلزم صاحب الطبيعة-يقول سعيد إيمان بالحس الفني والمجالي لهذه الحثيات من التراب)[196].

... وفي سياق كلامه عن المجال الأول يأتي النورسي بأمثلة متعددة، وبشواهد كثيرة كلها تسلك في الموضوع الواحد وتوجه توجيه الإعجاز العلمي الباهر، بأسلوب جداب، وبتحليل رصين، وبأفكار معينة مهما تعددت الأمثال، ومهما تنوعت أساليب الإستشهاد فإنك لا تحس بالإنتقال خارج الموضوع.. بل بالعكس إنك تحس بالوحدة الموضوية، والإنعام إلى غاية الإقناع، وحين يحس النورسي بأونه وصل إلى مرحلة الإقناع التي هي القوة بمكان يتقدم بأسئلة إلى الطبيعي المادي ... أسئلة هي من جنس ما يغامره، ومن قبيل ما يتراءى له في الموضوع المعاين، ثم قبل أن يتركه شاردا في البحث عن الجواب يتقدم بالجواب الكافي والمقنع، ثم من منطلقه يمر به إلى المثال الثاني.

٢- في المثال الثاني يمثل للطبيعة بالجندي أو رب الطبيعة بالسلطان، فالجندي يسخر آلاف من الناس في تسيير شؤون الحكم، ويعمل تارة تمكنه من التصرف بحرية في إصدار الأوامر والناس على هذا المقتضى تمثل لأوامره، وتدعن لقراره، وهو لآيفعل هذا بمحض قدرته، ولا بمطلق إرادته وإنما بقوة الإنتساب إلى السلطان، فمن السلطان يستمد الشرعية في ذلك، وإذا انقطع جل هذا الجندي عن تأييد السلطان له لايكون كما كان بل يصبح

[196] - ص ٣٣ من كتاب الطبيعة.

شخصا عاديا، لايملك حولا ولاقوة... تلك هي وضعية الطبيعة أمام قدرة الله، إنها تستمد شرعيتها من الله، وقوتها من قوته، ووجودها من خلقه، وفعلها من إرادته فهي مفطورة على هذا التكون، ويحوله على هذا التشكيل، فإذا اقتضت شيئا فباقتضاء الخالق اقتضت، ومن هنا يخلص النورسي إلى فكرة مفادها، (أن تسليم أهو كل موجود وتنسيبه إلى واجب الوجود سبحانه فيه السهولة التامة بدرجة الوجوب أما أم إسناد إيجاده إلى الطبيعة فهو معضل إلى حد الإمتناع، وخارج عن دائرة العقل)١٩٧.

٣- يقدم النورسي في المثال الثالث مثالين أو لنقل إن المثال الثالث مركب من مثالين : الأول يختار له قصرا، وفي القصر كتاب يضم هندسة متكاملة عن بناء القصر، حنما يدخل إنسان بدائي التفكير لايملك أي تصور حضاري مسبق يثيه وسط جمال القصر وبهائه حيث تشده براعة البناء ونقوش الجدران وبراعة الإتقان، يتعثر تصور الإنسان داخل القصر حين يعتقد تارة أن الباني موجود في داخل القصر محتارا، وتارة يعتقد بأن البناء بنى نفسه بنفسه، وفي خضم هذا التيه ورحمة التصورات يعثر فجأة على كتاب يضم في ثناياه هيكل القصر وخريطته العامة حين يقارن بين ما في الكتاب وما عليه القصر يجد التطابق تاما بين محتويات الكتاب وصورة القصر ومجاميع أشياء القصر. من هنا ينقدح في ذهنه معتقد آخر هو أن هذا الدفتر هو الذي شيد هذا القصر ونظمه وزينه، وهو الذي أوجد الأشياء فيه ورتبها هذا الترتيب ونسقها هذا التنسيق)١٩٨.فالقصر هو قصر العالم العظيم والإنسان الثائه هو (الطبيعي) (السيئ) الذي يدخل بعقله إلى ساقة التفتيش والتحري والإستقراء والتلمس، والكتاب أو الدفقل هو ما استطاع أن يكشفه الإنسان من قوانين الطبيعة وسنن الوجود، وأنه طابق بين ما وقف عليه من قوانين الطبيعة وما عليه الطبيعة أخلط بين ( البناء) و (هندسة البناء) قدرة خارقة (للبناء) وقدرة مبدعة له في حين أنها لا تعدو أن تكون صورة البناء،

---

١٩٧ - كتاب الطبيعة ص ٤٠.

١٩٨ - كتاب الطبيعة ص ٤٦-٤٧.

وهيكلته، وقانونه، فمن وضع هذا القانون الذي بموجبه كان البناء؟ وهل فرق الطبيعي بين الأمرين ليبحث عن طرف ثالث هو الموجد والباني؟

أن الوجود والطبيعة قامتا على ( الحكمة)، ونهضتا عليها، الحكمة التي نقرؤها في الكون كله ، ونلمسها جلية واضحة في الطبيعة بأسرها، والحكمة لها معنى معين منبثق من نفس ( الحكيم) وليس لها وجود خارجي مستقل، فهي ليست بمادة ولا جسما يحتل حيزا في هذا العالم، وظن الطبيعيون أن الحكمة هي المادة في نفسها، ولذلك أضفوا على المادة صفة معنى الحكمة، لقد أخطأوا حينما توهموا القوانين المعنوية التي تربط أنظمة الكون والنابعة من( الحكمة ) قوانين مادية لها ذات مستقلة فاسقطوا هذه (المعنويات) على ماديات الطبيعة وقوانينها، وسنوا لها الحكمة، واستتبع ذلك بداهة أن يتوهموا لها عقلا وعلم وحياة وإرادة، وبذلك " اتهموا" الطبيعة، وأصبحوا من عبادها المخلصين).

**رابعا : تولهم بصرع الطبيعة :**

هذه أطروحة فرعية وليست مكرزية توقف عندها النورسي حينم لاحظهم يقولون ب ( الصراع مع الطبيعة) أو لصرع الطبيعة)، وهو توقف حلل الأسباب الداعية إلى ذلك، والبواعث المحفزة للعقل الطبيعي على القول بذلك، فانطلاقا مما مضى تصبح (الطبيعة) هي المتصرفة بذاتها، وهي الخالقة والحكمة، ولما كانت كذلك هابها الطبيعيون، وهابوا غضبها وانتقامها وتقلب أحوالها، وأعتقد أن هناك نظرية طبيعية في تاريخ الأديان تفسر ظهور الدين والإعتقاد في الغيب بسبب قهر الطبيعة وغضبها على الإنسان، فراح الإنسان.

- وهذا ما وقع لليونان وغير اليونان من عبدة الأوثان - ينعث من ماديات الطبيعة تماثيل تعبد كآلهة على صفة معينة، كل إله خصوص بقضية من قضايا الطبيعة إلاه الرعد، وإلاه المطر، وإلاه الرياح، وإلاه الزلازل... فتقلب أحوال الطبيعة شغلت الإنسان، وشده فلجأ إلى الآلهة طبيعة يحتمي بها، ويرتكن إليها لتقيه من غضب الطبيعة ومن ومن شرها ...

غير أن الإنسان المتحضر طور فكره في صيغة الصراع معها لأجل قهرها وترويضها ١٩٩...
وهذا تصور منصرف اشتط بهم بعيدا عن الحق والصواب، والواقع أن (الطبيعة) ليست كما يتصورن، ولا هي كما يزعمونن فليس وجودها فهو نفس الوجود الذي يتصورنه

- المستوى الثاني : الطبيعي في المنزلة الوسطى.

هي وسط بين الإلحاد والإعتقاد، فيها الإعتقاد الإلحاد أيضا، ولا يمثل الإعتقاد أمام الإلحاد إلا نورا يسيرا سرعان ما يتلاشى أمام المعتقدات الوافدة من المرحلة الأولى، فالطبيعي صعد المرحلة الثانية لكن بعقلية الأولى، فبرائين وسموح المرحلة الأولى مازال يخيم على معتقده فهو معتقد - من منظور افيمان- غارق في الشوق، حيث يصبح الطبيعي إثنين الإعتقاد، يعتقد في ويعتقد معه غيره.

الأثنينيون طبيعيون

يتصدى النورسي للرد على الإثنيين حيث يقدم أدلة وافية وأمثلة شافية لدحض شبهتهم، فكثير من هؤلاء يعتقدون بوجود الله غير أنه يشرك معه غيره، فهم يعتقدون بان هناك إلها في السماء،لاتدركه البصار له عمل الخلف والإيجاد والإحناء، وهذه جميعا من أخص نص الربوبية والألوهية ثم إنهم يعتقدون في الأرض أنها آخر، أو آلهة هاته الالهة تدركها الأبصار وتخضع للحس والتجربة، وهذا الإلاه هو (الطبيعة) وهذه الإثنية تدنس معتقد التوحيد وتلطخه، وذلك بعلامات منها:

أ- تعدد الفعال الخالقة

ب- إضفاء صبغة التناقض على الفعل، فكل إلاه له إرادة ومشيئة وقدرة

ج- التجزيء في الذات حين يعتقد أن هناك ىلهة متعددة.

---

١٩٩ -نقلت كثيرا في هذا الموضوع في مواطن متفرقة من كتاب (الفكر الإسلامي المعاصر: دراسة في التدافع الحضاري). راجع مقتضيات الفصول الآتية -الفصل الثالث- الفصل الخامس - المبحث الثاني من الفصل التاسع. وخصصت له مبحثا مستقلا في الفصل الثامن من الكتاب- أنظر المبحث الأول من الطبيعة: (الطبيعة) و(الفطرة).

يتصدى النورسي لهذا التصور بمجموعة من الأمثلة منها مثال الساعة التي رتبها الساعاتي وحدد عقار بها وضبط أرقامها وصنه محركها لتتحرك بدقة متناهية، ولتدل على الوقت بانتظام وانسجام، فالساعة تعالم الطبيعة مكونة من أجزاء دقيقة ومن غير المعقول أن نضفي على كل جزء صفة الألوهية والربوبية، فإذا تسنى للعقل الإثنينين أن يقدس الطبيعة وأجزائها فهذا مسوغ لتقديس الساعة تدل على الساعاتي كما لا يدل الكتاب المؤلف منحروف على الطبيعة بل يدل التابت، فالقول السابق يوقع في الشرك لامحالة، فالله الخالق يأبى أن يشاركه في ملكه، ولما كان الأمر مستحيلا على هذا الشكل استحال على المؤمن بالله أن ينعقد مع انعقداتها آخر، والحكم فيه وصلا إلى حد الصرامة وزيادة الئن اشترمت ليقبطن تملك ولتكونن من الخاسرين)٢٠٠كيف وان السلطان البشري لايقبل أن يتدخل غيره في شؤون ملكه ولا يرضى أن يشاركه غيره في شؤون سلطنته حتى وإن كان ابنه أو أبوه، فكيف يسوغ ذلك في حق الله تعالى؟.

على هذا الأساس يقول النورسي (تسقط جميع فرضيات "الطبيعة" ولايبقى الإيمان بأن الصانع ذا الجلال-وهو القار على كل شيء- هو نفس خالق السباب، وخالق المسببات، وهو الذي يربط المسببات بالأسباب بحكمته سبحانه، وقد يحي بإرادته طبيعة الشياء، وجعلها من مرآة عاكسة لتجليات الشريعة الفطرية الكبرى التي فطر عليها الكون، والتي هي قوانين الله وسننه الجارية التي تخص تنظيم شؤون الكون، وقد أوجد بقدته وجه الطبيعة" وجعل الأرضية التي يقوم عليها عالم الشهادة الخارجي الوجود، ثم خلق الأشياء وأنشأها على تلك الطبيعة، ومازج بينهما بتمام الحكمة)٢٠١.

من منطلق قوله هذا يتقدم النورسي ليقر التوحيد على أسس محلية وموضوعية فيختار لذلك شواهد كثيرة بأسلوبه رقيق جداب، وبأفكار أخاذة، لا يطيل علكي بالنصوص

---

[٢٠٠] - الآية ٦٢ من سورة الزمر.

[٢٠١] - الآية ٤٨ من صورة النساء.

ولكنه ستوعي أفكاره منهان ويحول في رحابها حتى إذا جاء يشاهد من النص كان في المكان الذي يليق به.

ومن موقع إثبات الوحدانية يدفع شبهتين طبيعيتين صدرتا عن العقل الطبيعي:

الأولى قوله : وحدانية الله عز وجل لواقعة العقل إلى مدح بعض الأسباب والثناء عليها، هل هذا ينقص من وحدانية شيئا أو يضرها؟

بكامل السهولة يطرح الطبيعي هذا السؤال وهو يطرحه من موقع أرضية انتقالية، فهو إلاه في المرحلة الوسطى لكن إلى إلى أطل الوحدانية من موقع البرهان اتضح له أن مدح بعض الأسباب والثناء عليهما لاينقص من وحدانية الله. وهذا معتقد منطقي صائب، فلو أشرك العالم كله والكون كله لما اضر هذا بوحدانية الله شيئا، لكنه من وجه آخر هو منتهي الخسارة، فإذا كانت وحدانية الله عز وجل منزهة عن البعض حتى ولو انتقص العباد فإن السارة هنا تعود على المخلوقات لا على الخالق[202]. ومن هنا يتصدى النورسي للرد على هذه الشبهة ذلك أن الإيمان بفاعليه جزءا من أجزاء الطبيعة أو الطبيعة كلها وإشراكها مع الله هو مرفوض من العقل والشرع بصفة كلية ، وذلك أن العقل هو عقل البشر، فهو حامي الإنسان من الخسارة والضلال، ثم إن الشرع ما جاء إلا لمصلحة البشر، فهو مرتبط بمصالح بالأساس، وأية مصلحة تقدم على مصلحة الإيمان بالله التي هي سر النجاح في الدنيا، ومفتاح الفلاح في الآخرة؟ لذلك فالخالق المتصرف بالربوبية لا يقبل هذه الحالة من أي مخلوق، فمثلما أن أي سلطان لايرضى أن يشاركه أحد في ملكه أو ينال من هو دونه نفس العضمة والتقديس الذي له، فكذلك الخالق فإنه (لايغفرأن يشترك به، وويغفر ما دون ذلك لمن يشاء، ومن يشرك بالله فقد افترى إثما عظيما)[203]. هذا مع العلم بمسألتين : الأولى : أن الطبيعي القابل بهذه الشبهة يؤمن بالله.

---

[202] – سيلأتي التفصيل في هذا الكلام في الرد على الشبهة الأولى في المستوى الثالث.

[203] – الآية ٤٨ من سورة النساء.

الثانية أن شبهته لايرت فيها ضررا بالوحدانية.

ولكننا إذا نظرنا إلى المسألتينسويا وجدنا هما متناقضتين، ووجه التناقض يكمن في أن الثانية تدحض الأولى وبقدر صفائها، فكيف يكون الإيمان بالله كاملا في الوقت الذي نضع من خلق الله مكان اللع، وننسب لأه أفعاله وصفانه وهو متفرد بها تفرد تنزيه؟

الثانية: قوله : إذا قصدت "بعض الأسباب " بالعبادة في بعض الأمور الجزئية فهل ينقص ذلك شيئا من عبادة المخلوقات المتوجهة جميعا إلى الله العلي القدير ابتداءا من الدار في

الجواب الذي يقدمه النورسي -وهو إنما يختار المثال- هو أن الكون والطبيعة على الشجرة تنتج ثمارا، والإنسان ثمرة من هذه الثمار اليانعة، بل هو ثمرة من الوزن الثقيل، وكلمة الوزن الثقيل " لها دلالة معنوية ولا تقاس بالمعنى الحرفي، إذ لا يوجد ماهو أغلى ولا أحلى من الإنسان، ولا أجمع لعناصر الحياة ولا أو عن شعورا منه، فإذا كان الإنسان على هذه الصفة فهل يرضى الله عز وجل أن يسلم الإنسان الذي هو ثمرة غرسه إلى غيره من "الأسباب"؟ هل يرضى الله عز وجل أن يسلم لها بما لأجله كان الإنسان وهي العبودية والشكر؟مثلما أن صاحب الغرس لا يقبل أن يسلم ثماره إلى غيره كذلك الله عز وجل فإنه لا يغفر أن يشرك به[٢٠٤].

المستوى الثالث : الطبيعي في مرحلة الإعتقاد.

أي في مرحاة الإيمان ولكن إيمان يشوبه كدر من المرحلتين السابقتين مازالت هناك أسئلة كثيرة تغامر عقله، وتخالج صدره، ومادامت هذه الأسئلة لاجواب له عليها فهي بمثابة عائق في تذوق الإيمان وفهمه. وعلرقلة في الإعتقاد في الله بطريقة خالصة، والنورسي الذي جال في الفقر الطبيعي تاريخا وبنية يدخل على صاحب هذا الفكر في فسه،

---

٢٠٤ - مع فارق يبدو واضحا هنا، وهو أن صاحب الغرس يخاف على ثمار رسه لأنه في حاجة إليها لنقص جوعه وحاجته ورزقه، أما اللله عز وجل فإنه يفعل ذلك خوفا على الإنسان، وعلى خسارته يوم المعاد فالعبودية والشكر أماة وميثاق تقلدها الإنسان بالفطرة فلينتبه لهذا الفر

ويقف على دقائق لمعارفه القبلية) ليسل منها أخطر الشبه يقدمها له في صبغة سؤال ليتصدى يعد ذلك للجواب عنها.

أول هذه الشبهات : ما ما حاجة الحرب - الغني يذاته - إلى عبادتنا كتابه ويتوعدن في نار جهنم فكيف يتم التوفيق في هذا التهديد الصاعق منه إلينا مع الخطأ الذي لا يضر ذاته المقدسة مع أسلوبه المعجز المادي والرقيق في المواضع الأخرى من كتابه؟

الجواب نقدمه في الفقرات الآتية:

أ- الله سبحانه عني بذاته عن عبادة الإنسان وقد تقدم معنا بيان ذلك ووتكرره الآيات لاختلاف المقام.

ب- حين يعلم الإنسان أنه كائن مخلوق، وأن الله هو خالقه ورازق يدرك أنه هو المحتاج إلى عبادة الله.

ج- حين يعلم الإنسان أنه خلق من عدم، وأنه من آدم، وأنه نزل إلى الأرض بعد ارتكاب الخطيئة بفوايه إبليس، وأنه سيعود إلى ربه ليحاسبه عن مثقال ذرة خير، وعن مثقال ذرة شر، حين يعلم هذا يدرك أنه في حاجة ماسة إلى عبادة ربه.

د- حين يعلم أنه ما خلق إلا للعبادة أو ما خلقت ألجن والإنس إلا ليعبدون)[٢٠٥]، يقف على حيقة وجوده، فوجوده هو وجود عبادة.

ه- حين يوسع مداركعلمه ليعلم الله أن إبليس صارفه عن هذه العبادة، وصادة عن الحق واليقين إلى الضلال والكفر يدرك أن عبادة الله هي العروة الوثقى، وهي حبل الإعتصام من قواصم الشيطان.

و- ثم لنتصور سلطانا يحكم مملكته، إذا تهاون في تطبيق الأحكام على المجرمين، وتساهل في إقامة العدل من الناس هل يبقى لحكمه معنى؟ ثم إذا تهاون الناس في خدمته وتقاعسوا في الإمتثال لأوامره هل تبقى لهيبته معنى؟ فكما أن السلطان يعقب مرتكبي

[٢٠٥] -الآية ٥٦ من سورة االذارياب.

الجريمة التي تمس حقوق الآخرين لأجل الحفاظ على حقوق الرعايا كذلك الله عز وجل فإنه يعاقب تارك العبادة والصلاة عقابا صارما حفاظا على سير السنن والقوانين الجارية في نظام الخلق والعبودية.

ح- حالة الإنسان تجاه ربه هي مقياس لحالته تجاه الكون والطبيعة، كل واحد ينظر إلى الكون بمنظاره الخاص ووفق عالمه الداخلي، يزن الكون بميزان نفسه، فالإنسان الحزين يرى الكون حزينا، والفقير يرى الكون فقيرا، والسعيد يرى الكون سعيدا، والإنسان المؤمن المتعبد الذاكر لله، المعرض عن العبادة المنكر للحق فإنه لايرى للكون حرمة ولا للطبيعة معنى إلا إرادة الإستغلال والإستنزاف واللذة، وهي الأمور التي ـأتي تحت شعار غزو الطبيعة أو الصراع مع الطبيعة"

فالعدل الملحد هو عقل مدبر بطبيعته.

ط- لينظر الإنسان إلى نفسه أولا، فنفسه نفس مخلوق ة خلقها الله له وآمره بالمحافظة عليها، بتزكيتها بالصلاة، وبتحليلتها بالعبادة وبتخليتها من إرادة الشرك والمعاصي، (ونفس وما سواها، فألهمهما فجورها وتقواها قد أفلح من زكاها وقد خاب من دساها)[٢٠٦].فتارك العبادة هو ظالم لهذه النفس التي أمر بصيانتها والمحافظة عليها، والصيانة والمحافظة معناهما وقف توجيهات الحرب.

وفي النهاية، إذا جمعنا كل هذه الفقرات نكون قد أكملنا الجواب على سؤال الطبيعي، وإذا اطلع الطبيعي على هذه الفقرات، وتدبرها سيدرك لا محالة لماذا اختار القرآن أسلوب الوعيد والإندار... ولله خلق شؤون.

الشبهة الثانية: وتتمثل في عدم اقتناع الطبيعي بصدور الكثرة عن الواحد، فكل جزء من أجزاء الطبيعة في هذا الوجود، مهما تعدد بين أجزاء كثيرة متعددة، ومهما تعدد في ذاته هو منقاد انقيادا مطلقا للمشيئة الإلهية والقدرة الربانية، فهذا الإنقياد لايقبله الذهن ولا

---

[٢٠٦] – الآية (٧-١٠) من سورة الشمس.

يستوعبه العقل، ثم إن هذه المخلوقات تحث بسهولة في اللق والإبتعاد لأنها من مستلزمات "الوحدانية"، فأين يكمن سر هذه السهولة، وما الحكمة من ورائها ؟

يختار النورسي للإجابة على هذه الأسئلة صبغا متعددة، وأساليب مختلفة، فهو ينتقل بك من أسلوب إلى آخر، ومن فكرة إلى أخرى رغبة في الوصول إلى الجواب المقنع، وهذا الإنتقال ليس عيبا منهجيا لا هو جواب متماسك، داحض ومقنع، لم لا يكون الأمر كذلك والنورسي هو صاحب هذا الإفتراض، وهو المتكلم بلسان الطبيعي، وهو حين يختار نعت (الطبيعي) إنما يقصد كل طبيعي سواء أكان من (الطبيعيين الأوائل) أو من (الطبيعينالأواخر) فحججهم واحدة، وشبههم متماثلة لأنهم توارنوا ذلك خلفا عن سلف، لذلك نجد النورسي يميل دائما إلى العناصر المشتركة في حججهم ومبادئهم عوض الإستغراق في الجزئيات، ويبين على العموميات ليحدد الشبهات ثم يؤهل لها والعموميات التي ذكرت ليست عموميات اعتباطية تدوب فيها الحقيقة وتنحل ... إنها العموميات التي تجد فيها الخصوصيات سكانها بارتياح تام.

نعود إلى الجواب على السؤال المطروح لتعدده في العناصر الآتية :

١عنصر الكثرة : كهما تعددت الكثرة - والكثرة بطبيعتها متعدد - فإنها ليست حجة على الواحد، ولا يعتقد فيها أنها خالقة ،والدليل على ذلك أنها كثرة، فالكثرة لاتخلق، وإنما تكون وتشكل وتصنع، وهناك فرق بين( التكون)و (التشكل) و(الصنع) وعملية الخلق، فالخلق يكون من العدم، من °لاشيء) يكون (الشيء)، وأساسه كلمة (كم) الإلهية : (بديع السماوات والأرض، وإذا قض أمرا فإنما يقول له كن فيكون٢٠٧.

٢- لما كان الواحد هو خالق (الكثرة) فهو علة وجودها، وتقرر الشرائع السماوية في دين الإسلام أن الواحدية والأحدية هي علة وجود العام، والعالم هو الله٢٠٨. الذي خلق

٢٠٧ - الآية ١١٧ من سورة البقرة.

٢٠٨ - تأمل آيات سورة الإخلاص من القرآن الكريم تقف على حقيقة هذا المعنى الذي ذكرت.

الكون من العدم، فإذا تقرر أن الله يملك زمام الوجود فإنه حقا يملك زمام العدم، لأن القادر على الإبعاد هو القادر لامحالة على الإعدام، والذي يعطي الحياة في الكون قادر على سحبها منه، وحالة (الحياة) هي كحالة (العدم) كلاهما مخلوق بحد ذاته: ( خلق الموت والحياة ليبلوكم أيكم أحسن عملا)[٢٠٩].

٣- (( الكثرة) المقصودة هنا هي (الموجودات جميعا)، إسنادها إلى الصانع الواحد يسهل علمية الإيجاد فالصانع الذي أوجد الكثرة أوجد الواح في الكثرة، فبالسهولة التي ثم بها إيجاد الواحد تمت بها أيجاد الكثرة، لكننا إذا عكسنا العملية بأن تولت (الكثرة) إيجاد (الواح) فيتعذر عليها ذلك، وهو تعذر مقبول عقلا وشرعا، فالعقل لايعقل فكرة (الكثرة) إيجاد (الواحد) فيتعذر عليها ذلك، وهو تعذر مقبول عقلا وشرعا، فالعقل لا يعقل فكرة أن الكثرة توجد الواحد، ومن مقومات الصدور الخلق لاالفيض، كما أن الشرع ينفي ذلك مطلقا بوجه الإعجاز، فالأكثرون ( لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له)[٢١٠]، والجن والإنس على كفرهم لا يستطيعون أن يأتوا بالقرآن وهوشيء واحد (قل لئن اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثل هذا القرآن لايأتون بمثله ولو كان بعضهم لبعض ظهيرا)[٢١١].

الشبهة الثالثة : يتقدم الطبيعيون سؤال شغلهم طويلا، وهو معتقد ما فتىء أساتدتهم يرددونه بكثرة في أطروحة تقول ( بمعنى المادة لايجري عليها الفناء ولا يصبها الحدوث، فالكون هو هو، وما يديره سوى المادة، فالمادة فاعلة بنفسها، منفصلة ببعضها، فتركيبها هو أساس والتحول في الكون كله، فإلى أي حد يكون هذا التصور سليما وصوابا؟

هنا سؤال الطبيعي المتنقل إلى مرحلة الإعتقاد. ذهنه ما زال مشغولا بمعطيات العهد السابق... هناك عوائق فكرية تتخالج العقل، وعراقيل معرفية لن تعالج طبعا إلا بهذا النوع من (التداعيالحر) ... حينما تتحددالشبهة يكون يكون الجواب صريحا واضحا.. لأن وضوح

---

٢٠٩ - الآية ٢ من سورة الملك.

٢١٠ - الآية ٧١ من سورة الحج.

٢١١ - الآية ٨٨ من سورة الإسراء.

السوال هو السر في وضوح الجواب والواقع أن هذه الشبهة لا تقل خطورة عما مضى وهي مقولة بعض أساتدة الفلسفة الطبيعية في عصر النورسي، اجتروا هذه المقولة من أساتذة الطبيعة الأوائل فلقنوها لطلبة العلم والجواب عليها واضح، فالفلاسفة الطبيعيون الذين اقروا بهذا الإفتراض إنما نظروا إلى الموجودات من منظور (الطبيعة)، و(الأسباب)، ولم ينظروا إليها من منظور القرآن، فلما نظروا من المنظور الأول خلصول إلى ذلك الطرح والجواب النورسي يختصر في الدفه بهم إلى أن ينظروا إلى الموجودات من نور القرآن ومنظور الوحي، غير أن التمييز بين هؤولاء ممكن جدا فهم عند النظر على قسمين:

- وقسم منهم تحلى بنظرية الإنكار المطلق للطبيعة والوجود، وهؤولاء هم من ( السفسطائيين ومن تبعهم في هذا المعتقد- أنكروا أنفسهم تبعا لإنكار الوجود ورأو أن أنجع وسيلة للعقل هو الإنكار[٢١٢].

- وقسم جعل الإيجاد في "الأسباب" و "الطبيعة" وقرروا على ضوئها أنه (لايستحدث شيء من العدم) وقادتهم هده الفكرة إلى الإعتقاد في أن إعدام الشيء محال فقرروا تبعا لذلك (عدم فناء الموجودات تحت فكرة : ° إن المادة لاتفنى ولا تستحدث)، وهذا فيه مخالطة كبيرة وخطيرة، وتعدي وجود على إرادة الله ومشيئته ويحاب عنه أن المادة تغنى إذا أراد لله لها الفناء من عالم الشهادة، وحدد علمه زمن هذا الفناء، وفي المقابل فإنها ستحدث من العدم وتضم في عالم الشهادة إذا أراد لها علم الله أن توجد، وحدد علمله زمن هذا الوجود[٢١٣].

ونختم الكلام في هذا الصنف من المستوى الثالث بفكرة تلقي الضوء على اسلوبه الخالق سبحانه وتعالى وطريقته في الخلف والإيجاد، وهو كلام يقدم كبديل لكل ما ثم دحضه سابقا، يقول بديع الزمان النورسي :

---

[٢١٢] – يصدق على هؤلاء قوله تعالى في الآية ٢٣ من سورة الحاشية : ( وقالوا ماهي إلا حياتنا الدنيا تموت وتحيا وما يهلكها إلا الدهر– وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون).

[٢١٣] – الطبيعة ص ٨٠.

(نعم إن القدير المطلق ذا الجلال له طرازان من الإيجاد:

الأول : هو الإختراع والإبداع، أي أنه سبحانه يبدع الوجود من العدم إبداعا من غير شيء ويوجد كل ما يلزم - هذا الوجود- كم أشياء من العدو ويسلمها إياه، ليستمر وجوده فيها.

ألآخر : هو والصنعة والإتقان، أي ينشئ فسما من الموجودات من عناصر الكون نفسه، إظهارا لكمال حكمته، وتبيانا لتجليات أسمائه الحسنى، وأمثالها من الحكم الدقيقة فيرسل إلى تلك الموجودات الدرات والمواد المنقادة إلى أوامره ضمن سنن الرزاقية الكونية، ويسخرها لها ليكمل إنشاء هذا الوجود وهكذا فالقدير المطلق القدرة له اسلوبان من الإيجاد، وصورهما: الإبداع والإنشاء، فإنشا: الموجود وإيجاد المعدوم أمر سهل جدا لديه، وهين جدا بل هو قانونه الدائم العام.

فالذي يستبعد من القدرة الفاطرة افناء الموجودات التي توجد ها في الربيع من العدم، وتخلق أربعمائة ألف نوع من المخلوقات والحياء، وتمنحها أشكالها وصفاتها وكيفياتها وأحوالها فضلا عن إيجاد ذواتها من العدم.

إن الذي يستعد من مثل هذه القدرة الإيجاد والإعدام ويقول :" إنها لن تقدر على إيجاد المعدوم" لابد أن يهوي في ظلمة العدم) ٢١٤.

وأخيرا.. فهذه وقفات مع كتاب (الطبيعة) وقفات استوحت منه الأفكار الرئيسية التي تبن عليها الأطروحات اللمركزية في التصور الطبيعي، كما استوحت القضايا الهامة والعامة في الحالة الطبيعية فسأل الله غز وجل أن تكون نافعة وهامة، والذي من وراء القصد.

المبحث الثالث : الطبيعة خارج كتاب (الطبيعة).

إذا تركنا كتاب الطبيعة جانبا وعدنا إلى تراب النورسي نجده يتصدى للموضوع نفسه، إما في فقرات قصيرة أو بإشارات عابرة، أو بغمزة نقدية في جزئين من الجزئيات

٢١٤ - الطبيعة ص ٨٣-٨٤.

المثارة في الشبهات السابقة، أو في معالجة طويلة النفس تشدك إليها شدا مثل ما فعل في كلامه عن (الطبيعة) و(القوانين) و (القوى) و(الصدفة) في رسالته ( نقطة من نور معرفة الله)٢١٥. غير أن ما يمكن أن يلاحظ على فكرةه عموما هو طابع الإعادة، فهو يعيد ما سبق أن تعرض له في الكتاب السابق أو في كتب أخرى ... وهذا يبين أن الطبيعة هي هاجس قوي أستولى على اهتمامه، وأخده إليه آخدا، لم لا والنورسي صرح في غير ما مرة أن معركته في الحياة مع طاغوتي: (النفس) و(الطبيعة)، وسنحاول في هذا المبحث الذي سميناه ب " الطبيعة خارج كتاب (الطبيعة" أن نقيم متابعات عابرة في الموضوع، وقد انتقينا ماله صلة بالوضوع وجعلناه في الفقرات الآتية :

نقد طبيعة الطبيعيين :

يعامل النورسي نقده لسببة الطبيعيين بأسلوب تكشف فيه المعاني، وترامت فيه الكلمات ... وهو تعادبه يتوجه شارحا ومفسرا وممثل وموضحا حيث في بعض الأحيان مذكرا ٢١٦، بالجديد غير أنه في أحيان أخرى يعيد نفس الأطروحات ويتصدى لها بنفس الأفكار وإن اختلفت الهيكلة والأسلوب٢١٧، في أنه في حالات كثيرة يفتتح كلامه بالعبارات الآتية :

- ياأيها الغافل المنغمس في الأسباب ...٢١٨

- أعلم أن التعلق بالأسباب سبب الذلة والإهلنة...٢١٩
- أعلم يا من يستمد من الأسباب٢٢٠

---

٢١٥ – كتاب الطبيعة .. ص ٨٣-٨٤.

٢١٦ –أنظر الرسالة الخامسة التي عنوانها ( حباب..) في المثنوي العربي النورسي ص ٢٠٢.

٢١٧ – أنظر الرسالة السادسة التي عنوانها ( حبة) في المثنوي العربي النورسي ص ٢٥١ وما بعدها.

٢١٨ – ا،ظر الرسالى الأولى الني عنوانها ( لمعات من التوحيد الحقيقي) في المثنوي العربي النوري ص ٥١

٢١٩ – أنظر الرسالى الرابعة التي عنوانها ( فطرة من بحر التوحيد) في المثنوي العربي النوري ص ١٦٠.

٢٢٠ – أنظر الرسالة السابعة : (زهرة من رباط القرآن الحكيم)، في المثنوي العربي النورسي ص ٢٦٣.

- أعلم يا من يعتمد على نفسه وعلى السباب وعلى الدنيا إنك حينئد تصير كالذباب فيه النعم بترك النهار بشمسه، ويعتمد على نعيم نفسه، وتلمعه في الليل...٢٢١

- أعلم ايها المبتلي بالأسباب ....٢٢٢

وهولا يقول هذا إلا متأسفا، ومتحسرا، ومتعجبا كيف يرضى الإنسان لنفسه الخسارة الأيدين حين يختار لنفسه الشرك موقعا وملجئا، وذلك بقوله بالأسباب، لنستمع إلى النورسي وهو يقرع أذن الطبيعي وعقله بهذه النصيحة الجامعة :( ما أعجب شأن الضلالة بسبب الغفلة! كيف استخرجت العلية من المقارنة الساذجة والدورات الطردية هي المصنوعات مع ارتكاب محالات متسلسلة، مع أنه لم يتبين ولم يتحقق خط في شيء من الأشياء، امارة صادقة على وجود شريك لذلك الشيء. بل تحت كل شيء مجهولية تتكشف عن قدرة غير متناهية لقدير واجب الوجود، فياخسارة الإنسان ويا جهالته! كيف أخد الشرك لنفسه موقعا في نفسه وفي عقله! ٢٢٣.

٢-الكل والجزء

يناقش النورسي نظرية (الكل والجزء) من منظور فلسفي عميق هو ناتج لا شك عن قيض المعرفة الباطنة المستهداة بنور الإيمان، وبسراج العقل المنير، فهو يرى أن الأجزاء تتساند فيما بينهما برباط قوي محكم، هذا الرباط هو رباط (الكل)، فالكل هو الذي يضفي على الأجزاء عنصر الجادبية، وهذا الأمر ظاهر بالإستقراء في المباني المتراصة والعمارات الشاهقة والدور .. فيلاحظ في البنايات والمزروعات، فالمعرفة الحقيقية التي نكونها عن الأغصان والثمرة إنما تأتي من كل الشجرة)، كذلك (الإسلام) فهو كل بأجزاء، كل جزء لا يأخد موقعه الحقيقي إلا في الكل، وكلما ازداد الفهم بالتفصيل ووالشرح والبيان ازداد فهم

---

٢٢١ – وهو يقصد هنا الإستحداد العبثي الإلحادي لا العلمي التجريبي.

٢٢٢ – الرسالة السابقة في المثنوي العربي النوري ص ٢١٣.

٢٢٣ – الرسالة الرابعة، تقدمت، في المثنوي ص ١٦١.

كل جزء، غير أنه لابد لهذا الفهم والشرح والبيان أن يكون مستوحى من الإطار الكلي للإسلام وإلا كان فهم الجزء فهما شاردا...

إن (الجزءالإسلامي) في إطار (الكل) لايأخذ قوة صوره ووجوده إلا في إطاره الكلي وذلك عن طريق المعرفة الصحيحة.

إن الذي يضفي على الكون طابع التناسق والإنسجام هو أن كل جزء من أجزاء (الكل) تتوفر نفس الخصائص الموجودة في الأجزاء الأخرى، وهنا يتحمل كل (جزء) بهذا الإعتبار إلى (كل) بذاته فمن جهة أن (الكل) يتكون إلا به.. لأن الكل يستمد قوة وجوده من الجزء... ومن هنا فلا خلاف في قولهم ( إن الجزء أكبر من الكل)... إذ لا يمكن تصور (كل بلا أجزاء في حين يمكن أن نتصل جزءا بلا كل ... ومن منطلق هذا الفهم يكون (كل جزء من كل الكون واحد قياسي لا من باب سائر الأجزاء، وبالعكس فأجزاء الكائنات مقاييس للإمكانات بينما كل لكل) ٢٢٤ . ونخلص في نهاية المطاف إلى أن الحاجة تبقى قائمة بعنصر النقص الحاصل في الجزء والكل فالجزء يحتاج إلى ما يحتاج إليه كل الكل كما (فالثمرة تحتاج إلى كل ما يحتاج إليه كل الشجرة، فخالق الثمرة بل حجيرة من حجيراتها لابد أن يكون خالق الشجرة، بل خالق الأرض بل خالق شجرة الخلقة)٢٢٥.

٣- الأنا (الحالة الطبيعية)

ما الأنا ؟

(الأنا) الذي يتكلم عليه النورسي هونير (الأنا) المشهور المتداول ..إنه غير المفهوم السلطوي الشائع في الفلسفة الغربية الذي يعني (= مقابل الآخر)، ولا هو بالمعنى الإستشراقي المركزي الذي يعني (= معانيه الآخر وفقا للذات ( voir l’autre selon soi).. (الأنا) عند النورسي له صفة فلسفية تخلط في المعطيات البيولوجية والفلسفة وبين

---

٢٢٤ – أنظر الرسالة الخامسة ( حباب ...) في المثنوي العربي النوري ص ١٧٦

٢٢٥ – المصدر السابق، وفصل النورسي في هذا الموضوع في رسالته الإسم الأعظم) إحالة من الهامش.

معطيات الإيمان، إن (الأنا) هي ذات الإنسان المؤمن بالله بصفة خاصة وكل إنسان بصفة عامة، هي حركات الذرات التي تلونه وتكون العالم من حوله ... ثم ينتقل بها إلى ما هو أعم من هذا التصور البيولوجي حين تربط بالأمانة، الأمانة التي أبت السماوات والأرض والجبال أن يحمنا وحملتها ( الأنا)، ويعطي النورسي لمصطلح (الأنا) مفاهيم وتعابير تفوض في الحق والباحث ولكن مع الظاهروالباطن، ولكن مع الطاهر والجلي، وهو إشاراته هاته يؤسس شيئا هو بخلاف البينة المادية الظاهرة، ولن نفوض في عرض وأقواله فقد ضمنها في كتابه المعنوي ب(الأنا) ٢٢٦، وذلك حين خص المقصد الأول ( لماهية الأنا)، والمقصد الثاني لتحولات الذرات، وهنا يلاحظ النوري أن لحركة الأنا وجهتين : وجهة نمو حقائق النبوة ووجهة نمو حقائق الفلسفة،ووالوجهة هي حركة النفس نحو التكمل بالعلم والمعرفة، وتبقى الذرات مؤشرا حيا على أمور أساسية، فهي في تحولاتها الحركية دالة على التةحيد، وفي وضائفها وحكمها دالة على الوجود، والكل يدل على معجزة القدرة والكمال الإلهي ..

وإذا كانت (الأنا) على الصورة التي قدمنا، فإنها تبدو ومن وجه أخر على صورة أخرى أكثر فاعلية، وإنها (أنا الإنسان المتكلم من موقع إنسانيته، وليتكلم من موقع الإحساس المشترك، والخواص المشتركة، والخصوصيات التي تجمع الإنسانية كلها، أو لنقل، إن الأنا) عند النورسي هي (الأنا) الجزء الذي يتكلم في إطار (الكل)، (الكل)الإنساني... هاهنا تبدو هذه الأنا أكثر تجسيدا، وأكثر وضوحان ويبدو كلامها أكثر واقعية وأبلغ انسجاما لكنها متى قبلت المعادلة لتجعل من نفسها خصوصيات منفردة، وهو بات متميزة، وتحاول أن تجعل من نفسها مركزا وذلك في ضوء هذه الخصوصيات هنا تكون الخسارة كبيرة...

---

٢٢٦ – العنوان الكامل لهذه الرسالة هو: أنا ذات الإنسان وحركات الذرات في الفلسفة والدين– من ترجمة إحسان قاسم الصاحي– قدم له الدكتور الشفيع الماحي أحمدالطبعة الأولى ١٤١٠-١٩٩٠م مطبعة حسام -بغداد.

٤-للمتكلمين الطبيعيين:

هل المتكلمون طبيعيون؟

هنا سؤال يتبادر لكل واحد منا حين يجد النورسي يتناول في مقالاته المتكلمين بالنفس الذي يتناول به الطبيعيين... والجواب عليه يوجد في التاريخ يوجد في التاريخ، فالذي يضالع علم الكلام ويقف على مقالات الغرف وشبهها، ويقارن بينها وبين مقالات الطبيعيين من جهة، وبينها وبين وخصوصية الإسلام لايسعه إلا أن يقول : إن بعضا من المتكلمين إن لم يكونوا طبيعيين فهم من ثرون الطبيعيين، وهذا هو الصوابن فقد دخلت نزعة الفلسفة الطبيعية إلى علم الكلام الإسلامي، فوجهت الجدلا بين الفرق، وأثرت فب المناظرات والحوارات، ودخلت دخولا منسجما في نوعية السجالات الفكرية. واعتقد أن كتب غلم الكلام بنظريات كثيرة تضمنت أفكارا هي تنسجم مع الحالة الطبيعية أكثر ننا هي منسجمة مع روح الإسلام ومقصده. ولما كان أقررنا أن الفكر الطبيعيي بتأقلم مع مناخ الحضارة التي تسرب إليها فقد تبدى لنا في صورة مقتقدات تبنتها مذاهب كبيرة احتلت مركزا هو السيادة في بعض الفترات من فترات تاريخ الإسلام، والملاحظ أن بعض الشبهات من العهد السائد مازالت تفعل فعلها في مفكري الأمة وطلابها من أهل هذا العصر، ومنها قورهم ترجيح العقل على النقل، هؤلاء يخاطبهم النورسي بلغة استهزائية فيقول :(أعلم أيها المتفلسف المرجع للعقل على النقل، فتأول النقل بل تعرف. إذ لم يسعى عقله المتفسخ بالغرور والتغلغل في الفلسفيات! إنني كنت -في حين- كما كنت، ثم شاهدت قصرا شاهقا شارقا اتصل سطحه سقف السماء قد أرسلت متدلية من شبابيئها العالية زنابيل متفاوتة، جالها في المبدأ أو المنتهى فبعضها قريب من الأرض فيقذف الإنسان الموفق نفسه في ذلك الزنبيل، فيرتفع إلى أعلى المنازل، وبعضها أخفض مبدأ وأرفع منتهى، وهكذا ... ثم رأيت بعض الناس الخاسرسن المغرورين لايبالون بتلك الزنابيل، فيتشبثون للصعود!... وشاهدت بعض المعتمدين على أنفسهم المتفرعة، يدوقون

مسامير في جدار القصر فيضعون أرجلهم عليها متصاعدين، فيغرون فتندق أعناقهم وهكذا ... ورايت أن ما جهزوا به من مكاسبهم وآلاتهم إنما أعطوها ليستعملوها على قدر الإستعداد او التوفيق في الصعود إلى الزنبيل لا إلى المنازل... فعقلك عقائدك، وبالنقل نقلتك، ومن توكل علي الله فهو حسبه٢٢٧



[٢٢٧] – الرسالة الخامسة في المثنوي ... ص ١٩١، وانظر التعليق في هامش الصفحة

**د. عبد العزيز شهبر وحدة البحث في تاريخ الأديان والحضارات الشرقية كلية الآداب – تطوان – المغرب**

١٨٧٣ – ١٩٦٠ هذه هي الفترة الزمنية التي عاش فيها الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله. وهي فترة حبلى بالأحداث الكبيرة. وخلالها برز اسم بديع الزمان أستاذا مجددا ومرشدا معلما كثر طلابه وعظم تأثيره.

وفي حمأة محاولات الإطاحة بدولة الخلافة العثمانية، وما تمثله تلك الإطاحة من ضربة للعالم الإسلامي وللخلص من المسلمين(١)، وفي خضم اشتداد شوكة دول المنظومة الفكرية المسيحية، وازدهار أطروحات الإستعمار واستفحال دعاوى الإنتصار للفكر القومي والدولة الوطنية القومية، وتنامي المد الشيوعي وانتشار الصهيونية(٢)، وتأسيس الأحلاف وانتظامها في معسكر شرقي ماركسي وآخر غربي أطلسي رأسمالي ليبرالي... في خضم كل ذلك، أبى الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي إلا أن يبني فكرا إسلاميا تجديديا(٣) يقارع كل تلك الدعاوي انطلاقا من معجزة القرآن الكريم ومعانيه الخالدة.

إن علم الأستاذ النورسي خلاصة تأمل عميق في آي كتاب الله المبين، وعصارة تدبر وتفكر في اسرار الذكر الحكيم. تدبر وتأمل ارتبط فيهما الإيمان بالعقل، فكان أن تمثل كل ذلك في أسلوب من التأليف عجيب، وفي طرائق في التفسير غير مسبوقة، وكانت "رسائل النور" آية "ألجمت أعتى المعاندين الملحدين وافحمتهم وأثبتت ما كان يظن بعيدا عن العقل كحقائق المعراج النبوي والحشر الجسماني للمعاندين والمتمردين من الفلاسفة والزنادقة حتى أدخلت بعضهم إلى حظيرة الإيمان، فرسائل هذا شأنها لابد أن العالم – وماحوله– باجمعه سيكون ذا علاقة بها،..."(٤).

لقد اجتهد الأستاذ النورسي-رحمه الله- عبر رسائل النور، وآثار أخرى واستطاع أن يبين للعالم ثبات حقائق القرآن الكريم وانفتاح أسلوبه على كل العصور وكل الثقافات حتى الثقافة الحديثة. واستطاع أن يؤسس نسقا فكريا واجه الطروحات المعاصرة وبين أن الفكر الإسلامي فكر يقبل التجدد والتطوير دون أن يبتعد عن الأسس القرآنية الثابتة.

وقد استوقفتني أثناء قراءتي لآثار االأستاذ النورسي السياقات التي تحدث فيها عن أهل الكتاب وعن النصرانية واليهودية. لقد تشكل موقفه عنهم من خلال ما استخلصه من الآيات القرآنية المتعلقة بهم.

**ميز الأستاذ النورسي في رسائله بين فصائل متعددة :**

أهل التثليت، أهل الضلالة، أهل الغفلة، أهل الكتاب، أهل الهداية أهل الحقيقة، أهل الإيمان، أهل القرآن... وضمن كل خانة من هذه الخانات تندرج جماعة من الناس اختارت لنفسها نهجا وطريقا، ورسمت لنفسها نسقا فكريا خاصا، وتميزت بموقف من الوحي الإلهي وفهم خاص له وعلى اختلاف فهمها وموقفها انقسمت أقساما ثلاثة :

قسم فهم مقاصد الوحي ووعى حقائق التنزيل فلم يبدل ولم يغير.

وقسم طال عليه الأمد فاتبع هواه وبدل وغير كللام الله عن مواضعه، وبقي جزء منه يبحث عن طريق الله وسيدرك لامحالة القسم الأول ويتحالف معه لمحاربة الزندقة...

وقسم ثالث رأى الضلالة نهجا ومسلكا ومآله الخسران.

وضمن القسم الثاني يدرج الأستاذ النورسي قسما من أهل الكتاب يرى أنهم أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الكريم. يتعلق الأمر هنا بذلك القسم الذي اقترب من التوحيد. يقول : "ستجد النصرانية أمامها الانطفاء أو الإصطفاء. وسوف تلقي السلاح وتستسلم للإسلام.

لقد تمزقت عدة مرات، حتى آلت إلى "البروتستانية ولم تسعفها كذلك، وتمزق الستار مرة أخرى، فوقعت في ضلالة مطلقة. إلا أن قسما منها اقترب من التوحيد، وسيجد

فيه الفلاح. وهي الآن على وشك التمزق، إن لم تنطفئ فإنها تتصفى وتكون ملك الإسلام (إذ تجد نفسها أمام الحقائق الإسلامية الجامعة لأسس النصرانية الحقيقية، هذا سر عظيم اشار إليه الرسول الكريم بنزول عيس عليه السلام، وأنه سيكون من أمته ويعمل بشريعته"(٥). إن هذه الحقيقة القرآنية تحكم كل السياقات التي يرد فيها ذكر اهل الكتاب وديانات أهل الكتاب. ومادام الدين عند الله الإسلام من آدم عليه السلام إلى خاتم الأنبياء محمد عليه الصلاة والسلام، ومادام سياق النبوة واحدا، ومادام المصدر واحدا، فإن على أهل الكتاب تصحيح عقيدتهم بالعودة إلى التوحيد الخالص، وليس هناك حسب الأستاذ النورسي معين يمكنهم النهل منه اثناء عملية التصحيح والإندراج في سلك سياق النبوة أوْ -فى وأَعجز من القرآن الكريم. إن النصرانية الحقيقية ليست حسب الأستاذ النورسي إلا تلك التي وردت معالمها في القرآن الكريم، ويوم يتدبر أهل الكتاب آي القرآن سيلاحظون حقائق كتبهم تتكامل فيه وسيدركون أن لااكتمال لعقائدهم إلا به. يقول الأستاذ : "إن أهل هذا العصر الذي اغتر بنفسه وأصم أذنيه عن سماع القرآن أكثر من أي عصر مضى وأهل الكتاب منهم خاصة، أحوج ما يكونون إلى إرشاد القرآن الذي يخاطبهم ب"يا أهل الكتاب... ياأهل الكتاب" حتى كأن ذلك الخطاب موجه إلى هذا العصر بالذات، إذ لفظ أهل الكتاب يتضمن معنى أهل الثقافة الحديثة ايضا، فالقرآن يطلق نداءه في أجواء الآفاق يملأ الأرض والسبع الطباق بكل شدة وقوة وبكل نضارة وشباب فيقول : " ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم"(٦).

إن لقاء أهل الكتاب وأهل القرآن أمر قرره القرآن الكريم وحدد نقاطه وعناصره: ١ - ألا نعبد إلا الله، ٢ - ولانشرك به شيئا، ٣ - ولايتخد بعضنا بعضا أربابا من دون الله. وأي لقاء غاب فيه عنصر من تلك العناصر الثلاثة ملغى ونتيجته محددة في : { **فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون**}(٧). يرى الأستاذ النورسي أن عبارة أهل الكتاب تشمل أهل الثقافة الحديثة بكل تشعباتها ومكوناتها وتوجهاتها. ومادامت هذه الثقافة الحديثة ومعها

المدنية الحديثة قد استفادت في بنائها من محاسن الأديان السابقة فإنها مدعوة إلى التدبر في القرآن الكريم.

وإذا ما كان لها ذلك فسوف تدرك أنها تبقى دون حكمة القرآن هذه الحكمة التي تقبل " الحق" نقطة استناد في الحياة الإجتماعية بدلا من "القوة"، وتجعل رضى الله ونيل الفضائل غاية وهدفا عوض "المنفعة" وتتخذ دستور التعاون أساسا في الحياة بدلا من دستور الصراع، وتلتزم رابطة الدين بدلا من العنصرية القومية السلبية...(٨)

إن القرآن وحده استطاع توضيح ذلك الخيط الرابط بين جميع الرسل والأنبياء السابقين وبين الكتب المنزلة : **{قل آمنا بالله وما أنزل علينا وما أنزل على إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتي موسى وعيسى والنبيئون من ربهم لانفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون}**(٩)، إنه إذن كتاب جامع لحقائق الكتب السابقة في أصح صيغة وأعجز أسلوب. ومادام الأمر كذلك فأهل الكتاب يهودا ونصارى سواء كانوا من الفريق المتمسك بنصوص العهد القديم والجديد في صيغتهما المحرفة المبدلة، أو كانوا من أهل الثقافة الحديثة ممن انطلقوا من محاسن الأديان وبنوا فلسفات وشرائع ارتضوها منهجا، مدعوون إلى الوقوف على حقائق القرآن الخالدة وعلى دين الإسلام الذي تندرج اليهودية المسيحية في سياقه"إن الدين عند الله الإسلام..."(١٠) و **{ما كان ابراهيم يهوديا ولا نصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين}**(١١)، والآية الأخيرة إذا كانت وفرت في السابق جوابا قاطعا على من ادعى نصرانية ابراهيم عليه السلام أو يهوديته، فإنها جواب على دعاة الدعوة الإبراهيمية في العصر الحديث.

يرى الأستاذ النورسي أن ماورد من أسس الكتب السابقة في القرآن الكريم دليل على المصدرية الإلهية لهذا القرآن ودليل على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام، وهو أمر يمكن لأهل الكتاب الوقوف عليه من خلال قراءة ناقدة لكتبهم ومن خلال قراءة القرآن الكريم.

إن الكتب السماوية حسب الأستاذ النورسي رحمه الله وعلى ما اعتراها من تبديل وتغيير ظلت تحتفظ ببصمات دالة على أصالتها ومصدريتها. ومن شأن تلك البصمات أن تكون دافعا لأهل الكتاب من أجل التصحيح. يرى الأستاد أن ورود بشارات متعلقة بمحمد صلى الله عليه وسلم في الكتب السماوية السابقة أمر ضروري وقطعي، إذ لايمكن لتلك الكتب أن تهمل ذكر حادثة البعثة المحمدية أعظم حادثة في تاريخ البشرية وتذكر حوادث جزئية. يقول الأستاذ النورسي في شأن الآية الكريمة : **{والذين يومنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون}**، إن فيها : "عطف الدليل على المدلول، أي : "يأهل الكتاب إذا آمنتم بالأنبياء السابقين والكتب السالفة لزم عليكم أن تؤمنوا بالقرآن وبمحمد عليه السلام، لأنهم بشروا به، ,لأن مدار صدقهم، ونزولها ومناط نبوتهم يوجد بحقيقته وبروحه في القرآن بوجه أكمل وفي محمد عليه السلام..."(١٢)

وقد وقف الأستاذ النورسي عند كثير من جمل الإنجيل والتوراة بشرت بهذا النبي الذي ستتلألأ معه الشريعة الإلهية بعد أن جاءت من سيناء وأشرقت في سَيْعَر(١٣). إن دليل وجود تلك البشارات في الكتب السالفة أمر اقره القرآن الكريم، وتجلى ذلك بشكل واضح وجلي في اللآية الكريمة  على لسان عيسى عليه السلام: وإذ قال عيسى ابن مريم يابني إسرائيل إني رسول الله إليكم مصدقا لما بين يدي من التوراة ومبشرا برسول ياتي من بعدي اسمه أحمد"(١٤)، وقد أورد الأستاذ خبر كثير من أهل الكتاب ممن : " نبذوا الخصومة والعناء وآمنوا بالإسلام بعدما رأوا أوصاف النبي صلى الله عليه وسلم في كتبهم، وبينوا لغيرهم من العلماء فألزموهم الحجة"(١٥).

إن تقبل أهل الكتاب لحقائق القرآن ونبوة محمد عليه الصلاة والسلام أمر لايخرجهم عن قشرهم فكتبهم لازالت تنطق ببشارات متعلقة بهذا الرسول الكريم وهم إن صدقوا بهذه البشارات (أذعنوا) أدعنوا لحقائق القرآن الكريم وآمنوا بمصدريته الإلهية. وإن في الآية الرابعة من سورة البقرة مثلا : "إشارة إلى تشويق أهل الكتاب على

الإيمان وتأنيسهم، والتسهيل عليهم. كأنه يقول : " لايشقن عليكم الدخول في هذا السلك، إذ لانخرجون عن قشركم بالمرة إنما تكملون معتقداتكم، وتبنون على ماهو مؤسس لديكم" إذ القرآن معدل ومكمل في الأصول والعقائد، وجامع لجميع محاسن الكتب السابقة وأصول الشرائع السالفة. إلا أنه مؤسس في التفرعات التي تتحول بتأثير تغير الزمان والمكان، فكما تتحول الأودية والألبسة في الفصول الأربعة، وطرز التربية والتعليم في طبقات عمر الشخص؟ كذلك تقتضي الحكمة والمصلحة تبدل الأحكام الفرعية في مراتب عمر نوع البشر..."(١٦).

إن ما بين القرآن الكريم وبعض ما ورد في الكتب السماوية من اتفاق سيدفع المسلمين وفريق من أهل الكتاب إلى التقارب والإتفاق من أجل دفع عدو مشترك واحد هو الملحد المعتدي يقول :

"لقد تبث في الحديث الصحيح أن المتدينين الحقيقيين من النصارى سيتفقون في آخر الزمان مستندين إلى أهل القرآن للوقوف معا تجاه عدوهم المشترك الزندقة، لذا فأهل الإيمان والحقيقة في زمننا هذا ليسوا بحاجة إلى الإتفاق الخالص فيما بينهم وحده، بل مدعوون أيضا إلى الإتفاق حتى مع الرومانيين المتدينين الحقيقيين من النصارى، فيتركوا مؤقتا كل ما يثير الخلافات والمناقشات دفعا لعدوهم المشترك الملحد المعتدي"(١٧).

والأستاذ بهذا يضع استراتيجية في اللقاء بأهل الكتاب تقوم على حقيقة ثابتة هي تقارب أهل القرآن مع المتدينين الحقيقيين من النصارى من أجل محاربة الإلحاد مع تجميد المناقشات والخلافات.

أما الجولة الأخيرة من هذا التقارب واللقاء فحين تسليم النصرانية أمرها للإسلام ويتحقق ما اشار إليه الرسول الكريم بنزول عيسى عليه السلام وأنه سيكون من أمته ويعمل بشريعته.(١٨)

إن الفرق بين الإسلام وسائر الأديان ومنها النصرانية حسب الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي رحمه الله هو التوحيد الخالص وهو أمر يبعد المسلمين حكاما ومحكومين من الغرور والتكبر ويلغي الوساطات بين المسلم وخالقه. ومادام هذا التوحيد أصلا، فسوف يذعن لحقيقته أهل الكتاب في آخر المطاف.

خلاصة القول أن الأستاذ النورسي في حديثه عن أهل الكتاب ظل منسجما مع ما ورد في شأنهم في القرآن الكريم، وظل مُوجَّها بما تقره حقائق القرآن الكريم إنه على يقين ثابت من انسجام أهل الكتاب مع الإسلام في آخر الزمان ومن انتصار حكمة القرآن الكريم.

"ياأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم الا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخد بعضنا بعضا أربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون. ياأهل الكتاب لما تحاجون في إبراهيم وماأنزلنا التوراة والإنجيل إلا من بعده أفلا تعقلون ها أنتم حاججتم فيما لكم به علم، فلم تحاجون فيما ليس لكم به علم والله يعلم وأنتم لا تعلمون. ما كان ابراهيم يهوديا ولانصرانيا ولكن كان حنيفا مسلما وما كان من المشركين. إن أولى الناس بإبراهيم للذين اتبعوه وهذا النبي والذين آمنوا والله ولي المومنين" (١٩). صدق الله العضيم.

**هوامش البحث :**

١ - لقد كان إحساس الأستاذ بديع الزمان سعيد النورسي بهذه الطعنات عميقا يقول : "لقد كنت أحس بأن هذه الضربات التي وجهت إلى العالم الإسلامي كأنها وجهت إلى أعماق قلبي" أنظر مولف رسائل النور ومؤسس جماعة النور بديع الزمان سعيد النورسي نظرة عامة عن حياته وآثاره. د. احسان قاسم الصالحي، ص ٤٩، ط ٢، دار سوزلر، أسطنبول ١٩٨٧.

وانظـر أعمـال المـؤتمر العـالمي لبـديع الزمـان النورسـي : تجديـد الفكـر الإسلامي.

٢- أنظر قصة الأستاذ مع الصهيوني عما نوئيل قره صو في المرجع السابق ص ٣٠,

٣- أنظـر مؤلـف النورسـي مـتكلم العصـر الحـديث، د. محسـن عبـد الحميـد دار سوزلر للنشر، القاهرة ,١٩٩٥

٤- دليـل الخدمـة لتلاميـذ القـرآن ص ٢٤ نقـلا عـن كتـاب أسـتاذنا إحسـان قاسـم السالف الذكر.

٥- اللوامع، ملحق ب - كليات رسائل النور، ١. الكلمات، ترجمة إحسان قاسم الصالحي، ص ٨٤٥، ط١. دار سوزلر استنبول ,١٩٩٢

٦- الكلمات ترجمة، إحسان قاسم الصالحي، ص ٤٧١-٤٧٢,

٧- سورة آل عمران الآية ٦٣

٨- الكلمات، ص ٤٧٢-٤٧٣

٩- سورة آل عمران الآية ٨٣

١٠-

١١- سورة آل عمران الآية ٦٦

١٢ - إشـارات الإعجـاز في مظـان الأيجـاز تـاليف بـديع الزمـان سـعيد النورسـي، ترجمـة إحسـان قاسـم الصـالحي ص : ٥٨-٥٩. ط١. دار سـوزلر، اسـتنبول ١٩٩٤,

١٣- كليات رسائل النور، المكتوبات تـأليف بديع الزمان سعيد النورسي، ترجمـة إحســان قاســم الصــالحي، ص ٢١٩ - ٢٣٤، ط١، دار ســوزلر، اســتانبول، ١٩٩٢

١٤- سورة الصف آية ٦

١٥- المكتوبات ص ٢٢١

١٦- إشارات الإعجازي مظان الإيجاز ص ,٥٩

١٧- اللمعات وانظر مقال الحوار بين المسيحية،والإسلام أو رسولا سيولر ضمن بديع الزمان سعيد النورسي في مؤتمر عالمي حول تجديد الفكر الإسلامي، ص ٣٧، ط١ ، استبول ,١٩٩٧

١٨- اللوامع، ملحق بالكلمات، ص ,٨٤٥

١٩- سورة آل عمران الأيات ٦٣-٦٧.

**ذ. عبد الكريم عكوي**

**كلية الآداب جامعة ابن زهر**

**أكادير**

إن اختلاف الأفهام والأنظار، وتنوع الأفكار البشرية، مسألة شغلت اهتمام الباحثين والدارسين في الفكر الإنساني عبر العصور. وكانت أيضا موضع عناية في الفكر الإسلامي، خاصة بعد عصر النبوة. ففي عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم كان الوحي بشقيه- الكتاب والسنة- مرجعا عند الإشكال وموئلا عند الإختلاف، فلم يكن لإختلاف الفهم والنظر أثر كبير في حياة المسلمين، لأن كل اختلاف ينتهي بعد حين إلى ائتلاف واجتماع على رأي واحد عندما يرفع الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أو ينزل الوحي فيحسم الأمر. ولم يبق الأمر على ذلك وإنما اضطر الناس-بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى الاجتهاد في قضايا الحياة وأمور المعاش، فبدأ الخلاف يظهر في النظر والاجتهاد. وكان كلما مضى الزمان وبعد العهد عن زمن النبوة، زاد الإختلاف بتوسع الإجتهاد، غير أن علماء الإسلام من التابعين وأتباعهم ومن بعدهم كانوا قد أدركوا هذه الحقيقةوعلموا أن الحياة لن تستقيم إلا بالإجتهاد، وإن الإجتهاد مفض لامحالة إلى الإختلاف، وإنه لايمكن التسوية بين مدارك المجتهدين ولا جمع الناس على فهم واحد، فحرروا هذا الموضوع تحريرا لامزيد عليه، وكان فائدة نظرهم في ذلك أن المعرفة والحقائق العلمية في جميع مجالات العلم والفكر لاتزيد على ثلاثة أقسام وهي :

١- قسم من الحقائق مقطوع بصحته، لايجوز الإختلاف فيه، وسموه (( المعلوم من الدين بالضرورة))، لايسع العاقل إلا التسليم به وعدم المنازعة فيه. وهذا القسم يشمل أصول العقائد والأحكام الشرعية العامة وكليات الشريعة.

٢- قسم مقطوع ببطلانه، وهو مقابل للأول، فمن قطع بصحة القسم الأول قطع بالضرورة ببطلان مقابله. وهذا القسم يشمل ما ثبت بالقطع من المنهيات مثل الكفر والشرك في العقائد، والظلم والفساد في المعاملات، فهذا أيضا لايصح فيه الإختلاف.

٣- قسم وسط بين الأمرين، ليس له من القطع في ثبوته أو في دلالة النصوص الشرعية عليه ما يلحقه بأحد القسمين قبله، فيتجاذبه جانب الصحة وجانب البطلان، وهذا هو موضع النظر ومجال الإجتهاد، وهو الذي يسع الإختلاف.

وبناء على هذه النظرة الدقيقة كان الإختلاف في النظر والإجتهاد سببا لنشاط الحركة العلمية والفكرية في القرون الأولى من تاريخ الاسلام، فكانت المدارس الإجتهادية، ووجد من ذلك توسع كبير في الفكر الاسلامي، وتمخضت علوم كثيرة، وكانت مناهج المناظرة ومجالسها لتحاور المختلفين ولم يكن ذلك سببا للتنازع والشقاق وضعف قوة المسلمين وذهاب سلطانهم، وإنما كان هذا الأساس الذي قامت عليه الحضارة الإسلامية في ازهى عصورها.

ولم يبق الأمر على ذلك وإنما حل الإختلاف المذموم محل الإختلاف المحمود، ورسخ الشقاق بين المسلمين بسبب الإختلاف في الفهم والإجتهاد، وحصل التعصب للآراء واشتهر الإنتصار للمذاهب فكان هذا سببا لركود الفكر الإسلامي في العصور الأخيرة ركودا بينا، لأن كل ذي رأي يتعصب لرأيه ويشنع على مخالفه، وما زال أثر ذلك إلى يومنا هذا. وهذا شيء واقع مشاهد وليس متوهما مظنونا. وقد عبر بديع الزمان النورسي، هذا الركود وعن زمنه بالتحديد فقال : ((إن معاصري -مع الأسف- وإن كانوا أبناء القرن الثالث عشر الهجري إلا أنهم تذكار القرون الوسطى من حيث الفكر والرقي، وكأنهم فهرس ونموذج وأخراط ممتزجة لعصور خلت من القرن الثالث إلى الثالث عشر الهجري، حتى غدا كثير من بدهيات هذا الزمان مبهمة لديهم.))[٢٢٨]

---

[٢٢٨] - (( صقيل الاسلام)) ص ٢٤

ولهذا، بعد بداية الصحوة الإسلامية في العصر الحديث، وظهور بوادر البعث والنهضة الفكرية في العالم الإسلامي، كانت قضية الإختلاف هذه محل عناية عند المصلحين ورجالات الفكر الاسلامي المعاصر، لأنهم أدركوا أنها من معوقات الفكر الإسلامي.

ومع بداية القرن العشرين الميلادي تنبه الشيخ بديع الزمان النورسي رحمه الله لهذه المسألة فوقف عندها ناظرا متأملا فاحصا، على عادته رحمه الله في تأملاته ونظراته العميقة في حقائق الأشياء، فنطق لسانه معبرا عن ذلك التأمل قائلا :(( سؤال مهم ومثير للدهشة، لماذا يختلف أصحاب الدين والعلماء وأرباب الطرق الصوفية وهم أهل حق ووفاق ووئام بالتنافس والتزاحم، في حين يتفق اهل الدنيا والغفلة بل وأهل الضلالة والنفاق من دون مزاحمة ولا حسد فيما بينهم، مع أن الإتفاق هو من شأن أهل الوفاق والوئام، والخلاف ملازم لأهل النفاق والشقاق. فكيف استبدل الحق والباطل مكانهما فاصبح الحق بجانب هؤولاء والباطل بجانب أولئك.))[٢٢٩] ويقول أيضا (( إنه لمن العجب وموضع الأسف إذ بينما يضيع أهل الحق والحقيقة القوة العظمى في الإتفاق بالإختلاف فيما بينهم، يتفق أهل النفاق والضلالة للحصول على القوة المهمة فيه-رغم اختلاف مشارعهم- فيغلبون تسعين بالمائة من أهل الحقيقة مع أنهم لايتجاوزون العشرة بالمائة.))[٢٣٠] ثم تبين له بعد ذلك أن هذا الإختلاف والشقاق بين أهل الاسلام من أهم أسباب الركود والتخلف في العالم الإسلامي فيقول : (( لقد تعلمت من واقع الحياة الإجتماعية ومن الواقع الذي تعيشه البشرية في يومنا هذا أن هناك ستة امراض قاتلة جعلتنا نقف على أعتاب القرون الوسطى، ونتيه في مسالكها نحو المستقبل، في ميادين الرقي والتقدم العلمي. وهذه الأمراض هي : أولا حياة اليأس ... ثانيا موت الصدق في حياتنا ... ثالثا حب العداوة ... رابعا الجهل

---

[٢٢٩] - - (( المكتوبات)) ص ٣٤٧

[٢٣٠] - (( سيرة ذاتية )) ص ٣١٤.

بالروابط النورانية التي تربط المؤمنين بعضهم ببعض. خامسا الإستبداد... سادسا حصر الهمة في المنفعة الشخصية.))٢٣١ وليس حب العداوة والجهل بالروابط النورانية بين المؤمنين إلا مظهرا للإختلاف والتنازع والشقاق.

وقد اجتهد رحمه الله لمداواة هذا الداء فعمل على استقطاب اسباب الإختلاف وجذور الشقاق وتحريرها، وحصر الروابط الإنسانية التي تجمع البشر كلهم وحرر حقائق البشرية التي يسلم بها العقل البشري مهما اختلفت العقائد وتنوعت النحل، ثم رصد الروابط التي تجمع بين المسلمين وغيرهم على مراتبها بحسب اختلاف العقائد والمذاهب والنحل، ثم الروابط الروحية والمعنوية والواقعية التي تربط بين جميع المنتسبين إلى السلام. وبعد ذلك وضع القواعد العملية التي يجب اتباعها فيما لايمكن الإتفاق عليه، لأنه لايمكن القطع فيه برأي، وسار هو نفسه على هذه القواعد وأوصى بها طلبته. فهذه هي جهوده في إرساء الوحدة الفكرية وتثبيت الحوار العلمي على جهةالإختصاروالإجمال، أما على جهة البيان والتفصيل فهي على النحو الآتي :

١- أسباب الإختلاف والتنازع وسبل إزالتها.

٢- الأسس النظرية للوحدة الفكرية.

٣- الأسس العلمية للوحدة الفكرية.

**١- أسباب الإختلاف والتنازع وسبل إزالتها :**

سبق في التمهيد لهذا العرض أن الإختلاف الفكري الناشئ عن الإجتهاد فيما لايمكن القطع فيه برأي واحد، كان سبب توسع الفكر الإسلامي في زمن السلف الصالح من التابعين وأتباعهم، وسبب ازدهار الحضارة ورقي المعرفة الإسلامية. ووجه ذلك أن غرض الجميع هو الوصول إلى الحق والرجوع إليه عندما يتبين حيث ما كان وعلى لسان

---

[٢٣١] - (( الخطبة الشامية )) ص ٣٠-٣١.

كل فريق، فلم يكن هذا الإختلاف سببا في التنازع والشقاق والتراشق بالتعنيف والتقبيح، بل إن علماء الإسلام اشترطوا في المجتهد معرفة مواطن الإجماع ومواطن الخلاف، واعتبار الرأي المخالف عند الإجتهاد، فليس كل خلاف مذموما إلا إذا أدى إلى التنازع والشقاق. وقد استوعب بديع الزمان النورسي هذه الحقيقة وعبر عنها في مكتوباته حيث جعل الخلاف قسمين : هما الإختلاف الإيجابي والإختلاف السلبي.

أما الإختلاف الإيجابي فهو الذي يحصل بعد الإتفاق على السس الجامعة للمختلفين والإجتماع على غايات واحدة، فيجتهد كل واحد لمعرفة الحق وتحري الصواب، فإذا لم يحصل الإتفاق على رأي واحد لم يحل لأحد القطع بصحة رأيه وخطأ رأي غيره، وإنما يبقي كل واحد الإحتمال لخطأ رأيه ولصواب رأي غيره. يقول رحمه الله : (( إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الإتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الإختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة وإظهار زاوية من زواياها بأجلى صور الوضوح)).[٢٣٢]

وفي توجيه ما روي في الحديث من أن الإختلاف رحمة[٢٣٣] ، يقول (( إن الإختلاف الوارد في الحديث هو الإختلاف الإيجابي البناء المثبت، ومعناه أن يسعى كل واحد لترويج مسلكه وإظهار صحة وجهته وصواب نظرته، دون أن يحاول هدم مسالك الآخرين أو الطعن في وجهة نظرهم وإبطال مسلكهم، بل يكون سعيه لإكمال النقص ورأب الصدع والاصلاح ما استطاع إليه سبيلا)).[٢٣٤] وأما الإختلاف السلبي، فهو الذي يكون مع الرغبة في الشهرة ونيل خطوة التفرد بالصواب والسداد، وإماتة كل مذهب مخالف. يقول رحمة الله : (( أما الإختلاف السلبي فهو محاولة كل واحد تخريب مسلك الآخرين وهدمه، ومبعثه

---

[٢٣٢] – (( المكتوبات)) ص ٣٤٧

[٢٣٣] – " اختلاف أمتي رحمة" حديث ضعيف

[٢٣٤] –. (( المكتوبات)) ص ٣٤٧

الحقد والضغينة والعداوة، وهذا النوع من الإختلاف مردود أصلا في نظر الحديث، حيث المتنازعون والمختلفون يعجزون عن القيام بأي عمل إيجابي بناء... إن كانت المناقشة والبحث عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والإستعلاء وإشباع شهوات نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار...))[٢٣٥] فهذا الجنس من الإختلاف هو المقصود هنا وأنه سبب الركود والتخلف، وهو الذي تولى الأستاذ النورسي إصلاحه ليتحول من اختلاف سلبي إلى اختلاف إيجابي.

**١- الجهل بحقيقة الإسلام وتوهم التعارض بين القرآن والعلم :**

وقد أدى ذلك إلى انقسام المسلمين إلى طائفتين لايجمع بينهما إلا العداء، فكل طائفة تسفه الأخرى وتصفها بأوصاف التعنيف والتقبيح. أما الطائفة الأولى فهم علماء الإسلام والمشايخ المقلدون الذين ينكرون كل جديد مستحدث وينقمون على كل من يتعلم العلوم الحديثة ويصمونه بالمروق عن الدين.وأما الطائفة الثانية فهم المتعلمون الجدد أبناء المدارس الحديثة الذين -إن عرفوا الإسلام- لم يعرفوا فيه إلا الشعائر والعبادات التي بين العبد وربه. فكلاهما توهم وجود التعارض بين القرآن والعلوم الحديثة، فنبذت الطائفة الأولى كل جديد، ونبذت الثانية الإسلام في شموله وعالميته، فكان التنازع والشقاق بين أهل الإسلام بسبب أمور متوهمة. يقول رحمه الله عن هذا التنازع : (( إن طلاب العلوم الدينية يدينون المدرسين الجدد بضعف الإيمان بسبب مسائل خاصة بالمظهر الخارجي. أما المدرسون الجدد فيسمون طلاب العلوم الدينية بالجهل نظرا للأنهم غافلون عن الفنون والعلوم الحديثة وإن هذا الإختلاف في الفكروالمنهج قد هز الأخلاقيات في المجتمع الإسلامي وخلف هؤلاء عن التقدم المدني)).[٢٣٦] وأشار إلى فئات ثلاث وهي فئة علماء

---

[٢٣٥] – نفسه

[٢٣٦] – (( العثمانيون في التاريخ والحضارة)) لمحمد حرب ص ٢٦١

الدين، وفئة المتعلمين الذين لم يفهموا الغرب حق الفهم، وفئة اصحاب التكايا ٢٣٧ . فكل فئة منغلقة على نفسها وتتهم الآخرين بالكفر وبالجهل.٢٣٨ وبسبب هذا التنازع بين أهل الإسلام فقد ثم حجب حقيقة الإسلام وهداية القرآن عن غير المسلمين، وتم حجب محاسن المدنية الحديثة عن المسلمين. يقول رحمة الله في ذلك وهو يذكرالموانع التي أدت إلى كسوف شمس الإسلام :(( أما المانع الثامن، وهو أهم الموانع والبلاء النازل، فهو توهمنا نحن والأجانب بخيال باطل وجود تناقض وتصادم بين بعض ظواهر الإسلام وبعض مسائل العلوم ...نعم إن أعظم سبب سلب من الراحة في الدنيا، وحرم الأجانب من سعادة الآخرة، وحجب شمس الاسلام وكسفها هو سوء الفهم وتوهم مناقضة الإسلام ومخالفته لحقائق العلوم... هذا الفهم الخطأ، هذا الفهم الباطل قد أجرى حكمه إلى الوقت الحاضر فألقى بشبهاته في النفوس وأوصد أبواب المدنية والمعرفة في وجه الأكراد وأمثالهم)).٢٣٩ فهذا الداء قد شق صف المسلمين وركب في نفوسهم عداء المدنية الحديثة كلها، وركب في نفوس العقلاء من غير المسلمين- خاصة أصحاب الحضارة المادية- عداء المسلمين والإزراء بالقرآن بدعوى مناقضته للمدنية الحديثة.

ولإزالة هذا الداء اجتهد رحمه الله لإصلاح نظام التعليم عند المسلمين لتسير فيه العلوم المادية والفلسفية الإنسانية في توافق وائتلاف مع القرآن الكريم والسنة النبوية. تقول ماري ويلد٢٤٠ : (( يقسم بديع الزمان تاريخ الإنسانية إلى تيارين، أحدهما تيار النبوة

---

[٢٣٧] -جمع(( تكية)) وهي رباط الصوفية. أنظر (( المعجم الوسيط)) ١ ص ٨٦.

[٢٣٨] -. أنظر (( سعيد النورسي : رجل القدر في حياة أمة )) لأورخان محمد علي ص٣٧

[٢٣٩] - ((صيقل الإسلام)) ص ٢٣-٢٤

[٢٤٠] - باحثة بريطانية متخصصة في الأدب التركي والفارسي. أسلمت عام ١٩٨١م بعدما قرأت الترجمة الإنجليزية لرسائل النور وسمت نفسها (( شكران واحدة)) . تقيم الآن في تركيا، ومن مؤلفاتها (( الإسلام والغرب ونحن))- (( مؤلف رسائل النور بديع الزمان)).

والأخر تيار الفلسفة والعلوم، ويربط كل التيارين بذات الإنسان ويصور نتائج كلا التيارين. فالنبوة التي تمثل الوحي الإلهي تخاطب قلب الإنسان، أما الفلسفة فتخاطب عقله، والهدف هو اتفاق الإثنين، أي قيام الفلسفة باتباع الدين واتباع النبوة وخدمتها، وكلما تم هذا ذاقت الإنسانية طعم السعادة وعاشت في انسجام وتناغم. وعندما يفترق أحدهما عن الآخر ينسحب الخير والنور إلى جانب النبوة، ويتراكم الشر والضلالة- كما حدث في الغرب- في جانب الفلسفة))[241] فبهذا يؤلف بين الدين والدنيا وبين العلم والقرآن، فيكون علماء الحياة والكون بمنزلة الوجهين للعملة الواحدة، لأن كل طائفة ترى الحاجة بها إلى الطائفة الأخرى، فتصلح الواحدة بالأخرى. يقول رحمه الله : (( إن الوسيلة الوحيدة للإصلاح هذا إنما تكمن في وضع العلوم الدينية في المدارس المدنية، وتدريس العلوم العلمية بدلا من الفلسفة اليونانية القديمة في المدارس الدينية، ووضع علماء متبحرين في التكايا من أجل تثقيف وتنوير طبقة الدراويش المتصوفة))[242]. فتدريس الدين في المدارس العلمية والتقنية الحديثة يعصم الطلبة من الشك والإلحاد، وتدريس العلوم الحديثة في مدارس الشريعة يعصم طلبتها من التعصب وضيق النظر، فيلتقي الفريقان على سبيل وسط. وقد بدأ النورسي بنفسه فاطلع على العلوم الحديثة، وكانت له في التدريس طريقة مختلفة عما كانت عليه في عامة المدارس الشرعية، فكان يجمع بين الوحي وبين حقائق الكون والحياة كما عرفها الإنسان من خلال وسائل البحث العلمي عبر العصور. وفي تأليفه لرسائل النور تجده يجمع بين حجة الوحي المقروء وحقيقة الحياة والكون المنظور، فكانت العلوم الحديثة تسير من وراء الوحي وتشهد لحقائقه وتؤيد أحكامه[243].

---

[241] - (( مؤلفات بديع الزمان كنموذج لتقديم الإسلام إلى الغرب)) لماري ويلد. مؤتمر بديع الزمان ص ٢٢٢-٢٢٣. النورسي - استانبول ١٩٩٢.

[242] - (( العثمانيون في التاريخ والحضارة)) ص ٢٦١

[243] - أنظر (( سعيد النورسي)) لأورخان محمد علي ص ٢٥.

وعمل طول عمره على أن يسود هذا النظام في التعليم واجتهد وسعه لإنشاء- جامعة الزهراء- يتم فيها الجمع بين علوم الدين وعلوم الدنيا، ويقرأ فيها الوحي المنزل والكون المخلوق[٢٤٤]. وقد بقيت هذه الفكرة تتجدد في عقول غير واحد من رجال الفكر الإسلامي المعاصر، فنجدها عند الأستاذ مالك بن نبي وعند الأستاذ علي عزت بيغوفيتش وغيرهما إلى أن ظهرت معالمها في بعض المؤسسات في أيامنا هذه[٢٤٥].

ولا أحد يجادل أن الشقاق بين أهل الإسلام بسبب هذه المسالة مازال شديدا، فهناك تصنيف رائج في جميع بلدان الإسلام بين (( الإسلاميين)) و (( العلمانيين)) وهو قائم على أوهام كما سبق، وإنا لنرجو أن يفتح العلمانيون عقولهم لحقائق القرآن العامة والشاملة، وأن يتخلص علماء الشريعة من التقليد وضيق الأفق وتحجير النظر، فيجدون أنفسهم جميعا يقودهم القرآن نحو الحياة الدنيا وعلومها، ونحو الآخرة ونعيمها، والتعليم والتربية هما سبيل ذلك كما قال سعيد النورسي، فدعوته مازالت قائمة، فما اشبه اليوم بالأمس.

**٢- الإستسلام لغرائز الإنسان وطبائع البشر وعدم تعهد النفس بالتربية الروحية الإيمانية** : فقد يغتر العالم بعلمه وصاحب الحق بحقه، فيبين له أنه قد استغنى عن التربية وتهذيب النفس وتعهدها بالرعاية والصيانة والتزكية، ويزعم أن ذلك إنما هو على من دونه من عامة الناس وأهل الضلالة، فيفتح الباب لغرائز الميل إلى الشر وطبائع النفس لتعمل عملها، وهي مفضية لامحالة إلى العداوة والتنازع. ولهذا تتحرك غريزة حب الظهور والتفوق على سائر الناس، لأن أهل الدين وأصحاب العلم وارباب الطرق الصوفية وظيفة كل منهم متوجهة إلى الجميع، وإن أجرتهم العاجلة غير متعينة، كما أن حظهم من المقام الإجتماعي - الذي يقوم على حظ الدنيا- وتوجه الناس إليهم والرضى عنهم لم يتخصص ايضا. (( فهناك مرشحون

---

[٢٤٤] - نفسه ص ٢٥-٢٦، ص ٢٧، ص ٥٢.

[٢٤٥] - مثل المعهد العالمي للفكر افسلامي، والجامعة العالمية الإسلامية للعلوم الإجتماعية، بالولايات المتحدة الأمريكية، والجامعة الإسلامية العالمية بماليزيا.

كثيرون لمقام واحد، وقد تمتد أيد كثيرة جدا إلى أجرة - مادية كانت أو معنوية- ومن هنا تنشأ المزاحمة والمنافسة والحسد والغيرة، فيتبدل الوفاق نفاقا والإتفاق اختلافا وتفرقا ٢٤٦. وينشأ عن ذلك الغرور والإستبداد بالرأي، (( وإذا ما كان ثمة غرور وأنانية في النفس، يتوهم المرء نفسه محقا ومخالفيه على باطل فيقع الإختلاف والمنافسة بدل الإتفاق والمحبة وعندها يفوته الإخلاص ويحبط عمله ويكون أثرا بعد عين))٢٤٧.

(( ثم يبرز إلى الميدان الإستعجال فيزيل قدم الهمة ويقلب على عقيبها بطفراته خطوات ترتب الأسباب والمسببات، فتشوش مراحل العلل التي وضعها الله سبحانه في سننه الكونية )).

أما دواء ذلك كله فهو التربية وتزكية النفس طول عمر المرء، وجماع كل هذا تربية النفس وحملها على الإخلاص فترتوي من قوله تعالى : (( إن أجري إلا على الله)) -يونس ٧٢-. وقوله عز وجل (( وما على الرسول إلا البلاغ المبين)) - النور ٥٤-، وقوله تعالى : (( كونوا قوامين لله شهداء بالقسط)) -النساء١٣٥-. ومن دوائه ايضا صحبة السالكين ومعاشرة الصالحين ٢٤٨. يقول رحمه الله : (( إن الإخلاص واسطة الخلاص ووسيلة النجاة من العذاب، فالعداء والعناد يزعزعان حياة المؤمن المعنوية فتتأذى سلامة عبوديته لله إذ يضيع الإخلاص، ذلك لأن المعاند الذي ينحاز إلى رأيه وجماعته يروم التفوق على خصمه حتى في أعمال البر التي يزاولها فلا يوفق توفيقا كاملا إلى عمل خالص لوجه الله، ثم إنه لايوفق أيضا إلى العدالة، إذ يرجح الموالين لرأيه الموافقين له في أحكامه ومعاملاته

---

[٢٤٦] - (( اللمعات)) ص ٢٢٧.

[٢٤٧] - نفسه ص ٢٢٨.

[٢٤٨] - أنظر : المصدر السابق- (( اللمعات)) ص ٢٢٧، ص٢٢٩-٢٣٠، ص٢٣٢-٢٣٣.

علـى غيـرهم، وهكـذا يضـيع اساسـان مهمـان لبنـاء البـر-الإخـلاص والعدالـة- بالخصـام والعداء)) ٢٤٩.

وأما إعماله لهذا الدواء في خاصة نفسه فيقول : "فلئن كان قبول المقامات المعنوية يفيد الشخص والمقام فائدة واحدة، فإنه يلحق ألف ضرر وضرر بالناس عامة وبالحقائق نفسها... إن حقيقة الإخلاص تمنعني من كل ما يمكن أن يكون وسيلة إلى كسب شهرة لبلوغ مراتب مادية ومعنوية... لذلك أرجح الإتصاف بالخدمة على نيل المقامات حتى أنني قلقت ودعوت الله ألا يصيب شيء ذلك الشخص الذي أهانني بغير وجه قانوني ... حيث أن المسالة انتشرت بين الناس فخشيت أن يمنحوني مقاما، فلربما يعدون حدوث شيء ما نتيجة كرامة خارقة. لذا قلت : يارب أصلح شأن هذا أو جازه بما يستحق من دون أن يكون عقابا يومئ إلى كرامة معنوية ٢٥٠.

**-٣- الإفراط في العزة وعلا الهمة، والغلو في الشعور بالقوة، وتوهم الإستغناء وعدم الحاجة إلى التأييد والمآزرة :**

إن اختلاف أهل الحق والهداية قد يكون من سوء استعمال علو الهمة والإفراط فيه، وذلك أن المرء قد يحرص على ثواب اللأخرة من أعماله، لكنه قد يتخذ وضعا منافسا لأخيه الذي هو في حاجة إلى محبته والأخد بيده (( كأن يقول -مثل- لأغنم أنا بهذا الثواب ولأرشد أنا هؤلاء الناس وليسمعوا مني وحدي الكلام، وأمثالها من طلب المزيد من الثواب لنفسه. أو يقول : لماذا يذهب تلاميذي إلى فلان وفلان؟ ولماذا لايبلغ تلاميذي عدد تلاميذه. فتجد روح الأنانية لديه- بهذا الحوار الداخلي- الفرصة سانحة لترفع رأسها وتبرز... فيفوته الإخلاص وينسد دونه بابه، بينما ينفتح باب الرياء له على مصراعيه... فحصر النظر بأن يؤخذ الدرس والإرشاد مني فقط لأفوز بالثواب الأخروي هو حيلة النفس

---

٢٤٩ – "المكتوبات" ص ٣٥٠.

٢٥٠ – (( سيرة ذاتية )) ص ٣٧٢، (( صيقل الإسلام)) ص ٣٣٢.

وخديعة الأنانية)) ٢٥١. وعدم اتفاق أهل الهداية قد يكون من عدم شعورهم بالحاجة إلى القوة بسبب توكلهم على الله عز وجل والإستسلام إليه، لكن ذلك قد يكون على غير وجهه عندما يفضي بالمرء إلى القعود عن تعاطي الأسباب، ومنها التزام جماعة المسلمين والتعاون معهم والإستزادة بهم من القوة المادية والمعنوية. ومثل أهل الهداية وأهل الضلالة في هذا كمثل الأسود والوعول، فالأسود لفرط قوتها تعيش فرادى ولا تعر بالحاجة إلى الإتفاق والإجتماع، وأما الوعول والظباء فتعيش جماعات خوفا من الذئاب. (( إن الذين ينشدون الحق لايرون وجه الحاجة إلى معاونة الآخرين لما يحملون في قلوبهم من إيمان قوي يمدهم بسند عظيم يبعث فيهم التوكل والتسليم، حتى لو احتاجوا إلى الآخرين فلا يتشبتون بهم بقوة. أما الذين جعلوا الدنيا همهم، فلغفلتهم عن قوة استنادهم ومرتكزهم الحقيقي يجدون في أنفسهم الضعف والعجز في إنجاز أمور الدنيا فيشعرون بحاجة ملحة إلى من يمد لهم يد التعاون فيتفقون معهم اتفاقا جادا لايخلوا من تضحية وفداء. وهذا فلأن طلاب الحق لايقدرون قوة الحق الكامنة في الإتفاق ولا يبالون بها ينساقون إلى نتيجة باطلة وخيمة تلك هي الإختلاف)) ٢٥٢. أما دواء هذا الداء فهو العلم بأن رضى الله لاينال إلا بالإخلاص وليس بكثرة الأتباع، فالتوفيق في العمل وتكثير الأتباع مما يتولاه الله عز وجل. والإخلاص في العمل إنما يتحقق بصدق الرغبة في إفادة المسلمين عامة أيا كان مصدر الإستفادة من كل شخص وصدر على لسان كل فريق. ويوجه الأستاذ سعيد النورسي في هذا الشأن نداء إلى أهل الحق فيقول : (( فيا من يحرص على المزيد من الثواب ولا يقنع بما قام به من أعمال للآخرة، اعلم أن الله سبحانه قد بعث أنبياء كراما وما آمن معهم إلا قليل، ومع ذلك نالوا ثواب النبوة العظيم كاملا غير منقوص. فليس السبق والفضل إذا في كثرة التابعين المؤمنين، وإنما في نيل شرف رضى الله سبحانه. فمن أنت أيها الحريص حتى

---

[٢٥١] - (( اللمعات)) ص ٢٣٠-٢٣١.

[٢٥٢] - (( اللمعات)) ص ٢٣٣-٢٣٤.

ترغب أن يسمعك الناس كلهم، وتتغافل عن واجبك وتحاول أن تتدخل في تدبيره وتقديره... أعلم أن تصديق الناس قولك وقبولهم دعوتك وتجمعهم حولك إنما هو من فضل الله يؤتيه من يشاء، فلا تشغل نفسك فيما يخصه سبحانه من تقدير وتدبير، بل أجمع همك في القيام بما أنيط بك من واجب))[253].

**٤ - غياب ميزان العقل وعدم تقدير الأمر حق قدره :**

فقد يكون العمل مطلوبا محمودا شرعا، غير أن الحاجة إلى غيره قد تكون أكبر وأعضم، وقد يعطي المرء للعمل من المكانة أكثر مما هو عليه في نفس الأمر. فما أكثر من يصرف الوقت في الأوراد والأذكار والتأمل فينسحب من الميدان ويصبح وسيلة في توهين الإتفاق وسببا في إضعاف الجماعة المسلمة. يقول رحمه الله : (( ذلك لأن المسائل التي تظنونها جزئية وبسيطة، ربما هي على جانب عظيم من الأهمية في هذا الجهاد المعنوي. فكما أن مرابطة جندي في ثغر من الثغور الإسلامية-ضمن شرائط خاصة مهمة- لساعة من الوقت قد تكون بمثابة سنة من العبادة، فإن يومك الثمين هذا الذي تصرفه في مسألة جزئية من مسائل الجهاد المعنوي ولاسيما في هذا الوقت العصيب الذي غلب أهل الحق فيه على أمرهم، أقول إن يومك هذا ربما يأخد حكم ساعة من مرابطة ذلك الجندي، أي يكون ثوابه عظيما، بل يكون يومك هذا كألف يوم))[254]. وأشار رحمه الله من ذلك أيضا إلى الوعاظ المبالغين في الترغيب والترهيب كجعل الغيبة كالقتل، وإظهار التبول وقوفا بدرجة الزنا... قال : (( إن الوعاظ الذين لايملكون موازين ويطلقون الكلام جزافا قد سببوا حجب كثير من حقائق الدين النيرة))[255].وغضب رحمه الله لذلك لما رأى أن هذا لايقتصر ضرره على المسلمين، وإنما يتعداهم إلى إبعاد الشقة أكثر بين المتدينين والعلمانيين، وبين الإسلام

---

[253] - نفسه ص ٢٣١.

[254] - نفسه ص ٢٣٦.

[255] - (( صيقل الإسلام)) ص ٤٦.

وغير المسلمين فيقول : (( أيها الظالمون الذين يحاولون جرح الإسلام ونقده من بعيد من الخارج، زنوا الأمور بالمحاكمة العقلية ولاتنخدعوا ولاتكتفوا بالنظر السطحي، فهولاء الذين أصبحوا سببا لأعذاركم الواهية في نقد الإسلام يسمون بلسان الشريعة -علماء السوء- فانظروا إلى ما وراء الحجاب الذي ولده عدم موازنتهم للأمرو وتعلقهم الشديد بالظاهر، سترون أن كل حقيقة من حقائق الإسلام برهان نير كالنجم الساطع يتلألأ على نقش الأزل والأبد))[٢٥٦]. ومرة أخرى يتألم حسرة من هذا فيقول عن نفسه : (( فإن هذا الفقير الغريب النورسي الذي يستحق أن يطلق عليه بدعة الزمان إلا أنه اشتهر دون رضاه ببديع الزمان، فهذا المسكين يستغيث ألما من حرقة فؤاده على تدني الأمة ويقول : آه... آه... وا أسفي لقد انخدعنا فتركنا جوهر الإسلام ولبابه وحصرناه في قشرة وظاهره))[٢٥٧]. ودواء هذا الداء هو الإحتكام إلى ميزان العقل والشرع معا، الذي يزن الأعمال بحسب مقاصدها وحكمها وغايتها، وبحسب مآلاتها في كل زمن بحسبه.

---

[٢٥٦] – نفسه ص ٤٨.

[٢٥٧] – نفسه ص ٢٢.

**-٥- انعدام التنظيم وقلة الضبط في الأعمال :**

وقريب من هذا الوصف ما كان عند المحدثين من التفريق بين الدين والأمانة والضبط والإتفاق فتجدهم لايكتفون بالأول دون الثاني فيقولون مثلا : فلان ثقة في دينه مغفل في حديثه، وذلك بسبب عدم ضبطه لحديثه وقلة اتقانه لعمله فيستحق الترك. فكذلك في هذا العصر تجد المرء قد بلغ الغاية في الورع والدين والأمانة، لكن فيما بينه وبين الناس وفي أمور المعاش والمعاملات لايتحرى الإتقان والكمال، فإن أتقن عملا ضيع أعمالا، وإن أتى واجبا غفل عن واجبات مثله. وتجد الفرض الواحد من فروض الكفاية يتوارد عليه أكثر من واحد، وتجد فرضا أخر ربما أعظم منه لايجد من يتولاه. وسبب ذلك في نظر سعيد النورسي هو أن أهل الحق أمامهم جبهات كثيرة متنوعة وعليهم واجبات كثيرة، منها ما هو لله تعالى ومنها ما هو للأقارب والأرحام والأبناء، ومنها ما هو للمجتمع وعامة الناس من جلب الصلاح والنفع لهم، ومنها صد كيد الأعداء ورد الشبه واتقاء الضربات الداخلية والخارجية، مع ما يجب على الفرد أولا في خاصة نفسه من التعليم والتربية الإيمانية وتهذيب النفس، فتجد المرء يحاول ذلك كله، وربما ظن أنه مستغن بنفسه، وهيهات أن يسد كل هذه أن يسد كل هذه الثغور. يقول رحمه الله (( إن اختلاف أهل الحق ليس ناشئا من فقدان الشهامة والرجولة ولا من انحطاط الهمة وانعدام الحمية.. بل إن أهل الحق وجهوا نظرهم إلى ثواب الآخرة -على الأكثر- فتوزع ما لديهم من حمية وهمة وشهامة إلى تلك المسائل المهمة والكثيرة. ونظرا لكونهم لايصرفون أكثر وقتهم الذي هو رأسمالهم الحقيقي إلى مسألة معينة واحدة فلا ينعقد اتفاقهم عقدا محكما مع السالكين في نهج الحق، حيث إن المسائل كثيرة و الميدان واسع. أما الدنيويون الغافلون فلكونهم يحصرون نظرهم حصرا في الحياة الدنيا -فهي أكبر همهم ومبلغ علمهم- تراهم يرتبطون معها بأوثق رباط وبكل ما لديهم من مشاعر وروح وقلب))[٢٥٨]. ودواء ذلك هو الإجتماع والتعاون

---

[٢٥٨] - (( اللمعات)) ص ٢٣٤-٢٣٥.

وتنظيم الأعمال، وصرف الجهد إلى ما هو أولي وما تشتد إليه الحاجة، بحسب ظروف الحال والزمان والمكان. ولهذا -إعمالا لهذا الأصل- صرف سعيد النورسي جهده إلى حفظ الإيمان على الأمة فانقطع عليه في مرحلة (( سعيد الجديد)) من حياته لما اعتزل السياسة، لأنه لا سياسة إذا ضاع الإيمان من النفوس، وأوصى طلبته بذلك. يحكي أحدهم عن أول لقاء له معه فيقول (( في أول زيارتي للأستاذ وأنا أحسبه شيخا من شيوخ الصوفية، بادرني بالقول قبل أن أتكلم بشيء : أخي أنا لست شيخا أنا إمام كالغزالي والإمام الرباني، فأنا مثلهم إمام، فعصرنا عصر حفظ حفظ الإيمان لاحفظ الطريقة))٢٥٩ ولهذا كانت رسائل النور قد وجهت لحفظ الإيمان في النفوس وتجديده في قلوب أهل عصره، وإظهار حقائق القرآن، وقد استعان في ذلك بطلبته وتعاون مع كل من هو أهل لذلك. يقول رحمه الله ((إن مهمة إيمانية جليلة بحيث تنور عالم الإسلام من جهة، وناشئة من أنوار دهاء قدسي، لاتحمل هذه المهمة على كاهل شخص واحد ضعيف مغلوب ظاهرا، يتربص به أعداء لايعدون وخصماء ألداء يحاولون التنقيص من شأنه بالإهانات. فلو حملت وتزعزع ذلك الشخص العاجز تحت ضربات إهانة أعدائه الشديدة لسقط الحمل وتبعثر))٢٦٠. وفي مسالة تعدد الجبهات ووفرة الواجبات يقول : ((والعلاج هو اتخاد المرء أحد العلوم اساسا واصلا وجعل سائر معلوماته حوضا تخزن فيه... فقد دخل أسلافنا جنان العلوم بالعمل على وفق تقسيم الأعمال))٢٦١ . وفي إشاراته في مواضيع كثيرة من رسائل النور وحثه على ضرورة ترتيب الجهات التي يتوجه إليها الجهد والعمل بحسب درجاتها ونوع أثرها، يقول كولن تورنر :(( إن من أهم نقاط ضعفنا هي أننا... وجهنا اهتماما أكثر من اللازم إلى الأمور الفرعية الثانوية وإلى مسائل من الدرجة الثانية من الأهمية بدلا من الأمور الأساسية.

---

[٢٥٩] - (( سيرة ذاتية)) ص ٥٢٤

[٢٦٠] - نفسه ص ٣٧٠.

[٢٦١] - (( صيقل الإسلام)) ص ٤٢-٤٣.

ورسائل النور أزالت عدم التوازن هذا فأعطت الأهمية الأولى لحقائق الإيمان، هذه الحقائق التي -إن توضحت- ظهرت بأن المسائل الفرعية الأخرى بأجمعها لاجدوى منها ولا خطر لها))٢٦٢.

**-٦- فشو الاستبداد وغلبة التقليد والتعصب :**

وهذا الداء يجعل المرء لا يراعي حق غيره في النظر والإجتهاد، فلا يلتفت إلى غيره ولا يهتدي إلا برأيه ولا يراعي من قد يخالفه، فلعله يكون أمكن في النظر و الإجتهاد.

((فالرأي الشخصي المستبد والتفكير الإنفرادي... يبدد أعمال الإنسان رغم أنه مكلف بفطرته برعاية حقوقه ضمن رعايته لحقوق الآخرين))٢٦٣. ومن ذلك التعصب للرجال الناشئ من فرط محبتهم والتعلق بهم بسبب ما هم عليه من الدين والورع والصلاح، مع الدين والصلاح، لايغني في مجال العلم والمعرفة عن الإتقان والضبط. فقد يكون الرجل أورع أهل زمانه وفي الوقت نفسه لايصلح أن يأخد عنه علم مخصوص لكونه ليس من أهله، أو لايصلح للعلم أصلا، فهو بمنزلة الثقة غير الضابط على اصطلاح المحدثين. ومنه أيضا التعصب للمذاهب الفقيه وعدم استحلل الخروج على المذاهب، ومن خرج عنه أو اجتهد خارجه حمل عليه في علمه وربما في دينه.وقد سبق أن سعيد النورسي قد اشتكى كثيرا من علماء عصره وساءه حالهم حتى سماهم (( علماء السوء))

فهذه خلاصة اسباب الإختلاف والتنازع التي عددها الأستاذ سعيد النورسي وذكرها في أكثر موضع من رسائله، فهي التي جعلت اهل الإسلام في عصره وما بعده إلى يومنا هذا طوائف وجماعات متنازعة تتراشق باللعن والتجريح، فتجد الشيعة وأهل السنة، وتجد

---

[٢٦٢] - (( التجديد وبديع الزمان)) كولن تورنر. المؤتمر العالمي حول بديع الزمان ص ٢١١ النورسي - استامبول ١٩٩٢م

[٢٦٣] - (( صيقل الإسلام)) ص ٤٣٣.

العلمانيين والفقهاء المقلدين والطرق الصوفية، وأهل الظاهر. ومازال الوضع على ذلك إلى يومنا هذا وإن كان قد زيد في بعض التسميات والمصطلحات والنعوت،أما الطوائف والتوجهات فهي نفسها. فنجد الصوفية والسلفية ونجد العلمانيين والإسلاميين، ونجد التنظيمات الإسلامية أو الحركات الإسلامية. وليس سرا أفشيه إذا قلت إن الصراع بيننا قد يصل احيانا إلى درجة التفكير، وإن كثيرا منا يدعي الحق بجانبه والصواب قاصر عليه ويتخد غيره موضعا للسخرية وخطل الرأي، ومنا من ليس له من الجهد والعمل إلا الرد على غيره وتسفيه رأيه، وقد يكون ذلك في بعض ما يقبل الخلاف والنظر ولا يمكن القطع فيه برأي فتجد المسلم يحذر المسلم من المسلم، وما ذلك إلا لأنه خالفه في الرأي والإجتهاد. وكفى بذلك دليل على أن هذا الوضع ليس سليما قطعا. وإنما أوردنا ذلك بقصد الإصلاح وتجاوز هذا الوضع الذي أضعف قوة المسلمين وجعلهم لقمة سائغة لخصومهم الذين لايكفون عن إثارة المحن وبعث العداوة بين هذه التوجهات فيضربون بعضها ببعض. وهذا أمر واقع مشاهد وليس أمرا مظنزنا أو متوهما. وقد اجتهد الأستاذ سعيد النورسي رحمه الله طول عمره لمداواة هذا الداء فكان كلما ذكر علة من العلل اتبعها بدوائها. فداء توهم التعارض بين القرآن والعلم وبين الاسلام والتحديث جعل له دواء إصلاح التعليم والجميع بين علوم الوحي وعلوم الكون والحياة، وأما داء الإستسلام لطبائع النفس البشرية فجعل له التربية وتعهد النفس بالتزكية وتجديد الإيمان. وجعل لداء توهم الإستغناء وعدم الحاجة إلى المآزرة وعدم تقدير الأمور حق قدرها، -جعل له- الإحتكام إلى ميزان العقل المهتدي بالشرع الذي يأخذ في الإعتبار أحوال الزمان والمكان وحكم التصرفات ومآلات الأعمال. أما انعدام الضبط والتنظيم فجعل له ضرورة التخصص وتقسيم الأعمال وترتيبها بحسب درجة الوجوب ودرجة الحاجة. فهذه الخطوات كلها يجب على كل مسلم القيام بها في خاصة نفسه، وتتاكد خاصة على أهل العلم وكل من يرجع إليه ويهتدى برأيه. ولم يكتف الأستاذ سعيد النورسي بهذا وإنما حرر قواعد شرعية وضوابط واقعية جعلها دستورا

يتفق عليه كل من انتسب إلى الإسلام ولا ينكرها من أنصف ونظر بعين العقل وتجرد عن الهوى ونزعات النفس.

**-٢- الأسس النظرية للوحدة الفكرية :**

وهي قواعد أنزلها الله عز وجل في كتابه وذكرها الرسول صلى الله عليه وسلم في سنته ورسخها في جهاده لتبليغ رسالة ربه، فلا يسع أحدا من أهل الاسلام إلا التسليم بها وحفظها في صدره واستيعابها بعقله وقلبه. ومن حفظ هذه القواعد وعقلها عرف أن الروابط التي تجمع أهل الإسلام أعظم وأكبر من أن تنال منها الخلافات النظرية وأن تؤثر فيها نزاعات النفس البشرية. ومن هذه الأسس ايضا قواعد تشهد بصحتها العقول السليمة وترشد إليها حقائق الزمان وتقلبات الحياة الإنسانية كما تبدو للعقل على امتداد الزمان والمكان. فهذه الأسس يقرها الوحي المعصوم وتقبلها العقول السليمة. وإن استحضارها وإعمالها لقادر على أن يوحد بين عقول المسلمين ويقرب بين أفكارهم ويؤلف بين قلوبهم ويجمع جهدهم واجتهادهم على اختلاف افكارهم وتنوع أنظارهم، وقادر أيضا على أن يرسخ روابط الحوار والتعاون النافع المحمود بين المسلمين وغيرهم، خاصة مع عقلاء البشر وذوي الحكمة منهم الذين لاتخلو منهم أمة من أمم البشر. ويمكن تصنيف هذه الأسس إلى أسس شرعية واسس عقلية، وإنما هو تصنيف منهجي لأن الأسس الشرعية يؤيدها العقل، والأسس العقلية حاضرة في الأسس الشرعية ومعللة بها.

**١- الأسس الشرعية :** والمقصود بها ما ثبت على جهة القطع وتواردت عليه أيات الذكر الحكيم وشهدت به السنة القولية والعلمية، من وجوب حفظ حرمة كل صدق فيه وصف الإسلام في دمه وماله وعرضه، ووجوب حفظ أخوة الإسلام، والتعاون بين المسلمين ونبذ الصراع والشقاق. وقد سمى الأستاذ سعيد النورسي هذه الآيات والأحاديث دساتير، للإشارة إلى أنها فوق الجميع وأنها أسمى وأعظم من أن تمتد إليها المراجعة أو التبديل، وأن أعمال جميع المسلمين يجب ألا تخرج عنها، فهي الضابط الأعلى والقانون

الأسمى، فليس هناك حالة استثناء يحل فيها الخروج عليها. وهذه الدساتير هي : قول الله تعالى : (( **إنما المؤمنون إخوة فأصلحوا بين أخويكم)) -الحجرات ١٠-**

- قوله عز وجل : (( **ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم)) -الأنفال٤٦-**
- قوله تعالى : **((وتعاونوا على البر والتقوى)) -المائدة ٢-**
- قوله عز وجل : (( **وقوموا لله قانتين)) -البقرة-٢٣٨-**
- قول الله تبارك وتعالى : **((ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا)) -البقرة ٤١-**
- قوله عز وجل : **((إن أجري إلا على الله)) -يونس٧٢-**
- قول الله تعالى : **((وما على الرسول إلا البلاغ المبين)) -النور٥٤-**
- قول الرسول صلى الله عليه وسلم : (( **المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)).**

ولا يخفى على أحد أن الآيات والأحاديث في هذا المعنى كثيرة، وكلها توجب التعاون وتمنع التنازع والشقاق. والخطاب في ذلك يشمل عامة المسلمين وفيهم أهل المعاصي وكل من لايصح تجريده من وصف الإسلام. فوجود الفساق وأهل المعاصي لايحل بحال أن يكون سببا للشقاق والتنازع، وكذلك وجود الإختلاف في النظر والإجتهاد. وقد عقد سعيد النورسي مبحثا في المكتوب الثاني والعشرين من المكتوبات لهذه المسألة وصدره بهذه الدساتير القرآنية فقال : (( المبحث الأول يدعو أهل الإيمان إلى الأخوة والمحبة... بسم الله الرحمان الرحيم **((إنما المؤمنون إخوة فاصلحوا بين أخويكم)) الحجرات-١٠-))٢٦٤**. ويلاحظ أن هذه الايات والأحاديث التي جعلها النورسي دساتير لا تخرج عن مسالتين إثنثين هما وجوب الوحدة والتعاون ووجوب حفظ الإخلاص وصيانته. وما ذلك إلا لأن عمل العقل وعمل النفس لايستغنى بأحدهما عن الآخر، لأن العقل قد يقر وجوب التعاون لكن عمل النفس قد يشوش على ذلك. وتربية النفس على الإخلاص هي العاصم من ذلك، يقول رحمه الله : (( فلا مناص لنا إلا بذل كل ما في وسعنا من جهد

---

[٢٦٤] - (( المكتوبات)) ص ٣٣٩

وطاقة كي نظفر بالإخلاص فنحن مضطرون إليه... إذ لو لم نفز به لضاع منا بعض ما كسبناه من الخدمة المقدسة... حيث نكون ممن يشملهم النهي الإلهي وتهديده الشديد في قوله تعالى (( **ولا تشتروا بآياتي ثمنا قليلا**)) بما أخللنا بالإخلاص فأفسدنا السعادة الأبدية لأجل مطامع دنيوية ... إرضاء لمنافع جزئية تافهة أمثال الإعجاب بالنفس والرياء ونكون أيضا من المتجاوزين حقوق إخواننا في هذه الخدمة...))٢٦٥. فإذا تمحص الإخلاص أثمرت دساتير الوحدة والتعاون، فينتبه العقل إليها كما قال الأستاذ النورسي : "فلأن طلاب الحق لايقدرون قوة الحق الكامنة في الإتفاق ولايبالون بها ينساقون إلى نتيجة باطلة وخيمة هي الإختلاف ... وطريق النجاة من هذا الواقع الباطل الأليم والتخلص من هذا المرض الفتاك مرض الإختلاف الذي الم بأهل الحق هو اتخاد النهي الالهي في الآية الكريمة ((**ولاتنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم**))- **الأنفال٤٦**- واتخاد الأمر الرباني في الآية الكريمة (( **وتعاونو على البر والتقوى**)) -**المائدة٢**- دستورين للعمل في الحياة الإجتماعية))٢٦٦. ويوجه النداء إلى أهل الإيمان : (( أيها المؤمنون إن كنتم تريدون حقا الحياة العزيزة وترفضون الرضوخ لأغلال الذل والهوان، فأفيقوا من رقدتكم وعودوا إلى رشدكم وادخلوا القلعة الحصينة المقدسة (( **إنما المؤمنون إخوة**))-**الحجرات١٠**- وحصنوا أنفسكم بها من ايدي أولئك الظلمة الذين يستغلون خلافاتكم الداخلية... فيا معشر أهل الإيمان إن قوتكم تذهب أدراج الرياح من جراء الذل والهلاك. فإن كنتم حقا مرتبطين بملة الإسلام فاستهدوا بالدستور النبوي العظيم ((المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا)) وعندها فقط تسلمون من ذل الدنيا وتنجون من شقاء الآخرة))٢٦٧. ولا شك أن استحضار هذه الدساتير يوقظ عقول أهل الإسلام للإجتماع والتآزر ولو اختلفت اجتهاداتهم وأنظارهم. ومن عرف هذه الدساتير

---

[٢٦٥] - (( اللمعات)) ص ٢٤١. وانظر منه ايضا ص ٢٢٧.

[٢٦٦] - (( اللمعات)) ص ٢٣٤.

[٢٦٧] - (( المكتوبات)) ص ٢٥٠.

من المسلمين فلم يسع لمآزرة أهل الإسلام جميعا- ولو كانوا يخالفونه في بعض الإجتهادات- فإما أنه قد ذهب عقله أو أن شهوات النفس حجبت نور عقله، فلينظر أي الوصفين يصدق عليه.

**-٢- الأسس العقلية :**

وهي حقائق كونية واقعية يدل عليها تعاقب الزمان واستقراء أحوال البشر عبر الزمان والمكان وهي :

١- إن الإجتماع والتعاون في هذا العصر ضرورة حياة للمسلمين، فهم في غاية القلة والضعف والفقر وأعداؤهم على قوة ومنعة، ويحيطون بهم من كل جانب يسومونهم سوء العذاب ويلقون بالشبهات لصرف قلوب أبنائهم عن الإسلام[٢٦٨]. فهل يستجير العاقل منهم أم يصرف جهده لتتبع عثرات إخوانه ويجتهد لحمل الناس على التزام المندوبات والمستحبات أو حتى بعض الواجبات المختلف فيها بين المجتهدين، أو يعلن الحرب على المسلمين لأنهم مبتدعة والعدو يعلن الحرب على الجميع؟ فبداهة العقل تفرض الإجتماع والتعاون وإلا -كما يقول سعيد النورسي- (( تعجزون عن الدفاع عن حقوقكم بل حتى عن الحفاظ على حياتكم إذ لايخفى أن طفلا صغيرا يستطيع أن يضرب بطلين يتصارعان، وأن حصاة صغيرة تلعب دورا في رفع كفة ميزان وخفض الأخرى ولو كان فيهما جبلان متوازنان...))[٢٦٩]. (( إن هذا الزمان زمن الجماعة، فلو بلغ دهاء الأشخاص فردا فردا حد الخوارق، فلربما يغلب تجاه الدهاء الناشئ من شخص الجماعة المعنوي... إن مهمة إيمانية جليلة... لاتحمل هذه المهمة على كاهل شخص واحد ضعيف مغلوب ظاهرا، يتربص به أعداء لايعدون وخصماء ألداء يحاولون التنقيص لسقط الحمل وتبعثر))[٢٧٠]. فبداهة العقل

---

[٢٦٨] – أنظر ((اللمعات)) ص ٢٤١.

[٢٦٩] – (( المكتوبات)) ص ٣٥٠.

[٢٧٠] – (( سيرة ذاتية)) ص ٣٧٠.

تقتضي أن الاجتماع والتعاون قوة وأن الإختلاف والشقاق ضعف وعجز، وأن المسلمين (( بحاجة ماسة بل مضطرون إلى الإتحاد والتساند التام وإلى الفوز بسر الإخلاص الذي يهيئ قوة معنوية بمقدار ألف ومائة وأحد عشر -١١١١- ناتجة من أربعة أفراد... هناك شواهد ووقائع تاريخية كثيرة جدا أثبتت أن ستة عشر شخصا من المتآخين المتحدين المضحين بسر الإخلاص التام تزيد قوتهم المعنوية وقيمتهم على أربعة آلاف شخص...))٢٧١. ويزيد الأستاذ سعيد النورسي هذه الحقيقة بيانا بالوقائع والشواهد والأمثلة من واقع الناس وحياة البشر. ((فأرباب الدنيا قد اتخدوا الإشتراك في الأموال والتعاون في المنافع والمصالح العاجلة رائدا لهم فكسبوا قوة هائلة وانتفعوا منها نفعا عظيما، ذلك لأن ماهية الإشتراك لاتتغير بالمساوئ والأضرار التي فيها لأن كل شخص وفق هذه القاعدة يحسب نفسه بمثابة المالك لجميع الأموال وذلك من زاوية مشاركته في المال من جهة مراقبته وإشرافه عليه، برغم أنه لايمكنه أن ينتفع من جميع الأموال. وعلى كل حال فإن هذه القاعدة إذا دخلت في الأعمال الأخروية فستكون محورا لمنافع جليلة بلا مساوئ ولاضرر))٢٧٢. ويستطرد رحمه الله في ضرب الأمثلة الحسية والواقعية التي لا يمكن للعاقل إلا التسليم بها وبما سيقت من أجله، منها قوله : ((اشترك خمسة أشخاص في إشعال مصباح زيتي، فوقع على أحدهم إحضار النفط وعلى الآخر الفتيلة وعلى الثالث زجاجة المصباح ... فعندما أشعلوا المصباح كل منهم مالكا لمصباح كامل ... وهكذا الأمر في الإشتراك في الأمور الأخروية بسر الإخلاص...))٢٧٣.

---

[٢٧١] - ((اللمعات)) ص ٢٤٣.

[٢٧٢] - نفسه ص ٢٤٨.

[٢٧٣] - نفسه ص ٢٤٨-٢٤٩.

(( إن هـذا الزمـان-لأهـل الحقيقـة- زمـان الجماعـة، ولـيس زمـان الشخصـية الفرديـة وإظهار الفردية والأنانية. فالشخص المعنوي الناشئ من الجماعة ينفد حكمه ويصمد تجاه الأعاصير))٢٧٤.

٢- إن قيم الرحمة الإنسانية والرفق التي زكاها الإسلام تحمل المسلمين على مد جسور الحوار والتعاون مع عامة البشر خاصة أهل الحكمة والأبرياء. ولقد استخلصت هذه القاعدة من وقفة للأستاذ سعيد النورسي يتامل فيها البشر وتقلبات الزمان وظروف الدهر وخطوبه، فقد استوقف عقله حال الأبرياء من الكفار الذين لاناقة لهم ولا جمل فيما يقترف الظالمون، وما مصيرهم في ما يصيبهم من البلايا والمصائب. ووقفته هذه قد لايوافق البعض أو الكثير منا على ما قاله فيها، غير أنه مهما كان الأمر فإنها صالحة لما سقناها من أجله. يقول رحمه الله : (( لقد مس مسا شديدا مشاعري واحاسيسي المفرطة في الرافة والعطف ما أصاب الضعفاء المساكين من نكبات وويلات ومجاعات ومهالك من جراء هذه الطامة البشرية التي نزلت بهم... ولكن على حين غرة نبهت إلى أن هذه المصائب وأمثالها ينطوي تحتها نوع من الرحمة والمجازات -حتى على الكافر- بحيث يهون تلك المصيبة، فتظل بسيطة بالنسبة إليهم، وأصبح هذا التنبيه مرهما شافيا لإشفاقي المؤلم على الأطفال والعوائل في أوربا وروسيا ... نعم إن الذين نزلت بهم هذه الكارثة العظمى -التي ارتكبتها الظالمون- إن كانوا صغارا وإلى الخامسة عشرة من العمر فهم في حكم الشهداء من أي دين كانوا، فالجزاء المعنوي العظيم الذي ينتظرهم يهون عليهم تلك المصيبة. أما الذين تجاوزا الخامسة عشرة من العمر فإذا كانوا أبرياء مظلومين فلهم جزاء عظيم ربما ينجيهم من جهنم، لأن الدين-ولا سيما الإسلام- يستر بستار الامبالاة في آخر الزمان... وقد بلغتني من الحقيقة أن تلك النكبات كفارة بحقهم من الذنوب المتأتية في سفاهات المدنية وكفرانها بهذه النعم ومن ضلالات الفلسفة، وبهذا وجدت السلوان والعزاء من ذلك الألم

---

[٢٧٤] - (( سيرة ذاتية)) ص ٣١٣.

المعذب النابع من العطف المتزايد فشكرت الله شكرا لا نهاية له))٢٧٥. فإذل كان هذا هو ما استقر عليه من حال هؤلاء في الآخرة، فبالأولى أن يستقر على مآزرتهم والتعاون معهم في القيم الإنساسية، ومنهم ذوو الرأي والحكمة والعقل.٣٢٧٦- إن الإيمان بالله تعالى الذي هو أصل الحقائق وأم الحقيقة يحمل المسلمين على التعاون مع من يشارك في هذه الحقيقة أو يقترب منها. ولهذا فإن هذا الأستاذ سعيد النورسي يدعو إلى إقامة العلاقات بين المسلمين وغيرهم على القيم الإنسانية المشتركة، والإيمان بالله على رأس هذه القيم المشتركة. فعلى هذا الأساس يمكن للمسلمين أن يتعاونوا مع أهل الكتاب لصد خطر الالحاد وما ينتج عنه من التحلل من الأخلاق والقيم. فأهل الكتاب اقرب إلى المسلمين من أهل الإلحاد، ورأيهم واحد في هذا العدو فما الذي يمنع من اجتماعهما على هذا الأصل، وخاصة مع النصارى لأنه قد ورد في الحديث أن الدين الحقيقي لسيدنا عيسى عليه السلام سيحكم -في آخر الزمان- ويتكاثف مع الاسلام. فيمكن القول بلا شك أن ما يكابده المظلومون النصارى المنتسبين إلى سيدنا عيسى عليه السلام والذين يعيشون الآن في ظلمات تشبه ظلمات -الفترة- وما يقاسونه من الويلات تكون بحقهم نوعا من الشهادة، ولا سيما الكهولا وأهل النوائب والفقراء والضعفاء والمساكين الذين يقاسون النكبات والويلات تحت قهر المستبدين والطغاة الظالمين))٢٧٧. فهذه هي نظرة الأستاذ سعيد النورسي إلى علاقة المسلمين يغيرهم، فهي تقوم على تصنيف غير المسلمين على مراتب بحسب الأقرب فالأقرب، والمعيار هو الإقرار بالدين والتدين أو إنكاره أصلا، والقيم المشتركة مثل حماية المستضعفين ومعاونة المحتاجين وكف الأذى عن المظلومين. ومن الأصول الشرعية المؤيدة لهذا قوله تعالى : **((ألم غلبت الروم في أدنى الأرض وهم من بعد**

---

[٢٧٥] - (( سيرة ذاتية)) ص ٣١٢.

[٢٧٦] - نفسه ص ٣١٣.

[٢٧٧] - (( سيرة ذاتية)) ص ٣١٢.

**غلبهم سيغلبون في بضع سنين لله الأمر من قبل ومن بعد ويومئد يفرح المؤمنون بنصر الله ينصر من يشاء))** -**الروم-١-٢**-. فسمي نصر الروم نصر الله وأقر المسلمين على فرحهم به، وما ذلك إلا لقرب الروم إلى المسلمين من الفرس لأنهم نصارى أهل كتاب والفرس أهل إلحاد. ومنه قوله تعالى : ((**قل يأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم ألا نعبد إلا الله ولا نشرك به شيئا ولا يتخد بعضنا بعضا وأربابا من دون الله، فإن تولوا فقولوا أشهدوا بأنا مسلمون))** -**آل عمران**- وقوله تعالى : (( **ولا تجادلو أهل الكتاب إلا بالتي هي أحسن))**. وقوله عز وجل : (( **لتجدن أشد الناس عداوة للذين أمنوا اليهود والذين أشركوا، ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى))** -**المائدة**- ومنه أيضا حضور الرسول صلى اللعه عليه وسلم حلف الفضول في دار عبد الله بن جدعان وقوله (( **لو دعيت إليه في الاسلام لأجبت))**. وذلك للأن فيه تعاونا على حماية المظلومين. يقول صفاء مرسل وهو يحكي آراء الأستاذ النورسي : (( فالأمم المنتسبة إلى الدين المسيحي والأمم المنتسبة إلى الدين الإسلامي يجب أن يتعاونا ضد الإلحاد وما ينتج عنه من التردي الأخلاقي والسياسي، ويعد هذا حجر الزاوية في آراء بديع الزمان يقسم العلاقات بين النظم المختلفة والتكثلات السياسية المختلفة إلى قسمين : أحدهما العلاقات الموجودة بين أمم الجامعة الإسلامية نفسها والآخر هو العلاقات الموجودة بين العالم الإسلامي وبين الأمم المنتسبة إلى عقائد أخرى وأفكار أخرى فبديع الزمان. ويقسم بديع الزمان العلاقات مع الأوساط غير الإسلامية إلى قسمين، ويأخد أيضا الدين كقسطاس في هذا القسم. فقد ميز بين الأمم المنتسبة إلى أحد الأديان والتي تحترم العقائد من أهل الكتاب وبين الأمم التي لاتؤمن بأي دين وتعادي الفكرة الدينية))[٢٧٨]. وعلى هذا الأساس ايضا يأتي تقويم الأستاذ سعيد النورسي للفكر الغربي الأوربي، فهو لايصفه بالخطأ والضعف والإضطراب بإطلاق

[٢٧٨] - (( سلوك بديع الزمان النورسي في العلاقات بين النظم والكتل السياسية)) لصفاء مرسل. المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي اسطانبول ١٩٩٢.

وإنما يصنف ويرتب بحسب القرب من الإسلام ومن القيم الإنسانية التي هي من مقاصد الاسلام فيقول : ((ولئلا يساء الفهم، إن الغرب -أوربا- إثنان وخطابي في هذه المحاورة ليس موجها إلى ذلك الغرب النافع للبشرية بما استفاده من النصرانية والحضارة الإسلامية فانتفعت الحياة الإجتماعية البشرية بصناعته وعلومه، وإنما أخاطب الغرب الثاني وذلك الغرب الذي تعفن وفسد بظلمات الفلسفة المادية))٢٧٩. فروابط الإيمان بالله وإقرار الدين والتدين والعمل من أجل القيم الإنسانية تكفي لتعاون المسلمين مع غير المسلمين في ما يشترك فيه الفريقان.

فهذه هي الأسس والقواعد النظرية التي حررها بديع الزمان النورسي لبناء الوحدة الفكرية بين أهل الإسلام. فالأسس الشرعية من الكتاب والسنة توجب عليهم التعاون والتآزر، ونوائب هذا الزمان وحالهم في هذا العصر تحملهم بالقوة -إن أرادوا أداء الأمانة التي حملوها- علة نبذ اسباب الخلاف والشقاق وتوجيه الجهود إلى القضايا الكبرى للمسلمين في العصر الحاضر، وبداهة العقول تدفعهم إلى ذلك دفعا. أما فيما بين المسلمين وغيرهم من النحل فإن روابط الإقرار بدين سماوي ونبد الإلحاد، والإيمان بالقيم الخلقية والإنسانية الموجودة في أمم كثيرة تحمل على مد جسور الحوار والتعاون معها.

### ٣- الأسس العملية للوحدة الفكرية :

لقد سبق أن الأسس النظرية هي قواعد شرعية وعقلية تبين مكانة التآزر وفائدة التعاون وما ينشأ عن الإختلاف والتدابر من العجز والضعف. فإذا استوعب أهل الإسلام هذه القواعد فقد خلصت نياتهم لنبذ الخلاف وتأهبت قلوبهم وعقولهم للتعاون والتآزر:

---

٢٧٩ - (( الحركات الاسلامية الحديثة في تركيا)) لأحمد نوري النعيمي ص ٨٨ .(دار البشير ١٩٩٢).

فيتم بذلك الإستعداد النفسي. لكن مع ذلك فإن تدافع الأفكار واختلاف الأفهام لن يتوقف، فكيف السبيل إلى ضبط هذا الخلاف؟ تم إن هذه الأسس النظرية لايمكن أن يقف عندها جميع أهل الإسلام بلا استثناء وإنما سيوجد -ولابد- من يخرج عنها المرة بعد المرة إما بقصد أو بغير قصد، فكيف العمل مع أمثال هذا؟.

تأتي الأسس العملية كما وضعها الأستاذ سعيد النورسي لضبط ذلك ولتبين منهج التعامل مع المخالف في الرأي والنظر، ولتمنع من نشوء الفوضى بسبب اختلاف النظر والإجتهاد، ولتبين منهج التعامل مع من يخالف أسس الوحدة الفكرية ويخرقها. ويمكن جمع هذه الأسس العملية في المسائل الآتية :

١- جعل الإختلاف في النظر والإجتهاد سببا لإظهار الحق وازدهار المعرفة وثراء الفكر الإسلامي. ذلك أن جمع المجتهدين على رأي واحد فيما ليس موضعا للقطع لن يتأتى ابدا، ولا يظن ذلك إلا من جهل خصائص الشريعة وموارد أدلتها، وجهل حقيقة الحياة وطبائع البشر. وإنما الواجب على أهل الحق أن يجعلوا اختلافهم اختلافا محمودا وهو الذي سماه سعيد النورسي الإختلاف الإيجابي البناء المثبت وذلك بأن يسعى إلى مسالك المخالفين له ولا الطعن في نظرهم، لأنهم وإن خالفوه في النظر والإجتهاد فلعلهم نظروا إلى ما لم ينظر إليه ونظر هو إلى ما لم ينظروا إليه. فليكن إذا غرض كل واحد هو إكمال النقص. ثم إن الفريقين وإن اختلفا هنا فإن ما يجمع بينهما أكبر من ذلك، وهما قبل ذلك وبعده متفقان على الأسس والغايات المقطوع بها. يقول سعيد النورسي : (( إن تصادم الآراء ومناقشة الأفكار لأجل الحق وفي سبيل الوصول إلى الحقيقة إنما يكون عند اختلاف الوسائل مع الإتفاق في الأسس والغايات، فهذا النوع من الإختلاف يستطيع أن يقدم خدمة جليلة في الكشف عن الحقيقة لأجل أغراض شخصية وللتسلط والإستعلاء وإشباع شهوات

نفوس فرعونية ونيل الشهرة وحب الظهور، فلا تتلمع بارقة الحقيقة في هذا النوع من بسط الأفكار...))[٢٨٠].

فالواجب إذا هو الحرص على الإتفاق ما أمكن فإن تعذر ذلك بسبب اختلاف النظر والإجتهاد فليعرض كل رأيه وما أدى إليه اجتهاده بعد أن تحرى الصواب وزكى نفسه من النوازع والشهوات، ولكن ليس له أن ينال من اجتهاد المخالف له بالتنقيض أو الطعن والتجريح وإنما يبقى الإحتمال قائما لخطأ رأيه وصواب رأي غيره. يقول الأستاذ سعيد النورسي : ((عندما تعلم أنك على حق في سلوكك وأفكارك يجوز لك أن تقول : مسلكي حق أو هو أفضل، ولكن لايجوز لك أن تقول : إن الحق هو مسلكي أنا فحسب. لأن نظرك الساخط وفكرك الكليل لن يكون محكما ولاحكما يقضي على بطلان المسالك الأخرى، وقديما قال الشاعر :

**وعين الرضا عن كل عيب كليلة ولكن عين السخط تبدي المساويا))[٢٨١].**

فتجريح المخالف بسبب المخالفة في الإجتهاد حرام، قد يكون غيبة وقد يكون بهتانا. وقد عمل النورسي رحمه الله بهذا المنهج. فقد كان كثير من علماء عصره يخالفونه في كثير من القضايا، لكنه ما نطق بتجريح ولا تنقيص لواحد منهم. من ذلك مثلا عدم موافقته لبعضهم في ما ذهبوا إليه من أن السير في بعض أمور الحياة على النمط الغربي لاحرج فيه ولو كان مخالفة صريحة للشرع وذلك تمسكا بقاعدة الضرورات تبيح المحظورات. لكنه ما نطق بتجريح ولاتنقيص، ولما تمت محاجته في ذلك أجاب جواب العالم الورع فأورد أدلته على خطأ هذا المذهب بأدب من غير تعنيف ولا تحقير ولا تهييج للمخالف. قال وهو يحكي ذلك : (( أرسل إلي قائد عام عددا من الضباط وحتى بعض العلماء الأئمة من أجل

---

٢٨٠ - (( المكتوبات)) ص ٣٤٧.

٢٨١ - نفسه ص ٢٤٢-٢٤٣.

أن يعيدوني شيئا إلى الأمور الدنوية، فقالوا نحن الآن مضطرون أي أننا مضطرون في تقليد بعض الأصول الأوربية وموجبات المدنية حسب القاعدة المعروفة -أن الضرورات تبيح المحظورات-، قلت لهم : إنكم منخدعون تماما لأن الضرورة النابعة من سوء الإختيار لاتبيح المحظورات فلا يجعل الحرام بمثابة الحلال ... فمثلا إذا سكر شخص بسوء اختياره بشربه الحرام تم اقترف جريمة وهو سكران فإن الحكم يجري عليه ولا يكون بريئا بل يعاقب ... وهكذا قلت للقواد والأئمة أي الأمور لاتعد ضرورية مما سوى الأكل والعيش، فالأعمال النابعة من سوء الإختيار والميول غير المشروعة لاتكون عذرا كجعل الحرام حلالا... وحتى القانون الإنساني قد أخذ هذه الأمور بنظر الإعتبار وميز بين الضرورة القاطعة غير الداخلة ضمن إطار الإختيار والأحكام الناشئة من سوء الإختيار. إلا أن القانون الإلهي قد فرق بينهما بشكل أساسي وثابت راسخ ومحكم))٢٨٢. فأقام الحجة لمذهبه على مذهب غيره بأدلة علمية من غير تعرض لشخص المخالف ولا لحاله ولا وصفه بالنعوت المجرحة المثيرة لهوى النفوس وما جبلت عليها من الأنفة وحب الظهور. وزاد على ذلك فأوصى طلبته بذلك فقال : ((إخواني لاتهاجموا بعض العلماء الذين ظنوا بعض الحاجات العصر ضرورة وركنوا إلى البدع. لاتصادموا هؤلاء المساكين الذين ظنوا الأمر ضرورة بدون علم وعملوا وفقها. ولهذا فنحن لا نستعمل قوتنا في الداخل، فلا تتحرشوا بهم وإن كان المعارضون لنا من العلماء الأئمة))٢٨٣.

### ٢- العبرة بالأفكار وليس بالأشخاص :

---

[٢٨٢] – (( سيرة ذاتية)) ص ٤٧٠-٤٧١.

[٢٨٣] – نفسه ص ٤٧١.

ا] أن الميزان الذي به توزن الأقوال ويعرف الصواب من غيره ليس هو شخص القائل، فترى الحق والعلم بالرجال فتكون الرجال حجة على الحق، فنقول الحق كذا لأن فلانا قاله، أو ما دام هذا المذهب مذهب فلان فهو خطأ. فالنظر يكون إلى الأفكار في ذاتها من غير أن يؤثر شخص القائل في التقويم من جهة الصحة والخطأ. ولقد كان سعيد النورسي يحث طلبته على ضرورة النظر إلى ما أودعه من الأفكار في (رسائل النور) وألا يلتفتون إلى شخصه. ولما كان طلبته يعدون لإخراج كتاب (تاريخ حياة الأستاذ) صمم أحدهم أن توضع في غلاف الكتاب صورة الأستاذ سعيد النورسي وهو يضع الأستاذ حجر الأساس لجامع توغاي في أسبارطة فلما عرض الغلاف على الأستاذ غضب وقال :(( ما هذه الصورة؟ أنتم تهتمون بشخصيتي أكثر مما أستحق، فأنا أعد الإهتمام والإحترام لشخصي إهانه لي، إنكم بذلك تتعلقون بي وليس برسائل النور-المرتبطة بالقرآن-فأنا لا أحب نفسي ... إنني لا شيء أنا عدم فلا تنتظروا مني شيئا من الخوارق. وبعد ذلك مزق الصورة المرسومة على الغلاف ورماها في سلة المهملات))[٢٨٤].

ويدخل في هذا الأصل ايضا عدم التعيين ولكف عن ذكر الأسماء وتسمية الأشخاص عند تصحيح الأفكار ومناقشتها والرد عليها.فإذا تعين الرد عليها والتصحيح فليكن الرد على الأفكار وليس على الأشخاص، فيتم عرض الأفكار كما هي من غير نسبتها على التعيين، وذلك لقطع طريق نزعات النفس عند هذا المخالف وليبق اقرب إلى الإنصاف. وقد كان هذا منهج الأستاذ سعيد النورسي ويظهر ذلك واضحا في (رسائل النور). ففي أحيان كثيرة يناقش الأفكار ويحلل في صيغة سؤال وجواب، كأن يقول مثلا : فإن قيل كذا وكذا، فالجواب كذا وكذا. مثال ذلك قوله (( قيل لقد ورد في حديث شريف - اختلاف أمتي رحمة- والإختلاف يقتضي التفرق والتحزب والإعتداد بالرأي ... الجواب

---

[٢٨٤] - (( سيرة ذاتية )) ص ٥٣٩.

... أن الإختلاف الوارد في الحديث هو الإختلاف الإيجابي البناء المثبت...))٢٨٥. وهذه الأسئلة التي يوردها إنما هي أفكار متداولة في عصره، بل إن (رسائل النور) في جملتها رد على معظم المذاهب والأفكار المتداولة في عصره خاصة أفكار العلمانية والمتصوفة وبعض علماء عصره، ومع ذلك فإنه لا يذكر الأشخاص ولا يعين المقصود بالرد والتصحيح. وعندما يحكي كلاما عن عالم من علماء عصره أو حادثة عنه في سياق الرد والتخطئة فإنه يأتي به في الغالب مبهما مثل قوله : (( كان أحد اصدقائنا السابقين يحمل في قلبه ضغينة وعداء نحو شخص معين، وعندما أثني على هذا الشخص أمامه في مجلس وقيل في حقه أنه رجل صالح وأنه ولي من أولياء الله، رأينا أن هذا الكلام لم يثر فيه شيئا فلم يبد ضيقا من الثناء على عدوه، ولكن عندما قال أحدهم أنه قوي شجاع رأيناه قد انتقض عرق الحسد والغيرة لديه...))٢٨٦.

يقول أحمد نوري النعيمي وهو يبين المنهج المتبع في رسائل النور: (( فهي تمتاز بالعلمية والوضوح التام لمعانيها واتباع الهجوم الحاد على أفكارهم، ولكن مع ذلك يبتعد في نقده أو هجومه عن ذكر الأشخاص... وأما فيما يتعلق بأسلوبه مع معارضيه من علماء الدين وشيوخ الصوفية، فهو يتميز بالهدوء والأدب الغزير والإبتعاد عن الهجوم التقليل من شخصياتهم))٢٨٧. وإن هذا المنهج - منهج الرد على الأفكار وتوقي تعيين الأشخاص - إنما كان لسعيد النورسي فضل تجديده وإحياءه وإلا فهو منهج راسخ عند السلف الصالح خاصة في القرون الثلاثة الأولى، ثم تردد عبر العصور عند المحققين من علماء الإسلام مثل الغزالي والشاطبي. فالإمام الشافعي (ت٢٠٤) في كتابه الرسالة كان يحكي مذاهب وأقوالا ليحللها ويرد عليها من غير نسبتها إلى أحد وإنما يقتصر على قوله (( قال قائل كذا

---

٢٨٥ - (( المكتوبات)) ص ٣٤٧.

٢٨٦ - (( اللمعات)) ص ٢٣٨.

٢٨٧ - (( الحركات الإسلامية الحديثة في تركيا)) ص ٨٨.

وكذا)). ومثله فعل ابن قتيبة في تأويل مشكل القرآن حيث يرد على اقوال الطوائف الشاذة من غير تعيين ولا تسمية، والبخاري في جامعه الصحيح حيث عقد كتبا للرد على أقوال المبتدعة ممن يذهب إلى إنكار العمل بخبر الآحاد أو ممن انتحل أقوالا شاذة في العقائد، فأورد في صحيحه كتاب الإيمان وكتاب خبر الآحاد وكتاب التوحيد وكتاب الإعتصام، وكلها رد على مذاهب موجودة في عصر البخاري وقبله. وذكر الإمام الشاطبي في الموافقات أن المنهج السليم للرد على المبتدعة هو ذكر أفكارهم وأوصافهم دون تعيينهم قال رحمه الله : ((ولكن الغالب في هذه الفرق أن يشار إلى أوصافهم ليحذر منها ويبقى الأمر في تعيينهم مرجى كما فهمنا من الشريعة. ولعل عدم تعيينهم هو الأولى الذي ينبغي أن يلتزم ليكون سترا على الأمة كما سترت قائحهم فلم يفضحوا في الدنيا بها في الحكم الغلب العام))[٢٨٨]. ثم بين وجه ذلك بقوله :(( فإن كان من مقتضى العادة أن التعريف بهم على التعيين يورث العداوة والفرقة وترك الموالفة لزم من ذلك أن يكون منهيا عنه إلا أن تكون البدعة فاحشة جدا ... وما سوى ذلك فالسكوت عن تعيينه أولى))[٢٨٩]. (( فالترجيح بما يودي إلى افتراق الكلمة وحدوث العداوة والبغضاءممنوع))[٢٩٠]. وحكى عن أبي حامد الغوالي أن أكثر الخطاء والجهالات إنما رسخها العلماء من فرط المبالغة في إنكارها وتعيين أصحابها فتثور في نفوسهم نوازع الأنفة فتحصل العداوة بين الفريقين، ويبقى الإصرار على الجهالات، فلا الألفة بقيت ولا الجهالات ذهبت. وهذا ما يشير غليه بقوله : (( أكثر الجهالات أنما رسخت في قلوب العوام بتعصب جماعة من جهال أهل الحق، أظهروا الحق في معرض التحدي والإدلاء، ونظروا إلى ضعفاء الخصوم بعين التحقير

---

[٢٨٨] – (( الموافقات)) ٤/١٠١. (دار إحياء الكتب العربية).

[٢٨٩] – نفسه ٤/١٠٢-١٠٣.

[٢٩٠] – نفسه ٤/١٥٤.

والإزدراء فثارت من بواطنهم دواعي المعاندة والمخالفة ورسخت في قلوبهم الإعتقادات الباطلة))٢٩١.

**٣- التزام آداب الحوار والمناظرة كما عرفها السلف الصالح**

والتي من أسسها أن اختلاف العلماء وتناظرهم لا يكون منه بالضرورة إسقاط عدالة بعضهم والغض من قدره بسبب أنه خالف من ناظره، فإنكار العالم على الآخر يسقطهما أو أحدهما من مقام العلم والولاية٢٩٢. ومن ذلك أيضا الإقرار بالحق إذا ظهر على لسان كل فريق عملا بقوله عز وجل (( **ولايجر منكم شيئان قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى)) -النساء-**. وهذا ما سماه سعيد النورسي (( دستور الإنصاف وابتغاء الحق الذي ارتضاه علماء فن الأدب والمناظرة والذي يتضمن : إذا أراد المرء أن يظهر الحق على لسانه دون غيره -في مناظرة معينة- وأنس واطمأن أن يكون خصمه على باطل وخطأ فهو ظالم غير منصف، فضلا عن أنه يتضرر نتيجة ذلك لأنه لم يتعلم شيئا جديدا من تلك المناظرة بظهور الحق على لسانه، بل قد يسوقه ذلك إلى الغرور فيتضرر... إن طالب الحق المنصف يسخط نفسه لأجل الحق، وإذا ما رأى الحق لدى خصمه رضي به وارتاح إليه٢٩٣. فالواجب التزام المنهج الذي عبر عنه أحد السلف بقوله : ((ماناظرت أحدا إلا وددت أن الله أجرى الحق على لسانه)). والواجب إجلال من يتصف بذلك كما قال الشافعي :(( ما أوردت الحق والحجة على أحد فقبلها مني إلا هبته واعتقدت مودته، ولا كابرني على الحق أحد ودافع الحجة إلا سقط من عيني))٢٩٤. ومن ذلك أيضا أن يفرح العلم إذا كفاه غيره

---

[٢٩١] - نفسه ٤/١٥٥.

[٢٩٢] - أنظر (( سيرة ذاتية)) ص ٣١٧.

[٢٩٣] - ((اللمعات)) ص٢٣٩.

[٢٩٤] - (( توالي التأسيس لمعالي محمد بن إدريس)) للحافظ ن حجر ص ١٣٧. (دار الكتب العلمية).

أمانة التبليغ كما كان السلف الصالح، ما من محدث إلا ود أن أخاه كفاه الحديث ولا فقيه إلا ود أن أخاه كفاه الفتيا. يقول سعيد النورسي : (( عليكم أن تفضلوا إخوانكم في المراتب والمناصب والتكريم والتوجه... في تلك المنافع التي هي خالصة زكية لتعليم حقائق الإيمان إلى الآخرين، فلا تتطلعوا ما استطعتم أن يتم ذلك بأيديكم، بل ارضوا واطمئنوا أن يتم ذلك بيد غيركم لئلا يتسرب الإعجاب إلى انفسكم))[٢٩٥].

**٤- النظرة الشاملة المستوعبة في تقويم الأعمال والأشخاص :**

ومعنى ذلك كما قال المحدثون أن العدل المرضي ليس من تحققت فيه العصمة من جميع الذنوب والمعاصي، وأن الضابط ليس هو من لم يكن له غلط قط، إنما العدل من غلبت حسناته سيئاته، والضابط من كان ما يحفظ ويتقن أكثر مما يغلط فيه ويهم. فلا يهجر العالم أو يحط من قدره لأنه بذرت منه أغلاط وظهرت منه زلات وإنما ينظر هل له من الحسنات ومن الصواب والحق فيحكم بحسب الغالب عليه، لأنه لاأحد يسلم من العيب ولاأحد يعرى عن الغلط، وكل ابن آدم خطاء وخير الخطائيين التوابون. وقد اعتبر الأستاذ سعيد النوسي من يهجر العالم أو أخاه المسلم لمجرد خطأ ظهر منه معرضا عن هذا المنهج -اعتبره- ظلما شديدا، ويصوره بقوله . ((هب أنك في سفينة أوفي دار ومعك تسعة أشخاص أبرياء ومجرم واحد، ورأيت من يحاول إغراق السفينة أو هدم الدار عليكم فلا مراء أنك -في هذه الحالة- ستصرخ بأعلى صوتك محتجا على ما يرتكبه من ظلم قبيح، إذ ليس هناك قانون يسوغ إغراق سفينة برمتها تضم مجرمين طالما فيها بريء واحد. فكما أن هذا ظلم شنيع وعذر فاضح، كذلك انطواؤك على عداء وحقد مع المؤمن الذي هو بناء رباني وسفسنة إلالهية لمجرد صفة مجرحة فيه تستاء منها أو تتضرر مع أنه يتحلى بتسع صفات بريئة بل عشرين منها كالإيمان والإسلام والجوار...))[٢٩٦]. فلا بد من استحضار

---

[٢٩٥] - (( اللمعات)) ص ٢٤٥.

[٢٩٦] - (( المكتوبات)) ص ٣٤٠.

الحسنات عند بدور السيئات ولا بد من اعتبار الروابط الكلية العامة التي تربط أهل الاسلام بعضهم ببعض، ومن لم يعتبر ذلك وهجر المسلم بسبب خطأ بدر منه وظلمه فكما قال سعيد النورسي (( ما أشده من ظلم أن يحمل المرء عداء وحقدا لأخيه. فكما أنك إذا استعظمت حصيات تافهة ووصفتها بأنها أسمى من الكعبة المشرفة وأعظم من جبل أحد، فإنك بلا شك ترتكب حماقة مشينة، كذلك هي حماقة مثلها إن استعظمت زلات صدرت من أخيك المؤمن واستهولت هفواته التي هي تافهة تفاهة الحصيات، وفضلت تلك الأمور التافهة على سمو الإيمان الذي هو بسمو الكعبة، ورجحتها على عظمة الإسلام الذي هو بعظمة جبل أحد، فتفضيلك ما بدر من أخيك من أمور بسيطة على ما يتحلى به من صفات الإسلام الحميدة ظلم واي ظلم يدركه كل من له مسكة من عقل ... فما أظلم من يعرض عنها جميعا ويفضل عليها أسبابا واهية أو هن من بيت العنكبوت، تلك الأسباب التي توجب المحبة واعتسافا لتلك العلاقات التي تفرض الأخوة؟ فإن لم يكن قلبك ميتا ولم تنطفئ جذوة عقلك فستدرك هذا جيدا))٢٩٧.

**٥- اعتبار أحوال الزمن المعاصر واستحضار واقع الحال :**

ومعنى ذلك مراعاة أحوال أهل الإسلام في هذا الزمان الذي لم يعرف المسلمون من قبل زمنا مثله من جهة قوة الباطل وغلبة الشر والفساد وإغراء الشهوات وغير ذلك من أحوال هذا العصر التي تجعل التمسك بالدين والتزام التقوى والصلاح كأنما يحاول المرء نقل جبل أو يعكس تيارا قويا. فليس من العقل أخذ عامة المسلمين بالعزيمة والتشديد عليهم، خاصة فيما هو مختلف فيه، مثل الغالب على نساء المسلمين التهتك إلى درجة البهيمية، فكيف يشدد في الإنكار على من خالفت هذا التيار القوي الغالب وسارت على مذهب معروف عند العلماء. ومن ذلك أيضا أن العصر الحاضر ضاعت فيه القضايا الكبرى والمصالح الضرورية التي جاء الشرع بحفظها، فهل يصح صرف الجهد إلى القضايا الجزئية

---

٢٩٧ - (( المكتوبات)) ص٣٤١.

التحسينية وقد ضاعت الأصول الضرورية. وهذا ما يشير إليه سعيد النورسي بقوله: (( ففي هذا الوقت الذي يتسم بالدمار الأخلاقي والروحي وبإثارة هوى النفس الأمارة وبإطلاق الشهوات من عقالها، تصبح التقوى أساسا عظيما جدا بل ركيزة الأسس، وتكسب أفضلية عظيمة حيث إنها دفع للمفاسد وترك للكبائر، إذ أن درء المفاسد أولى من جلب المنافع قاعدة مطردة في كل وقت. وحيث إن التيارات المدمرة أخذت تتفاقم في هذا الوقت... فالذي يؤدي الفرائض ولا يرتكب الكبائر ينجو بإذن الله، إذ التوفيق إلى عمل صالح مع الكبائر المحيطة أمر نادر جدا. إن عملا صالحا وإن كان قليلا يغدو في حكم الكثير ضمن هذه الشرائط الثقيلة والظروف العصيبة))[٢٩٨]. ومن هذا الأصل أيضا استحضار حال المسلمين في العصر الحاضر مع عدوهم. فبخلاف العصور الأولى من تاريخ الإسلام فإن شوكة المسلمين في هذا العصر قد ذبلت وقواهم قد هزلت، وأعداؤهم قد قويت وكثرت، وهي تتربص بهم من كل جانب، ومعادل الهدم لاتهدأ. فمن عرف هذا واستحضره علم أن أوجب الواجبات هو حفظ دين الأمة وحماية كيانها ورد شبهات أعدائها والتصدي للطعنات الآتية من كل جهة، وليس تتبع عورات المسلمين والإنكار على المقصرين والمخالفين في الفروع والجزئيات والحط على من يتساهل منهم في ذلك، فكيف والعدو واقف على الثغور ويغير المرة بعد المرة. ومثل من يصرف جهده لمثل هذا -ولاهم له إلا الفروع والجزئيات التي يختلف فيها الناس بين متساهل ومتحر للإحتياط- مثل من كان مع صديق له في بيت يأمره ويعظه، فأغار عليهما عدو لهما يريد اقتحام البيت عليهما، فجعل الصديق يتأهب للدفاع ومكث هو يأمره يوجوب تحسين مظهره وتجميل ثيابه فشغله حتى اقتحم العدو وأجهز عليهما. وإن الإشتغال بالأمور المختلف فيها بين المسلمين في هذا العصر -مع هذا الخطر الداهم- عده سعيد النورسي مرضا اجتماعيا خطيرا، وحالة اجتماعية مؤسفة يدمى لها القلب فأطلق صيحة في أهل الإسلام قائلا :(( فيامعشر المؤمنين أتدرون كم يبلغ

---

[٢٩٨] - (( سيرة ذاتية )) ص ٣١٤.

عدد عشائر الأعداء المتأهبين للإغارة على عشيرة الإيمان؟ إنهم يزيدون على المائة وهم يحيطون بالإسلام والمسلمين كالحلقات المتداخلة. فبينما ينبغي أن يتكاثف المسلمون لصد عدوان واحد من أولئك، يعاند كل واحد وينحاز جانبا سائرا وفق أغراضه الشخصية كأنه يمهد السبيل لفتح الأبواب أمام أولئك الأعداء ليدخلوا حرم الإسلام الآمن، فهل يليق هذا بأمة الإسلام... فأفق أيها المسلم واعلم أن زعزعة قلعة الإسلام الحصينة بحجج تافهة وأسباب واهية خلاف للوجدان الحي وأي خلاف، ومناف لمصلحة الاسلام كليا .. فانتبه))[٢٩٩] . وعلى هذا الأساس فقد كان سعيد النورسي من أوائل الدعاة إلى التقريب بين المذاهب الإسلامية في العصر الحديث، خاصة بين السنة والشيعة [٣٠٠]، يقول : (( فما ينبغي للشيعة أن يجابهوا أهل السنة بالعداء تاركين الخوارج والملحدين الذين هم أعداء الشيعة وأهل السنة معا ( ثم يوجه نداءه إلى الفرئقين) ارفعوا هذا الصراع الذي لا معنى له ولا حقيقة فيه ، وهو باطل ومضر في الوقت نفسه. وإن لم تزيلوا هذا الصراع فإن الزندقة الحاكمة الآن حكما قويا تستغل أحدكما ضد الآخر وتستعمله أداة لإفناء الآخر، وبعد إقنائه تحطم تلك الأداة أيضا. فيلزمكم نبذ المسائل الجزئية التي تثير التراع، لأنكم أهل التوحيد، بينكم مئات الروابط المقدسة الداعية إلى الأخوة والإتحاد))[٣٠١]. فيجب استحضار هذا الوضع واعتبار هذا الحال. وسبيله الإطلاع على الأحداث المعاصرة، السياسية وغيرها، ومعرفة وضع العلاقات الدولية وكل ما يدور في العالم من الحوادث، فمن خلالها يقف

---

[٢٩٩] - ((المكتوبات)) ص٣٤٩.

[٣٠٠] - وقد دعا هذا التقريب جماعة من المصلحين في العصر الحديث من السنة والشيعة، وأنشئت من أجل ذلك (( دار للتقريب)) بالقاهرة، ثم من بعدها(( المجمع العالمي للتقرب)) بطهران، أنظر (( تاريخ التقريب بين المذاهب الإسلامية)) لعبد الكريم عكوي مجلة كلية الآداب والعلوم الانسانية بالرباط، عدد مزدوج ٢١-٢٢. ص ٢٧-٤٦.

[٣٠١] - ((اللمعات))ص ٣٨.

المسلمون، وأهل العلم منهم خاصة، على خطورة الوضع، فذلك حري أن يحملهم على جمع كلمة الأمة وتوحيد صفوفها وصرف الجهود لهذه الأخطار التي تهدد المسلمين في وجودهم وحياتهم. ولهذا كان سعيد النورسي يطالع الصحف أو يكلف من طلبته من يطالعها على حقيقة الأوضاع وما يحيط بالمسلمين، وقد كان هذا السبب الذي جعله يوجه جهوده ويوقف حياته كلها لصيانة الإيمان وحفظه في النفوس، ولم يلتفت إلى الجزئيات والخلافات بين المسلمين. يقول الدكتور أورخان محمد علي عن النورسي :(( في أثناء إقامته في وان كان يتتبع مع طاهر باشا الأخبار التي تنشرها الجرائد، وفي أحد الأيام ناوله طاهر باشا إحدى الجرائد مشيرا إلى خبر مثير هزه من الأعماق هزا عنيفا، إذ نشرت هذه الجريدة ما قاله وزير المستعمرات البريطانية غلادستون في مجلس النواب البريطاني وهو يحمل في يده مصحفا : ما دام هذا القرآن موجودا في يد المسلمين فلن نستطيع أن نحكمهم، فإما أن نأخذه من يد المسلمين أو نقطع صلته بهم. وتجاه هذا التصريح... فقدثارت ثائرة بديع الزمان وأعطى عهدا بأن يكرس حياته لإظهار إعجاز القرآن للعالم أجمع وقال : لأبرهنن للعالم بأن القرآن شمس معنوية لا يخبو سناها ولا يمكن إضفاء نورها))[٣٠٢].

ومن هذا الأصل أيضا اعتبار ما حصل للمسلمين في العصر الحاضر من التحول في أوضاعهم، ذلك أن العلمانية قد ضربت جذورها وأصبح الزعماء والقادة يحمونها، فوجد بسبب ذلك انحراف داخلي هو وجود طائفة العلمانيين داخل بلاد المسلمين من أبناء الإسلام، فكانت هذه جبهة داخلية يجب على أهل الحق التصدي لها بالتصحيح والتقويم، لكنها ليست كغيرها، لأن أصحابها منتسبون إلى الاسلام ويعدون من أهله ويقيمون في ديار المسلمين وهم من آبائهم وأبنائهم أو أقاربهم. ولهذا فإن الجهاد في هذه الجبهة -في وسائله- ليس مثل الجهاد على الجبهة الخارجية ، فالأول جهاد معنوي يكون بالتربية والبناء

---

[٣٠٢] - (( سعيد النورسي رجل القدر في حياة أمة)) ص ٢٦.

الفكري والروحي، أما إذا استعمل فيه الجهاد المادي بالسلاح فإنه يؤدي إلى قتل آباء المسلمين وأبنائم في بلادهم وديارهم، وفي ذلك من الفتنة ما لايخفى على العقل، أضعفها زرع الشقاق بين أهل الإسلام. ويبين النورسي وجه ذلك بقوله : ((أجل يستوجب مجابهة الهجمات الخارجية بالقوة لأن أموال العدو وذراريه يكون بمثابة غنيمة للمسلمين، أما في الداخل فالأمر ليس هكذا، ففي الداخل ينبغي الوقوف أمام التخريبات المعنوية بشكل إيجابي بناء، بالإخلاص التام. إن الجهاد في الخارج يختلف عما هو في الداخل... فنحن نقوم بالعمل الإيجابي البناء بكل ما نملك من قوة في سبيل تأمين الأمن الداخلي. فالفرق عظيم بين الجهاد الداخلي والخارجي في العصر الحاضر))[٣٠٣]. ولهذا كان يعارض بعض الجماعات أنشئت في عصره للجهاد المادي ضد الدولة التي تبنت العلمانية، وكان يحضها على وحدة الصف وتجنب الفرقة واتقاء الحركات والأعمال التي في شق صف المسلمين واتساع جرحهم[٣٠٤] . وكان جوابه على إحدى الحركات التي أثارت الأكراد على الدولة : (( نحن الأكراد مسلمون والأتراك إخواننا فلا تجعلوا الأخ يقاتل أخاه، فهذا لايجوز شرعا.

إن السيف لايشهر إلا بوجه الأعداء الخارجين ولا يستعمل السيف في الداخل. إن السبيل الوحيد أمامنا للخلاص في هذا الزمان هو القيام بإرشاد الناس إلى حقائق القرآن وإلى حقائق الإيمان والقيام بمكافحة الجهل الذي هو أكبر أعدئنا، لذا أرى أن تصرفوا نظركم عن محاولتكم هذه لأنها محكومة بالإخفاق، إذ سيهلك آلاف من الرجال والنساء بسبب حفنة من القتلة المجرمين))[٣٠٥].

وقد ذهب سعيد النورسي أبعد من ذلك وأعمق - مراعاة للواقع المعاصر- فدعا إلى العمل بمبدأ الإحترام وحسن الجوار مع العلمانيين داخل بلاد الإسلام حفاظا على

---

[٣٠٣] - (( سيرة ذاتية)) ص ٤٧٠.

[٣٠٤] - أنظر ((سعيد النورسي)) لأورخان محمد على ص ٤٤-٤٥.

[٣٠٥] - نفسه ص ١١٤.

الأمن وقطعا للطريق على العدو الخارجي وكل من يورم التشويش على وحدة الصف والأمن. (( ففي زمن عجيب كزمننا هذا، لابد من تطبيق خمسة أسس ثابتة حتى يمكن إنقاذ البلاد وإنقاد الحياة الإجتماعية لأبنائنا من الفوضى والإنقسام. وهذه المبادئ هي :

١- الإحترام المتبادل.

٢- الشفقة والرحمة.

٣- الإبتعاد عن الحرام.

٤- الحفاظ على الأمن

٥- نبذ الفوضى والغوغائية والدخول في الطاعة))[٣٠٦].

فهذه هي القواعد العملية التي يقتضيها أساس اعتبار أحوال الزمن المعاصر واستحضار واقع الحال .

٦- مراعاة الخلاف عند تعذر الإتفاق :

فبعد الإجتهاد لمعرفة الحق والحرص على الإجتماع، فإن تعذر الإجتماع على رأي واحد وجب على المختلفين إعمال أصل مراعاة الخلاف، وهو يقوم على عدم اعتبار المختلف فيه كالمتفق عليه، وإن العالم إذا تكلم فيما يعلم أن له مخالفا فيه فإنه يجري الحكم على صيغة تراعي الطرف المخالف. أي إن عليه أن يتساهل في ما يعقد صحته مراعاة للطرف المقابل المخالف. وهذا معنى قول النورسي : (( عليك أن تقول الحق في كل ما تقول، ولكن ليس لك أن تذيع كل الحقائق. وعليك أن تصدق في كل ما تتكلمه، ولكن ليس صوابا أن تقول كل صدق. لأن من كان على نية غير خالصة- مثلك- يحتمل أن يثير المقابل بنصائحه فيحصل عكس المراد))[٣٠٧]. ويدخل في هذا الأصل وجوب حفظ حرمة هذا المخالف في الرأي وعدم تجريحه ووجوب نصرته والتعاون معه فيما يتفق عليه

---

[٣٠٦] - (( سيرة ذاتية)) ص ٣٩١.

[٣٠٧] - (( لمكتوبات)) ص ٣٤٣.

أهل الإسلام. وفي العمل هذا الأصل كن النورسي يؤازر جميع أهل الإسلام ويتعاون مع من يخالفه في الرأي وفي الوسائل. فقد كان درويش وحدتي من مؤسسي (( الإتحاد المحمدي)) من أجل مواجهة مظاهر العداء للإسلام التي أقحمت في الحياة في تركيا في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي وبداية القرن العشرين. وقد غلب عليه طابع الشدة والعنف وما كان يعارضه النورسي، ومع ذلك فقد حضر الإجتماع الذي أعلن فيه عن الإتحاد المحمدي وألقى فيه خطبة في نحو ساعتين حث فيها على التمسك بآداب الإسلام وتناول فيها أهم القضايا التي تثير العناية آنداك. ولما أصدر "درويش وحدتي" جريدة "وولقان" كان بديع ينشر فيها مقالاته على رغم مخالفته لدرويش وحدتي ومعارضته لمنهجه، وكان يكتب إليه بين حججه فيما يخالفه فيه بتوقير واحترام، فكان مما كتب إليه يشرح معارضته لأسلوب العنف والشدة في الكتابة : "إلى أخي درويش وحدتي، إن الأدباء يجب أن يتحلوا بالأدب، ولا سيما الإسلامي، وليكن الضمير الديني هو الحارس لنظام المطبوعات" ٣٠٨.

٧- التحلي بضبط النفس وتحري الإنصاف مع المخالف الذي لايفتأ يخرق ضوابط الخلاف المحمود.

إذا تحره المسلمون - وأهل العلم خاصة- جميع أسس الوحدة وآداب الإختلاف في النظر والإجتهاد، ثم وجد -على رغم ذلك- من يكف عن الطعن والتجريح والتعصب للرأي، فإن الأستاذ النورسي قد أشار إلى أمثال هذا بقوله : إن كنت تريد أن تعادي أحدا فعادما في قلبك من العدوان واجتهد في إطفاء نارها واستئصال شأفتها، وحاول أن تعادي من هو أعدى عدوك وأشد ضررا عليك، تلك هي نفسك التي بين جنبيك فقاوم هواها واسع إلى إصلاحها ولا تعاد المؤمنين لأجلها. وإن كنت تريد العداء أيضا فعاد الكفار والزنادقة فهم كثيرون. واعلم أن صفة المحبة محبوبة بذاتها جديرة بالمحبة، كما أن خصلة

---

٣٠٨ - (( سعيد النورسي)) لأورخان محمد على، ص ٤٤.

العداوة تستحق العداء قبل أي شيء آخر"[309]، ثم أشار على عامة المسلمين بمنهج التعامل مع أمثال هذا وهو دفع السيء بالحسنة وعدم الإسترسال في الرد بمثل ما بدأ به من التجريح وإنما يقابل بالإحسان لعله يندم ويرجع عن ركوب رأسه، وفي هذا إعمال لقوله تعالى ((وإذا مروا باللغو مروا كراما) الفرقان ٧٢ وقوله عزوجل : **( وأن تعفوا وتصفحوا وتغفروا فإن الله غفور رحيم) التغابن** ١٤. أما إذا قوبل بمثل ما بدأ به فإن نار العداوة تزداد وتمتلئ القلوب غيضا فيغيب سلطان العقل ويحتجب الإنصاف، كما قال الشاطبي : (( إن الطعن في مساق الترجيح يبين العناد من أهل المذهب المطعون عليه ويزيد في دعاوي التمادي والإصرار على ما هم عليه، لأن الذي غض من جانبه مع اعتقاده خلاف ذلك حقيق لأن يتعصب لما هو عليه ويظهر محاسنه فلا يكون للترجيح المسوق هذا المساق فائدة زائدة على الإغراء بالتزام المذهب، وإن كان مرجوحا فإن الترجيح لم يحصل ... فبينما نحن نتتبع المحاسن صرنا نتتبع القبائح ... فكان المرجع لمذهبه على هذا الوجه غاض من جانب مذهبه فإنه تسبب في ذلك [310].فمنهج قتل العداوة هو معاشرة الأصدقاء بالمروءة والإنصاف ومعاملة المرء فلم يستطع له ردا، فأضعف ما يجب عليه ألا يعمل بمقتضاه فلا يظلم صاحبه ((لأن الخلق السيء إن لم يجر أثره وحكمه وإن لم يعمل بمقتضاه - كالغيبة مثلا- وعرف صاحبه تقصيره فلا ضير))[311].ثم ليكف لسانه عن ذمه وللتموين من شأنه، ثم ليجتهد في ما يعتقده صوابا من غير تعريض بالمخالف، وهذا كما قال سعيد النورسي هو :(( العمل الإيجابي البناء وهو عمل المرء بمقتضى محبته لمسلكه فحسب من دون أن

---

[309] - (( المكتوبات)) ص ٣٤٣.

[310] - (( الموافقات)) : ٤/١٥٣-١٥٤.

[311] - (( المكتوبات)) ، ص ٣٤٦.

يرد إلى تفكيره أو يتدخل في عمله عداء الآخرين أو التهوين من شأنهم، أي لا ينشغل بهم أصلا ٣١٢. وهذا أضعف المطلوب.

**٨- أخد الحذر وتحري الفطنة واليقظة :**

فأهل الباطل يغيضهم اجتماع أهل الحق وتعاونهم، لذلك لن يكفوا عن التشويش عليهم وسيجتهدون في ذلك ما استطاعوا، فعلى أهل الحق التيقظ والتنبه لذلك وأخد الحيطة من محاولات دس العداوات بين أهل الإسلام خاصة بترويج الشائعات، لأن هذا العصر عصر الشائعات بسبب انتشار وسائل الإعلام وتعددها وتنوعها، فيجب الوقف في كل ما ينشر من ذلك خاصة ما فيه نسبة جريمة إلى أحد أوجهة من أهل الإسلام أو ما يفيد وجود وقيعة بين المسلمين، وذلك عملا بقوله تعالى: **( ياأيها الذين آمنوا إن جاءكم فاسق بنبأ فتبينوا أن تصيبوا قوما بجهالة فتصبحوا على ما فعلتم نادمين)**، فيجب عدم الإلتفات إلى التشويش والإستفزاز. ولقد كان سعيد النورسي يوصي طلبته بالحذر والفطنة والتيقظ لما يعلمه على جهة اليقين من وجود من أقحم بينهم بقصد الإفساد وتثبيط العزائم، بإلقاء اختلاف الأفكار والمشارب ٣١٣، وكان يوصي خاصة بالإحتياط الشديد فيما يتكلم به المرء، لأن هناك الكثير ممن يتربص فيؤول كل كلام محتمل - كما قال - " لأن وضعنا الحاضر كله جد لا هزل فيه "٣١٤. وكان هو نفسه يحسن الظن فيما لم يتيقن صحته من الأخبار، ولم يكن يقبل أن يغتاب أحد أمامه وذلك لقطع طريق الشائعات وأصحابها٣١٥.فقد كانت ترد عليه رسائل النور، فكان لا يلتفت إلى ذلك ويقول : نحن

---

[٣١٢] - (( اللمعات) ، ص ٢٢٨.

[٣١٣] - أنظر (( سيرة ذاتية))، ص ٤٢٤-٤٢٥.

[٣١٤] - نفسه، ص ٤١٩.

[٣١٥] - أنظر المصدر نفيه، ص ٥٢٩-٥٣٠.

مكلفون بحسن الظن"[316]. وكان هذا المنهج هو موضع الخلاف بينه وبين " درويش وحدتي" ولذلك كان يقول عنه : (( إنه متمسك بالدين إلا أنه يعوزه المنطق العقلاني))[317] اي أنه بأسلوب العنف والغلو والشد يسر السبيل للعدو وللكيد والإستفزاز وزجر أهل الحق إلى ارتكاب أخطاء قاتلة لأن الغلو والشدة في غير موضعها تظهر الغوغاء فيختلط الحق بالباطل فيسهل اتهام البريء وتبرئة المتهم.

**٩- إعمال الشورى في الإجتهاد والحكم عن طريق "مجلس الشورىالعلمي" و "النظام النيابي البرلماني"**

وهذا الضابط هو تمام هذه الضوابط والأسس وجماعها، لأن جميع هذه الضوابط المتقدمة إنما تمنع التنازع بسبب الإختلاف في النظر، وتقي من خطر العداوة والشقاق، وتحمل المختلفين من أهل الإسلام، في النظر والإجتهاد، على مراعاة بعضهم بعضا. وتحثم على ضرورة تقسيم الأعمال وصرف الجهود إلى ما تمس الحاجة إليه، واعتبار اجتهادات جميع أهل الإسلام يكمل بعضها بعضا. فهذه الضوابط لاتمنع الخلاف والإختلاف وإنما تجعل الإختلاف ثراء في التفكير ومظهرا لغلبة روح الإجتهاد ونبذ التقليد. ثم يأتي هذا الضابط ليمنح الحياة لهذا الثراء الفكري، لانه يعين على تحري الصواب ومعرفة الحق والترجيح بين المذاهب والأراء، ويحسم الفوضى الناشئة من تعدد الاراء عندما يتعين الترجيح للشروع في العمل حيث لا يمكن الجمع بين أكثر من مذهب واحد في العمل. وقد قدم اأستاذ النورسي ضابطا عمليا في العصر الحاضر وهو العمل من خلال هيآت ومؤسسات للتشاور في مجال العلم وفي مجال السياسة وتدبير الأحوال العامة للأمة. أما في المجال العلمي فهو دعوته إلى إنشاء مجلس للإجتهاد يتم فيه التشاور بين أهل العلم والكفاءة والخبرة. يقول : (( إن كل من يجد في نفسه كفاءة واستعداد ا للإجتهاد

---

[316] - نفسه، ص ٥٣٠.

[317] - (( سعيد النورسي)) لأورخان محمد علي، ص ٤٤.

يمكن أن يجتهد، ولكنه لا يكون بهذا الإجتهاد موضع عمل إلا عندما يقترن بتصديق نوع من إجماع الجمهور" ٣١٨.فهذا المجلس غرضه قطع دابر الشذوذ في الآراء والعمل بما يتفق مع رأي جمهور الأمة، وجعل ما يصدر عنه له من القوة ما يصح جعله ملزما. وهذا المجلس يمكن ان تتنوع هيآته وأشخاصه بحسب العلوم، ففي مجال التفسير مثلا يقول سعيد النورسي : (( أريد تشكيل مجلس شورى علمي منتخب من العلماء المحققين كل منهم متخصص في علم، ليقوموا بتفسير عظيم ويجمعوا المحاسن المتفرقة في التفاسير ويهذبوها. وهذا الأمر مشروط بأن تكون الشورى مهيمنة في كل شيء. والأفكار العامة مراقبة وحجية الإجماع حجة عليه))٣١٩.

أما في المجال السياسي والشؤون العامة فإن سعيد النورسي يرى أن النظام النيابي البرلماني هو أرقى ما وصل إليه الإجتهاد البشري لضبط مسألة الإختلاف في النظر والإجتهاد، ويرى أيضا أن هذا النظام إذا دخل تحت ضوابط الشريعة فإنه قمن أن يحسم فيما يجبا لعمل به من أمور الأمة العامة عندما يجتهد فيها أهل الإختصاص فيختلفون. ولهذا فإنه كان دائما يقيد المشروطية والقانون الأساسي هما الموضوع الذي سمعتم عنه فهما عبارة عن المشورة الشرعية، بترحاب وحافظوا عليهما))٣٢٠

**الكون والطبيعة في فكر الإمام النورسي**

---

[٣١٨] -(( صيقل الاسلام))، ص ٣٥٣.

[٣١٩] – نفسه ،ص ٣٧.

[٣٢٠] – مفتاح أهداف الجمهورية في ضوء الأفكار السياسية لبديع الزمان النورسي)) ، المؤتمر العالمي حول بديع الزمان النورسي استامبول ١٩٩٢م. ص ١٧٤.

**أثرا – ودلالة- وهدفا**

**الأستاذ الدكتور**

**فاروق حمادة**

وهبت رياح صرصر عاتية على العالم الإسلامي من جهات العالم الأربع في نهاية القرن الماضي للميلاد، تحمل بذورا على الإنسانية مشؤومة، تنبت الزندقة والإلحاد، وتنكر الغيب وتؤمن بالحس والمادة وتهزأ مما سواهما وتجلت في تخصصات فقلبت المعرفة جميعها موازين الفكر، وطاشت تحت وطأتها عقول الراشدين الأسوياء، إلا من رحم الله، فمن موافق، ومن متجاهل، ومن ملفق، وقليل ماهم الذين واجهوا الأعاصير هذه، وتصدوا لها بحواجز الإيمان ومعارف القرآن، وبما تسلم به عقول الأسوياء من بني الإنسان ومن هؤلاء النخبة المصطفاة، والخيرة المجتباة، النابغة المتميز كبديع الزمان النورسي الذي كان مركز وجوده هو المقصود، وتحطيم عاصمة الخلافة الإسلامية في عصره هو الهدف المنشود،فهو مركز الدائرة وسرها المرصود.

لقد كرع هذا من حياض القرآن وهديه، وأصاخ السمع للمعارف الجديدة بعقله وقلبه، فشرح الله منه الصدر والفؤاد، وبدأ يجابه المادة بنفس ما تستعمله من سلاح وعتاد، ألا هو المادة، والطبيعة والكون، والإنسان، فأجاد في ذلك أيما إجادة، وأفاد فوائد تربو على الحصر والزيادة، وفي تقديري أن استعماله لهذا السلاح الذي كان يمسك به الخصم، وهو الدي جعل الشباب يقبلون على رسائله وينتظرون أبكار أفكاره، وواضح أدلته، فثبت الله به الجم الغفير، وكتب لعمله وعطائه البقاء، غضا طريا، تستهديه الأجيال وتستنير به القلوب الظامئة الطامحة إلى أحسن الأحوال.

لقد كان للكون والطبيعة أثر بالغ في نفس النورسي، ويرى في ذلك أدلة حق قاطع، وشهادات صدق ساطع، ليحيى من حيي عن بينة ويهلك من هلك عن بينة ففي كل صفحة من رسائله وكتبه يرى قراءه الكون والطبيعة، فكيف كان أثر هذه الرؤيل على نفسه أولا؟.

إن ظروف وحدته في سجونه وتنقلاته، فتحت على الكون عين بصره وبصيرته، فأصبح يرى ما لا يراه المغمورون في خضم الحياة، وبحكم ما تكنه حناياه ومشاعره من آي القرآن، تولد لديه إحساس مرهف بهذا الكون من حوله ففجر طاقات عظيمة جدا، واقتبس نزرا من النماذج الكثيرة الوفيرة التي تبين لنا مدى تأثيره وتفاعله بهذا من حوله يقول رحمه الله: في إحدى الليالي كنت على ارتفاع عظيم في وكر منصوب على قمة شجرة القطران المرتفعة على قمة من قمم جبل (جام) نظرت من هناك إلى وجه السماء الأنيس الجميل بمصابيح النجوم، فرأيت أن في القسم الوارد في الآية الكريمة ( فلا أقسم بالخنس الجوار الكنس) نورا ساميا من أنوار الإعجاز، وشاهدت فيه سرا بليغا لامعا من أسرار البلاغة" ٣٢١.

ويقول : لقد بقيت منذ شهرين أو ثلاثة وحيدا فريدا، وربما يأتيني ضيف في كل عشرين يوما أو ما يقرب من ذلك، فأظل وحيدا في سائر الأوقات، ففي هذه الجبال الموحية بالغربة، وعندما يرخي الليل سدوله، فلا صوت ولا صدى إلا حفيف الأشجار الحزين، رأيتني، وقد غمرتني خمسة ألوان من الغربة ٣٢٢.

ويقول : كنت جالسا ذات يوم في الطابق العلوي من فندق شهر عقب إطلاق سراحنا من سجن /دنيزيلي/ أتأمل فيما حولي من أشجار الحور والصفصاف الكثيرة في الحدائق الغناء والبساتين الجميلة، رأيتها جذلانة بحركاتها الراقصة الجذابة تتمايل بجذوعها وأغصانها وتهتز أوراقها بأدنى لمسة من نسيم فبدت أمامي بأبهى صورها وأحلامها وكأنها تسبح لله في حلقات ذكر وتهليل. مست هذه الحركات اللطيفة أو تار قلبي المحزون من فراق إخواني، وأنا مغموم لانفرادي وبقائي وحيدا، فخطر على البال فجأة موسما الخريف والشتاء وانتابتني غفلة إذ ستتناثر الأوراق وسيذهب الرواء والجمال، وبدأت أتألم على تلك

[٣٢١] – أنظر الكلمات ٢٤٦/١ والمكتوبات ١٨/٢.

[٣٢٢] – المكتوبات ٢٩/٢.

الصور الجميلة، وأتحسر على سائر الأحياء التي تتجلى فيها تلك النشوة الفائقة تألما شديدا حتى أغرورقت عيناي واحتشدت على رأسي أحزان تدفقت من الزوال والفراق تملأ هذا الستار المزركش البهيج للكائنات٣٢٣.

ويقول : بينما كنت على قمة جبل في(بارلا) أيام منفاي، أسرح النظر في أشجار الصنوبر والقطران التي تغطي الجهات، وأتأمل في هيبة أوضاعها وروعة أشكالها وصورها إذ هب نسيم رقيق حول ذلك الموضع المهيب الرائع إلى أوضاع تسبيحات وذكر جذابة، واهتزازات نشوة شوق وتهليل، وإذا بذلك المشهد البهيج السار يقتصر عبرا أمام النظر، وينفث الحكمة في السمع، وفجأة خطرت ببالي الفقرة الآتية بالكردية لأحمد الجزري ترجمتها:

لقد أتى الجميع مسرعين من كل صوب لمشاهدة حسنك، إنهم بجمالك يتغنجون ويدللون، وتعبيرا عن معاني العبرة بكى قلبي على هذه الصورة يارب إن كل حي يتطلع من كل مكان، فينظرون معا إلى حسنك، ويتأملونه في روائع الأرض التي هي معرض صنعك، فهم كالدعاة الأدلاء ينادون من كل مكان من الأرض ومن السماوات العلى إلى جمالك٣٢٤... الخ.

ويقولون في الكلمات ٣٢٥. كنت سارحا في رفقة غربتي أسوح مع الفكر، وأجول مع الخيال والتأمل فقادتني قدماي إلى سفح رابية مزدانة بالخضرة فرنت إلى على استحياء من وسط هذا البساط الأخضر زهرة صفراء ساطعة النضرة وألوت جيدا إلاى تناغيني بود ومحبة، فأثارت مشاعري وأشواقي إلى زهرات مثلها التقيتها في ربوع بلدتي (وان) وفي سائر المدن الأخرى التي كانت تحتضن غربتي مرة بعد أخرى فانهال هذا المعنى فجأة على قلبي.

---

[٣٢٣] – الكلمات ٥٣٨/١-٥٣٩.

[٣٢٤] – اللمات ٢٤٢/١.

[٣٢٥] – الكلمات ٨٢٢/١

لقد كان النورسي رحمه الله مرهف الإحساس، رقيق المشاعر، يقظ الفؤاد نبيه الفكر، رأى الكون والطبيعة من حوله فتأمل فيها بهذا الإرهاف والنباهة.

فعكس ذلك على قلبه أفكارا عميقة الغور بعيدة المدى إنه يرى كل شيء في هذا الوجود من حوله صغيرا وكبيرا فينظر إلى موضعه وغايته وهدف وجوده ويفجر منه الأحاسيس والأفكار وقد نثر ذلك في كتابه بما يضيق المقام عنه.

إن القارئ ليشعر أن آيات الكتاب المسطور (القرآن الكريم) تفاعلت في كيانه مع آيات الكتاب المنظور، (الكون)، فأبدع أروع الأفكار وأهم الرؤى والآثار، ومن تتبع ما كتب نجد أن أكثر ما أثر فيه منظر الربيع بما يضمه ويبتدئ فيه من حياة، ومنظر الخريف، وكيف يتغير فيه وجه الأرض ويستعد للموت لذلك أكثر جدا من وصف هذا المنظر المؤثر البليغ علما بأنه تأمل في صغير المخلوقات وكبيرها من الأرض والسماء انتهاء إلى صغيرها كالأرضة والبعوضة والنحلة والذباب، وتأمل في النافع والضار وبين حكمة هذه الأضداد في مخلوقات الله وضرورتها وفائدتها.

وإنه في سياحته الكونية، وتقلبه في أحضان الطبيعة في ليلها ونهارها، وفي ظاهرها وباطنها في صغيرها وكبيرها كان يرى أن هذا الكون مع تباعد أرجائه، واختلاف مادته وأحيائه هو شجرة متناسقة، تؤدي وظيفتها بدقة وإتقان، وتدل على الكبير المتعال وبهذا الكون أنكر الماديون الخالق ونفوا عالم الغيب وتبلد فيهم الإحساس، فهو بنفس السلاح يحاربهم وبمظاهر هذا الكون وأرجاء الطبيعة يقرعهم ويوقظهم من غفلات جهلهم.

وكان يرى كذلك أن هذا الكوكب الأرضي قصر منيف، لضيافة الإنسان يأتيه رزقه رغدا من كل مكان يقول في ٣٢٦.

"رحمتك المطلقة التي صيرت الكون في حكم قصر حنيف لذوي الأرواح وبخاصة الإنسان.

---

[٣٢٦] – الشعاعات ٦٦/٤.

ويقول في٣٢٧: إن تجدد المصنوعات الجميلة، وتبدل المخلوقات اللطيفة ضمن الغروب والشروق، وباختلاف الليل والنهار، وبتحول الشتاء والصيف،وتبدل العصور والدهور، كما أنها تدل على وجود ذي جمال سرمدي رفيع الدرجات دائم التجلي، وعلى بقائه سبحانه ووحدته، فإن موت تلك المصنوعات وزوالها بأسبابها الظاهرة يبين تفاهة تلك الأسباب وعجزها وكونها ستارا وحجابا ليس إلا، فيثبت لنا هذا الوضع إثباتا قاطعا أن هذه الخلقة والصنعة وهذه النقوش والتجليات إنما هي مصنوعات ومخلوقات متجددة للخالق جل جلاله الذي جميع أسمائه حسنى مقدسة بل هي نقوشه المتحولة ومراياه المتحركة، وأختامه المتبدلة بحكمه".

إنه كرر مرارا في رسائله وأفكاره أن هذا الكون فيه أربعمائة ألف نوع من شعوب النباتات وأمم الحيوانات، يقول في الكلمات: لوأن جيشا عظيما يضم تحت لوائه أربعمائة ألف نوع من الشعوب والأمم لكل نوع جنس طعامه المستقل عن الآخر، ونمط تدريباته وتعليماته يباين الآخر، ومدة عمله وفترة رخصته هي غير المدة للآخر... فقائد هذا الجيش الذي يزودهم وحده بالأرزاق المختلفة والأسلحة المتباينة والألبسة المتغايرة دون نسيانه أيا منها والالتباس ولا حيرة لهو قائد خوارق بلا ريب، فكما أن هذا المعسكر العجيب يرينا بداهة ذلك القائد الخارق، بل يحببه إلينا بكل تقدير وإعجاب كذلك معسكر الأرض، ففي كل ربيع يجند مجددا جيشا سبحانيا عظيما مكونا من أربعمائة ألف نوع من شعوب النباتات وأمم الحيوانات، ويمنح لكل نوع ألبسته وأرزاقه وأسلحته ورخصه الخاصة به من لدن قائد عظيم واحد جل وعلا بلا نسيان ولا اختلاط ولا تحير، وفي منتهى الكمال وغاية الإنتظام ويقول في تفسير قوله تعالى (إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار) سورة

---

٣٢٧ - الكلمات ٣٤٢/١.

البقرة ٣٢٨ما من جرم في الأجرام السماوية إلا ويشهد شهادة على ربوبيتك وإشارة إلى وحدتك بسكونها في أداء وظيفتها بلا ضوضاء وببقائها بلا عمد.

وما من نجم إلا ويشهد على عظمة ألوهيتك ويشير إلى وحدانيتك بخلقته الموزونة وبوضعه المنتظم وبتبسمه النوراني وبمماثلته ومشابهته للنجوم كافة...

فهذه السماوات الصافية الطاهرة الجميلة تدل دلالة ظاهرة على هيبة وعظمة قدرتك المبدعة، وتشير إشارة قوية إلى سعة حاكميتك المحيطة بالسماوات الشاسعة، وإلى رحمتك الواسعة المحتضنة لكل ذي حياة، وتشهد بلا ريب على شمول حكمتك لكل فعل وعلى إحاطة علمك بكل شيء المنظِّمان في قبضتهما جميع شؤون وكيفيات جميع المخلوقات السماوية بأجرامها التي هي في غاية الضخامة وفي غاية السرعة، وبإظهارها أوضاع جيش منظم ومهرجان مهيب مزين بمصابيح وضاءة، فتلك الشهادة والدلالة ظاهرتان جليتان، كأن النجوم كلمات شهادة للسماوات الشاهدة ودلائلها المتجسمة النورانية.

أما النجوم السابحة في بحر السماوات وفي فضائها فإنها تظهر شعشعة سلطان ألوهيتك بأوضاعها المماثلة لجنود منصاعين وسفن منتظمة وطائرات خارقة ومصابيح عجيبة، ورفيقات شمسنا التي هي نجمة من ذلك الجيش ترنو إلى عوالم الآخرة، وليست معطلة بدلالة وظائف الشمس سياراتها وفي أرضها ولربما هي شموس عوالم باقية.

ويقول في تفسير (حسبنا الله ونعم الوكيل٣٢٩).

إنك تستند بهوية الإنتساب الإيماني إلى سلطان عظيم ذي قدرة مطلقة بحيث يجهز بانتظام تام في كل موسم ربيع على سطح الأرض جميع جيوش النباتات والحيوانات المتشكلة من أربعمائة ألف من الأمم والطوائف بالأعتدة والأجهزة اللزمة، فيجدد ملابس جيشه العظيمة وهي الأشجار والطيور ملابس جديدة مبدلا أنواطهما وشاراتهما حتى إنه

---

[٣٢٨] – ١/١٧٦.

[٣٢٩] – الشعاعات ٤/٧٤.

يبدل لباس الجبل ونقاب الصحراء مثلما يبدل فساتين الدجاج اللطيفة وأثواب الطيور الجميلة ويوزع جميع أرزاق الجيش الهائل للأحياء، وفي مقدمتها الإنسان...

إنه كان يقيم من كل ذرة من ذرات هذا دلائل على التوحيد وعظمة الخالق وبديع صنعه وكريم عنايته بالإنسان سيد هذا الوجود، وأن أسماءه الحسنى المقدسة تتجلى في هذا الكون، وشرح ذلك بتطويل وتفصيل ويتحدى المادية والماديين ومذهبهم.

ويقول في بيان الحاكمية المطلقة ٣٣٠.

إن من ينظر بنظرة واسعة فاحصة إلى الكون يرى أنه بمثابة مملكة مهيبة جدا في غاية الفعالية والعظمة، وتظهر له كأن مدينة عظيمة تتم إدارتها إدارة حكيمة وذات سلطنة وحاكمية في منتهى القوة والهيبة، ويجد أن كل شيء وكل نوع منهمك ومسخر لوظيفة معينة، فالآية الكريمة: {**ولله جنود السماوات والأرض**} تشعر بمعاني الجندية في الموجودات التي تتمثل ابتداءا من جيوش الذرات وفرق النباتات، وأنواع الحيوانات إلى جيوش النجوم كل أولئك جنود ربانية مجندة لله، فنجد في جميع أولئك الموظفين الصغار جدا وفي جميع هؤلاء الجنود المعظمة جدا سريان الأوامر التكوينية المهيمنة، وجريان الأحكام النافذة وقوانين الملك القدوس مما يدل دلالة عميقة بالبداهة على وجود الحاكمية المطلقة والآمرية الواحدة الكلية .

وفي تفسير قوله تعالى (فسبحانه الله حين تمسون وحين تصبحون) يقول :٣٣١إن عقارب الساعة التي تعد الثواني والدقائق والساعات والأيام كل منها يناظر الآخر، ويمثل الآخر، ويأخذ كل منها حكم الآخر، كذلك في عالم الدنيا الذي هو ساعة إلهية كبرى، فإن دوران الليل والنهار الذي هو بحكم الثواني للساعة والسنوات التي تعد الدقائق، وطبقات

---

[٣٣٠] – الشعاعات ١٩٥/٤.

[٣٣١] – الكلمات ٣٩/١-٤٠.

عمر الإنسان التي تعد الساعات، وأدوار عمر العالم التي تعد الأيام كل منها يناظر الآخر ويماثله ويذكر كل منها الآخر ويأخذ حكمه.

ووقت الفجر إلى طلوع الشمس يشبه ويذكر ببداية الربيع وأوله، وبأوان سقوط الإنسان في رحم الأم.

وأما وقت الظهر فهو يشبه ويشير إلى منتصف الصيف وإلى عنفوان الشباب وإلى فترة خلق الإنسان في عمر الدنيا.

وأما وقت العصر فهو يشبه موسم الخريف وزمن الشيخوخة.

وأما وقت المغرب فإنه يذكر بغروب أغلب المخلوقات وأفولها نهاية الخريف ويذكر أيضا بوفاة الإنسان.

وأما وقت العشاء فيذكر بغشيان عالم الظلام وسترة آثار عالم النهار بكفنه الاسود.

وأما وقت الليل فإنه يذكر بالشتاء وبالقبر وبعالم البرزخ فضلا على أنه يذكر روح الإنسان بمدى حاجتها إلى رحمة الرحمان.

وأما التهجد في الليل فإنه يذكر بضرورة ضياء ليل القبر، وظلمات عالم البرزخ وينبه ويذكر بنعم غير متناهية للمنعم الحقيقي عبر هذه الانقلابات، ويعلن عن مدى أهلية المنعم الحقيقي للحمد والثناء.

وأما الصباح الثاني فإنه يذكر بصباح الحشر، نعم كما أنه مجيء الصباح لهذا الليل ومجيء الربيع لهذا الشتاء معقول وضروري وحتمي، فإن مجئ صباح الحشر وربيع البرزخ هي بنفس القطعية والثبوت.

ويقول في الكلمات[٣٣٢] : لقد أحصيت ذات يوم عناقيد ساق نحيفة لعنب متسلق بغلظ أصبعين- تلك العناقيد التي هي معجزات الرحيم ذي الجمال، في بستان كرمه، فكانت مائة وخمسين عنقودا، وأحصيت حبات عنقود واحد منها فكانت مائة وعشرين

[٣٣٢] – الكلمات ٣٣٧/١.

فتأملت وقلت : لو كانت الساق الهزيلة خزانة ماء معسل وكانت تعطي باستمرار لما كانت تكفي أمام لفح الحرارة ما ترضعه لمئات الحبات المملوءة من شراب سكر الرحمة، والحال أنها قد لاتنال إلا رطوبة ضئيلة، فيلزم أن يكون القائم بهذا العمل قادرا عن كل شيء ( فسبحان من تحير في صنعه العقول).

إن الطبيعة عند الإمام النورسي مطبعة مثالية وليست طابعة هي نقش لا نقاش، قابلة للإنفعال لا فاعلة، مسطر لا مصدر، نظام لا نظام، قانون لاقدرة، شريعة إدارية لا حقيقة خارجية.

وإن رؤيتها غير ذلك جموح ومادية والفلسفة المادية طاعون معنوي حيث سبب في سريان حمى مدهشة في البشرية، وعرضها للغضب الإلهي وكلما توسعت قابلية التلقين والنقد توسع ذلك الطاعون أيضا، إن الإمام النورسي قد فتح الله عليه بأفكار جديدة ورؤى سديدة لايجدها الباحث عند سواه، ولم يسبقه إليها أحد ممن نحا منحاه فمن ذلك إبرازه لحكمة وإعجاز قرن الأرض بالسماوات في القرآن الكريم إذ يقول : في الكلمات [٣٣٣]إن الإنسان الذي هو ألطف ثمرة العالم، ومعجزة جامعة من معجزات القادر الحكيم وأبدع المخلوقات واعزها وألطفها، مع أنه أعجزها وأضعفها، هذا الإنسان يعيش على هذه الأرض، فالأرض إذا مهد لهذا الإنسان، مع صغرها وحقارتها قياسا إلى السماوات، عظيمة وجليلة من حيث المعنى والمغزى، والإبداع حتى أصبحت بالمنظور القرآني، وموضع تجلي الأسماء الحسنى كلها، حتى إنها البؤرة الجامعة لتلك الأنوار ومحشر الأفعال الربانية المطلقة ومرآتها، وسوق واسع لإبراز الخلاقية الإلهية المطلقة، ولا سيما إيجادها الكثرة الهائلة من النباتات والحيوانات الدقيقة بكل وجود وكرم، ونموذج مصغر لمصنوعات عالم الآخرة الواسع الفسيح ومصنع يعمل بسرعة قصوى لإنتاج منتوجات خالدة وموضع عرض لنماذج المناظر السرمدية المتبدلة بسرعة فائقة - ومزرعة ضيقة مؤقتة لاستنبات بذيرات

---

[٣٣٣] - الكلمات ٤٠٢/١، وانظر ١١١ من هذا المجلد.

تربى بسرعة للبساتين الخالدة الرائعةن لهذا كله يجعل القرآن الكريم الأرض صنوا للسماوات من حيث عظمها معنى وأهميتها صنعة، وكأنها شجرة صغيرة لشجرة ضخمة، وكأنها قلب صغير لجسد ضخم فيذكرها القرآن الكريم مقرونة بالسماوات فهي في كفة والسماوات كلها في كفة فيكرر الآية الكريمة (رب السماوات والأرض).

ومن ذلك رؤية أن الموت والإندثار الذي يصيب في الخريف مخلوقات الربيع والصيف الجميلة ليست فناء نهائيا، وإعداما ابديا، وإنما هو إعفاء من وظائفها وتسريح منها، وهو إفساح مجال وتخلية مكان لما سياتي في الربيع الجديد من مخلوقات جديدة، فهو تهيؤ وتهيئة لما سيحل من الموجودات المأمورة الجديدة. وهو تنبيه رباني لذوي المشاعر الذين أنستهم الفضيلة مهامهم، ومنعهم السكر عن الشكر.

والدنيا شجرة رائعة ترل ثمارها إلى سوق الآخرة.

لقد كان النورسي يرى تجدد الربيع وهو في غربته وتأمله أطباق كرم إلهي تأتي الإنسان بما فيه بقاؤه واستمراره.

يقول في الشعاعات : فما أن يحيل الربيع حتى ترى الرحمة تزين الأشجار والنباتات المثمرة وتلبسها ثيابا خضراء كأنها حور الجنة وتسلم إلى ايديها أنواع مختلفة من ثمار شتى وتقدمها إلينا قائلة : " هاكم كلوا وتفكهوا" وتراها تطعمنا عسلا مصفى شافيا لذيذا حشرة سامة، وتلبسنا حريرا ناعما تنسجه حشرة بلايد، وتدخر في حفنة من بذيرات وحبوب آلاف الأطنان من الغذاء وتحولها إلى كنوز احتياطية لنا.

أنظر إلى قافلة مهيبة تنطلق من الغيب مقبلة علينا، فهي قافلة تحمل صحون أرزاق الأحياء -قافلة النباتات في الربيع.

ثم أنظر إلى ذلك المصباح الوضيء المعلق في قبة المملكة فهي تنير الجميع وتنضج المأكولات بخيط دقيق والمعروضة أمامه بيد غيبة إشارة إلى أغصان الأشجار وثمارها.

ألا تلتفت معي إلى هذه الحيوانات النحيفة الضعيفة العاجزة كيف يسيل إلى افواهها غذاء لطيف خالص من مضخات متدلية فوق رؤوسها - الأثداء-وحسبها أن تلصق افواهها بها.

إنه بعد أن تحدث طويلا وتفصيلا بتؤدة وتأن عن الكون والطبيعة في رسائله وكلماته وشعاعاته وغيرها كان يقول :

لذا فإن جميع الآثار، والمخلوقات والمصنوعات في هذا الكون كله تدل بوجودها غير المحدود دلالة قاطعة على وجود أفعال خالقها وصانعها وفاعلها وعلى وجود أسمائه، وعلى وجود أوصافه، وعلى وجود شؤونه الذاتية، وعلى وجوب وجود ذاته المقدسة جل جلاله.

يتجلى عنوان من عناوين إسم من الأسماء الحسنى في كل عالم من عوالم الكون وفي كل طائفةى من طوائفه ويكون ذلك الإسم حاكما مهيمنا في تلك الدائرة، وبقية الأسماء تابعة له، بل مندرجة فيه.

وإذا عرف الإنسان ربه بدلائل التوحيد، وبديع الصنع فماهي الغاية من ذلك؟ إن الإمام النورسي يأخد بيد العارفين رويدا فكما أقام لهم الأدلة من المادة والكون على الله تعالى وأسمائه وصفاته يدلف إلى ضرورة الإنسجام مع تعاليم الخالق وأوامره ونواهيه.

يقول رحمه الله : الأمر في الشجرة المسماة بالكون، التي تمثل العناصر أغصانها، وما في نهايات تلك العناصر من أوراق وأزاهير تمثل النباتات والحيوانات وما في قمم تلك الأغصان وفي ذروة تلك الأزاهير والأوراق من ثمرات تمثل الإنسان، فإن أجل نتائج سعي تلك الثمرات البديعة ونتيجة خلقته هي العبودية لله وتقديم الشكر والحمد لله وحده، ولا سيما ما ينطلق من تلك النوى الجامعة لتلك الثمرات، تلك هي قلوب البشر وقواهم الحافظة المسماة بظهر الغيب، لايمكن بأي حال من الأحوال أن يدعها سبحانه لاغتصاب الاغيار فيهون من شأن عظمة ربوبيته وعزتها مخلا به معبوديته، تعالى الله عن ذلك علوا كبيرا.

ويخاطب الغفلين السادرين بقوله : ياهذا أرفع رأسك وانظر إلى غرائب الصنعة وبدائع الخلقة للفعال القدير الذي يريد أن يعرف نفسه لعباده، فكما أنك لست طليقا سائبا مفلت الزمام في هذا الوجود، فلن تكون هذه الحوادث سدى ولا عبثا بل كل منها تشتاق إلى وظائف حكيمة بخضوع واستسلام، وكل منها يستخدم من لدن رب حكيم٣٣٤.

إنه ينعي على الماديين الذين ركنوا إلى المادة وتوجهوا إليها بإجلال وعبادة فيقول : أيها الغافل الغارق في عبادة الأسباب، اعلم أن الأسباب ليست إلا ستائر أمام تصرف القدرة الإلهية لأن العزة والعظمة تقتضيان الحجاب، أما الفاعل الحقيقي فهو القدرة الصمدانية، لأن التوحيد والجلال يتطلبان هذا، ويقتضيان الإستقلال٣٣٥.

لقد اقام الدلائل من الموجودات على أن هذه الموجودات - غير الإنس والجن- خاضعة مسبحة لله تعالى لاتخرج عن أمره وإرادته، فلهذا يرى أن هذا العاقل خلاصة الكون يجب أن لا يكون أقل من باقي المخلوقات طاعة وخضوعا،وشكرا وعبادة لله، ولهذا خلق الجن والإنس ليجعلوا الأرض مسجدا، ومكانا للتهليل والتقديس في كل حركة من حركاتهم وتصرف من تصرفاتهم٣٣٦ .

يقول رحمه الله: يارب الأنبياء والصديقين : إن أولئك جميعا مسخرون وموظفون في ملكك أنت، وبأمرك وقدرتك أنت، وبإرادتك وتدبيرك أنت، وبعلمك وبحكمتك أنت، وقد أظهروا الكرة الأرضية بالتقديس والتسبيح والتكبير والتحميد والتهليل في حكم أعظم مكان لذلك، وأبرزوا الكون في حكم أكبر مسجد للعبادة.

ويعرض بالجاحدين الملحدين وأن الإنسان خلق لغاية سامية وحكمة عالية فيقول :٣٣٧فيا نفسي الغافلة إن كنت تريدين أن تفهمي شيئا من غاية حياتك فإن مجملها تسعة أمور :

---

[٣٣٤] - الشعاعات ١٤٦/٤.

[٣٣٥] - الكلمات ٣٢٦/١.

[٣٣٦] - الشعاعات ٦٦/٤.

[٣٣٧] - الكلمات ١٣٧/١.

أولها : القيام بالشكر الكلي ووزن النعم المدخرة في خزائن الرحمة الإلهية بموازين الحواس المغروزة في جسمك.

ثانيها : فتح الكنوز المخفية للأسماء الحسنى بمفاتيح الأجهزة المودعة في فطرتك، ومعرفة الله جل وعلا بتلك الأسماء الحسنى.

ثالثها : إعلان ما ركبت فيك الأسماء الحسنى من لطائف وتجليات وبدائع صنع وإظهارها أمام المخلوقات بعلم وشعور.

رابعا : إظهار عبوديتك أمام عظمة ربوبية خالقك بلسان الحال والمقال إلى أن يقول : تاسعها : إدراك درجات القدرة الإلهية والثروة الربانية المطلقتين بموازين العجز والضعف والفقر والحاجة المنطوية في نفسك.

ويطيل الحديث في ذلك رحمه الله، وأختم بنظراته للحياة الدنيا وعلاقة الإنسان بها وقد كررها في عديد من مكتوباته: واعلم أنها دار ضيافة وأنت منها ضيف مكرم، فكل واشرب بإذن صاحب الضيافة والكرم، وقدم له الشكر ولا تتحرك إلا وفق أوامره وحدوده، وارحل عنها دون أن التفت إلى ما وراءك، وإياك أن تتدخل بفضول بأمور لا تعود عليك ولا تفيدك بشيء فلا تغرق نفسك بشؤونها العابرة التي تفارقك.

وختاما مافقد كان الإمام النورسي رحمه الله متفاعلا مع الكون بكل أبعاده متأثرا شديد التأثر بمظاهره وأحيائه يرى المنظر فيترك في فكره ونفسه أعظم الأثر.

وكانت شدة التأثر للكون والطبيعة تريه يد القدرة الإلهية في كل شيء، وجمال الوجود يظهر له حكمة الخالق وجماله وجلاله في كل شيء، فجعل الكون والطبيعة شهب أدلة للملحدين وأنوار هداية للراغبين، فكان في هذا الباب مجددا فذا، وإماما متميزا رائدا يقود الظامئين لتحقيق العبودية بين يدي رب العالمين، وإن أدلة التحيد التي ساقها حرية بالدرس والبحث في مؤتمر التوحيد عالمي واسع لأنها لا تزال بنت عصرنا وحاجة دهرنا،

فرحمه الله رحمة واسعة في جنان الخلد مع النبيئين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقا.

**وكتبـــه**

**أ- الدكتور فاروق حمادة**

**في القنيطرة المغرب الأقصى**

**(١٥ مارس ١٩٩٩).**

## النورسي ومنطق السيرورة

## تحسس لمسألة الزمن.. كما تمثلها فكريا وروحيا..

أ.ب : عشراتي سليمان

أستاذ باحث بالمعهد العالي بالجزائر للحضارة الإسلامية

مما لا شك فيه أن مسألة الزمن أو الزمنية، قد طرحت منذ القديم على الإنسان بكونها إشكالا وجوديا ومعرفيا ظل العقل الإنساني يواجهه ويسعى لاستكناهه وإدراك ماهيته عبر الأطوار التاريخية المتلاحقة.. فالزمن ارتبط في كثير من الفرضيات الفكرية والفلسفية بقضية الخلق والوجود، فقد ظل الإنسان يتساءل عن مبتدإ هذا الكون، وعن القبلية والبعدية، وعن العدم والحركة، وعن أولية الخلق وهل لها أولية.. وظلت أفكار الإنسان مصدومة بهذه المفارقة العجيبة التي تتمثل في ظاهرة الزمن، تلك القوة اللامرئية، واللاملموسة، والفاعلة -مع ذلك- بلا هوادة في كل مظاهر الحياة والكون، والملابسة لأحوال الخفاء والعلن، والمحسوسة من خلال تعاقب هذه الآناءات التي تراوح على الكائن البشري وتحوله من طور إلى طور، وتتيح له إمكانية تحويل المجال من حواليه.. تلك القوة الخارقة التي تتحداه بصممها وبشمولية قبضتها، فهي تستوعب الكون في كليته، وتدور في وتيرة لا سبيل إلى تحويرها أو تكييفها، إذ هي الحاضرة الغائبة في إحساسنا، وهي رديف للموت والزوال، وللتجدد والنماء، على سواء..

لقد تواترت الإجتهادات التي سعى من خلالها المفكرون وأهل الحكمة إلى أن يفهموا حقيقة الزمن، وتنوعت الرؤية واختلفت باختلاف زاوية النظر التي سدد منها

المفكرون والمنظرون مقاربتهم، وتراجحت المصادرات-التي قاموا بها مفهوم الزمن- بين السلب الذي لايعطي للحدث الزمني كبير ثقل في هذه الكينونة الوجودية التي تحياها التي تحياها المخلوقات على ظهر البسيطة، وبين الإيجاب الذي يحتفي بالزمن ويعطيه ثقلا محوريا بحيث يرادفه بالفاعلية الأولى، الخالق سبحانه عز وجل..

ولقد جاء القرآن العظيم، فصدر آياته البينات برؤية ربوبيةليس شرط الزمنية فيها إلا مظهرا من مظاهر الكلية التي خلق الله بها عوالم هذا الكون وأدارها، واستن لها نظم سيرورتها.. فالزمن في القرآن جاء عاملا حيويا وتنظيميا، تتقوم به من منجزات الكائن البشري، وتسترسل-على رتابة جريانه- ظواهر الحياة والمعاش والعمران.. فهو مادة الحساب، وهو وسيلة التقييد ومعلمة المسيرة البشرية، وهو المنبه الوجودي الذي لايفتأ يذكرنا عبر تبدلات المواسم والأطوار، بمآل الإرتحال الذي هو مآلنا.. إن الزمن قد تقمص في الرؤية الإسلامية هيئة الواعظ الذي لاتخطئنا تنبيهاته في الحل والترحال، وهو ماأكده تواتر آيات النظر والإعتبار : (أفلم يسيروا في الأرض فينظروا كيف كانت عاقبة المكذبين..)

وجاءت السنة النبوية الشريفة فأعطت للزمن وظيفته التسخيرية، بكونه مظهرا ينطوي في دلالاته على رسوخ قدرة الله وعظمة ملكوته..

ضمن هذا المنظور الديني استوعب النورسي مفهوم الزمن.. لكنه ولما كان الاحساس بالزمن أمرا نسبيا، فقد رأينا النورسي يعيش على علاقة قلقة مع الزمن، إذ كان شعوره بإفلات مقادة العمر منه إنما كان وجها من وجوه قدرية الكائن البشري الذي لايسعه إلا أن يعيش المشيئة الإلهية بتسليم ورضى لايكفلهما له إلا الإيمان..

لقد كانت له صلة نسبية مع الزمن وأخرى اطلاقية، فقد كان نصابه المبهم من العمر يضغطه ويجعله يعيش حالا من التسارع والسباق، قبل أن يدركه الأجل ويرتحل من غير ما إحساس بإنهاء المهمة التي أناطها بنفسه.. كما أن نظرته إلى الزمن كانفساح مديد لاتحول دون ترامية إلا إرادة الله التي قدرت له منتهى مؤجلا، إن هذا الانفساح كان يراه مفعما

بالآمال والتباشير، كفيلا بتعديل اختلالات الأطوار التي أتت على أمة وهي رهينة بالحطة واللادور..

لقد كان العمر بالقياس إلى الداعية برهة لاتسع كل ما تحفل به أعماقه من أحلام ومطامح يتطلع إلى تحقيقها.. لذا رأيناه لايفتأ يشكو من ربوية الوقت ومن تسارع انسياب الزمن، ومن ضيق فسحة العمر حيال تنفيذ ما كان يعمر القلب من آمال وانجازات صالحة..

لقد كان نضال النورسي يقوم- في جانب كبير منه- على مطمح تثمير الزمن واستيفاء قيمته بحكمة، كي ستوعب ما يعتلج في النفس من برامج كان مصدر إستلهامها وتخطيطها القرآن العظيم.. لقد كان النورسى منخرطا في معركة داخلية تستولي على كامل اهتمامه وتستأثر بتركيزه، لأنه شاءها أن تناط بمصير الأمة في ضوء مقررات القرآن العظيم.. لقد ساقته الظروف لأن يقف موقف التبني لأوضاع أمته ومآلها، إذ كان في قلب الجبهة، وفي مواجهة الصراع.. فضلا عما كان له من إيمان روحي راسخ ومن حظوظ علمية تهيئه لأن ينهض بالدور الإحيائي الذي تفرضه عليه المرحلة، فكان لا مناص له من أن يتحمل المسؤولية وأن يؤدي واجبه في الإحياء وبعث المقومات.. من هنا تشبث بعامل الزمن يستثمره على أروع ما يكون الاستثمار، لقد كانت اللحظة بالقياس إليه سانحة لايمكن أن تمر عليه من دون أن يقبس فيها قدحة تبدد بعض ما يرين على الأمة من داجي الظلمات.. لقد كان وعيه بقيمة الزمن تتبدى في سياسته الاجتماعية التي اختارت العزلة الفاعلة، وفي مسلكه المعيشي الذي قام على التكفف الصارم، وفي طبيعة التعاليم التي كان يدعو إليها ، إذ هي تعاليم حصرت نظرها في القرآن ليقينها من نفاذ وجدوى تلك التعاليم، مقرانة بما راج ويروج من اجتهادات وضعية متهافتة.. لقد استطاع النورسى أن يضبط حياته في مختلف مستوياتها الروحية والاجتماعية والفكرية وفق نظام صارم قائم على الدقة والفاعلية.. لقد كان عنصرا بشريا فاعلا تجاوز نطاق فرديته بما انطوت عليه جوانحه من روح انشغلت بواقع الإنسانية قاطبة، إذ راح يراهن على المصير وعلى قلب أوضاع مدنية

وحضارية لأمة اختلت زمنيتها، فارتكست عن المضي في طريق الرقي وترشيد العالمين لما في صالح الإنسان.. وذلك ما حتم عليه أن يندمج في المراهنة بكامل الاستعداد، وبوعي راسخ بأن للحظة معادلا موضوعيا من الفعل والتقويم والانجاز لاسبيل لتفويته.. ولقد تجسدت لديه صرامة التقيد بذلك النهج القصدي الاقتصادي في ميادين الحياة حتى الحميمي منها، إذ أن اضراب النورسي عن التأهل والزواج مثلا، بل ودعوته الخلص من الأتباع إلى تجاوز ذلك المطلب الحيوي، لأسطع دليل على مدى الانهماك الذي كان ينفد به مشروعه الإحيائي الحضاري.. بل لقد كان التزامه الجدي بالفاعلية والنفاذ،أو بتسخير عامل الزمن على نحو صارم، يتبدى في علاقاته العامة المحدودة، بل حتى مع طلابه.. لقد كان جنوحه للوحدة جليا، إذ أنها كانت وحدة تفكير وإنجاز واجتهاد، وهو ما كان يجعله يحرص عليها، وينشدها، ويتجنب كل ما من شأنه أن يقطعها.. لقد بلغ به الحرص على صون تلك الوحدة أن راح يعلن لطلابه عن ضرورة تركه يتفرغ لما كان يعالجه من تفكير وتدبر ومعالجة روحية وفكرية لأوضاع أمة أضاعت طريقها وغفلت عما تتوفر عليه من أسباب الفلاح.. بل لقد رأيناه يستثقل حتى مهمة التدخل لإسداء النصح والتوجيه لأتباعه من التلاميذ، وما ذلك إلا لأنه كان يرى في ذلك التدخل لاسيما إذا أضحى متابعة دائمة- على أهميته-إشغالا له عن التفرغ للأهم والأنجع، وهوالعبادة البناءة..

ولقد وجدناه يذهب في الصدد الترشيدي بعيدا، بحيث ألفيناه يفتي الأمة بعدم تخصيص زمنيتها الحاضرة للإشتغال التصوفي، إذ أن الملة وراية المسلمين المنتكسة تحتم على كل ذي لطافة روحية أو عقلية أن يسخرها في سبيل تحقيق النهضة التي تصان بها البيضة، ويتقوى بها دين الله للرد على انتهاكات الأعداء الذين تداعو للإجهاز عليه بشتى الوسائل.. من هنا راح الإمام النورسي يكرر لمستفتييه قناعته وهي أن : ليس زماننا زمان طريقة.." المكتوبات. ٧٩.

لقد كان الإحساس بوجازة الزمن، وقصره، وسرعة تصرمه، من الهواجس التي سكنت النورسي وحكمت مزاجه..

والواقع أنه إحساس نابع من الرؤية القرآنية للحياة، إذ أن من الصور التي رسخها القرآن للدنيا في وجدان المسلم، وقتيتها وسرابيتها وسرعة ذوائها، فهي الغثاء، وهي الهشيم الذي تذروه الرياح.. الكهف/أية ٤٥.. من هنا كان الصالحون يقدرون أن تجربة عبورهم للحياة تعاجلهم بقصرها وتحد من طاقتهم ولاتمكنهم مما يريدون أن يستغرقهم فيها من تخل وتفرغ ومن تأدية فاعلة للعمل الصالح الذي يتقربون به إلى الله.. لذلك تراهم يلجأون إلى اتباع سبيل العزلة كحل اختياري يكفل لهم أن يمحضوا زمنيتهم على نحو أكثر خلوصا للعبادة والتقوى.. وكل ذلك سجلته سيرة النورسي.. بل لقد رأيناه يقر أنه اكتفى حتى في تعاليمه باعتماد الأصول دون إهدار الوقت في مراجعة الفروع، إذ قصر الحظ الأكبر من الجهد والتركيز على مدارسة الكتاب والسنة، وعلى استقراء روح القرآن العظيم وعلى هضم مصادر الأقطاب والمرجعيات الشهيرين.. وهي خطة منهجية يعتمدها كل عالم، مدرك لقيمة الزمن ولأهمية استثماره على النحو الفعال، وهو مااتبعه النورسي، إذ ان علاقته بالوقت لم تكن تسمح له بأن يتصفح كل المصادر التي تركها السلف والتي قد يكون فيها ما يغني الرؤية ويخصبها.. لقد كرر النورسي أن تعاليمه مستقاة من نبع القرآن، وأن ذلك كان نهجا إجلائيا على درجة من النورانية لايمارى، إذ أن الاستقاء المباشر من نبع القرآن قد كفل لتلك التعاليم الصفاء من جهة، وكفل له -هو- تثمير الوقت وتزكيته من جهة ثانية :

".. الوقت ضيق، ونحن ضعفاء فلا نجد متسعا من الوقت كي نستفيد من تلك الآراء النيرة".. الملاحق. ١٩٢.

لقد آمن النورسي بالتجديد فعالية تتعزز بها قوانين الله الشرعية والروحية، وتصان بها معالم الطريق التي على الإنسانية أن تسير عبرها في هذه الحياة.. وأدرك أن الرتابة التي يخلقها كرور الإيام والسنين مجلبة للغفلة، وباعث على النسيان والانقطاع، وأن الخالق -عز

وجل- قد هيأ لعقيدته السماوية العهدة التي تتولى تجديدها وتجلية جوهرها وشحذ حدها.. وهو الدور الذي أوكله الله للعلماء والصالحين الذين قرر أنهم في مرتبة الأنبياء.. وذلك ما يؤكده قول الله : إنا نزلنا الذكر وإنا له لحافظون"، ويثبته كذلك قول الرسول (ص) : أن الله يبعث على رأس كل مائة من يجدد للأمة دينها.. أو كما قال (ص)..

فالتجديد الإصلاحي الذي لايفتأ أهل الاستتارة يقومون به عبر العهود والمراحل، هو -كما يرى النورسى- تشبيب للزمن وعصرنة للقيم وتوسيع للرؤية الإنسانية، لتطابق الأبعاد التي تشملها تعاليم الله ومراميه التي لاتحد بأفق، إذ إصلاح حال الإنسان والتسامي بشأنه، وتهذيبه، هو مبتغاها.. الملاحق. ١٩٦.

ولايخفى ما للزمن من مقاصد تعليمية لاتنكر، فهو في جريانه الصامت، وفي انسيابه السامت، لايبرح يخط بقلم العبرة آيات بينات لاتغيب عن إدراك ذوي الألباب والأبصار.. وإذا كان الدهريون والملاحدة قد وقفوا من الزمن موقف المتبلد الذي لايعي من الوقائع إلا ما يتصل بالحاجة الغريزية، الإستهلاكية، فهم في ذلك أشبه ما يكونون بالحيوان، فإن الحس الفطري والهداية السماوية وتعاليم الأنبياء والرسل قد ألهمت الانسان أن يستقرئ في خطا الزمن حقيقة هذا الوجود، ومآله، ومقاصده.. فكرور الساعات والأيام لايعني ان الإنسانية تراوح في حلقة مفرغة، تستغرقها الإستنامة أو تناسي مصيرها العدمي الفظيع كما يعتقد الملاحيد.. بل إن عجلة الزمن تتحرك مسيرة، مشروطة بأجل وكتاب، تتقلب على إيقاعها صفحات تاريخ الكائنات في هذا الوجود المشرئب برأسه إلى الأبدية التي قضى الله بها مصيرا سرمديا يتوج هذه الأطوار التي سلختها الخليقة منذ البدء، والتي تعلمت خلالها -أو زاغت - في ضوء الهداية والرشاد أوالأهواء، ما شاء الله لها أن تتعلم..

فالفاعلية الزمنية شرط إيماني راسخ، لأنها الظاهرة الحسية التي تعكس على نحو معبر، القدرة الإلهية الخارقة التي لاتعترضها عوارض ولاتعيقها عن تنفيذ إرادتها عوائق..

فالثابت أن هناك يدا خفية تعمل من وراء الظواهر جميعا، فما لا قوة له أصلا، بلى ولا يقوى حتى على حمل نفسه، يرفع آلاف الأرطال من الحمل الثقيل.. وما لا إدراك له ولا شعور يقوم بأعمال في غاية الحكمة.. إنها أشياء إذن لاتعمل مستقلة بنفسها، بل لابد أن مولى عليما وصانعا قديرا يديرها من وراء الحجاب، إذ لو كانت مستقلة بذاتها، وكان أمرها بيدها، للزم أن يكون كل شيء هنا صاحب معجزة خارقة، وما هذه إلا سفسطة لامعنى لها.." الكلمات ٣١٢.

من هنا كان المؤمن يقرأ في إيقاع الزمنية آيات من العبرة واليقين والإيمان راسخة، إذ أنه -وحيثما التفت- يجد حياله شواهد من الموعظة لاترد.. فأطوار السابقين وأوضاع من سلفوا هي مجال للاتعاظ والإعتبار، وكذلك وقائع الراهن وما يتقلب فيه الفرد من أحوال ومن متغيرات يومية ومرحلية، هي مادة للتفكير واستخلاص العبر.. ومن شأن ذلك كله أن يدفع بالكائن العاقل إلى التأمل في المصير الإنساني، فضلا عن مصيره هو، ضمن روح الإيمان والوعي بأن عتبة القبر ليست إلا الباب الذي ينفذ من خلاله الإنسان-بما حاز من عمل صاحل أو طالح- إلى رحاب الأبدية التي لاتحد.. من هنا يختلف العبد المؤمن عن الجاحد، وتتباين نظرة كل منهما في فهم واستيعاب معاني الزمن والأجل والميقات.. فإذا كان المؤمن يعيش بوعي الإستمرار والتواصل، والوثوق من البعدية، فإن الملحد يعيش راهنة ليس إلا، إذ أن هناك رجاحة غريزية تغلب في روحه جانب الحيوانية على جانب البشرية، فيحيى متهتكا، لايهمه من الحياة إلا ما يصيب من ملاذ تشبع نهمه الخسيس.. من هنا كان الفرد المؤمن -كما يرى الإمام النورسي- إنسانا زمنيا، أي أنه على صلة بجذوره الماضية، بوصفه جلبة حية، دائمة، تدين بوجودها إلى إله خالق، مقيدة بروابط المعبودية له، وموعودة بحياة سرمدها منوط بما يقدم الفرد من صالح الأعمال.. على عكس الفرد الجاحد الذي هو مخلوق لازمني، ترتهنه الساعة التي هو فيها، ويعيش منبتا مع الماضي، مبتور الصلة بالوجود في سيولته المنسابة بقدر.. ذلك لأنه" لاماضي ولا مستقبل للضال".

كما يقول النورسي الشعاعات ٢٤٨. وربما اشتط الكافر في كفره، فأسند إلى الزمن دورا ربوبيا، فيضحى دهريا يردد ما حكاه الله عن فصيلته من الجاحدين :( وما يهلكنا إلا الدهر..")):

فدورة الزمن الصغرى (اليوم) والكبرى (السنة) لاتفتأ تهمس للإنسان وتصيح-من خلال تبدلاتها وتغيراتها- بحقيقة هذا الوجود.. فليس هناك في كل ما يحدث تحت أبصارنا من وقائع هذا التبدل الذي يحكم الحياة وينتظمها، مؤشر واحد يثبت العدمية.. بل إن العدمية-كما يرى النورسي- عديمة في ملكوت الله، فما نراه من ابتهاج المناظر الخضرة، ومن ازدهار الفصول النضرة، المتعاقبة، ومن انفعام الآفاق الفساح بالغضاضة والعذوبة، لايشمله العدم والفناء بحال من الأحوال.. إذ حتى حين يداهمها موسم الجفاف واليبس فإنها وإن تحللت حقا وترمدت، وذرتها الرياح في الأفضية، إلا أنها لاتبيد، إذ أنها ببلوغها أوج انسحاقها، تشرع في تحقيق دورة النشور من جديد..

"إن الأصل في الشيء البقاء، حتى أن الأمور السيالة السريعة الزوال كالكلمات والتصورات لها أيضا مواضع أخر يتحصنون فيها من الزوال، لكن يتطورون في الصور، حتى كأن الأشياء موظفون لحفظ الشيء إما بتمامه كالنوراني، أو وجه من الشيء يسارعون بكمال الاهتمام لأخذه ووضعه في قلوبهم الشفافة. والحكمة الجديدة تفطنت لهذا السر، لكن بلا وضوح، فلهذا أخطأت بالإفراط، فقالت لا عدم مطلقا، بل تركب وانحلال. كلا، بل تركيب بصنعه تعالى وتحليل بإذنه، وإيجاد وإعدام بأمره، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد."المثنوي. ٢٣٢.

فمع الإيمان تتكشف الحقيقة الإلهية التي تحكم هذا الوجود وتجعله دائم التجدد.. وذلك وما طفق يعرب عنه النورسي من خلال تلك الوقفات التي ظل يناجي بها قلبه ويبين له حقيقة التجدد التي تشرط ظواهر هذا الوجود : اعلم ياقلبي أن ما يرى ملء الدنيا من آلام

الإعدام إنما هي تجدد الأمثال، ففي الفراق مع وجود الإيمان، توجد لذة التجدد دون ألم الزوال.." المثنوي٢١٢.

بل إن النورسي قد ساق رؤيته الوجودية في صورة قانون يثبت بقاء الكائنات وينفي العدمية، عندما قرر أن : كل شيء فإن بمعناه الاسمي، وباق بمعناه الحرفي.. المكتوبات٧٥.

فليس هناك شيء مما خلقه الله يفني، ولكن كل شيء يعاود الحياة وفق قانون التوارث والبقاء والخلد الذي قضى به الله مآلا للخليقة.. وفي ذلك أسطع البراهين على حتمية وقوع الحشر والنشور كما قرره الله عز وجل في كتابه الكريم..

"هناك حفيظية حافظة مهيبة بادية للعيان، تحكم على كل شيء حي، وتهيمن على كل حادث، تحفظ صوره الكثيرة، وتسجل عمل وظيفته الفطرية" الشعاعات ٢٦٩.

فدورة الزمن الدائبة لاتعني إلا أن هناك مالكا لهذا الكون، حيا، دائما، باقيا، لاتأخذه سنة ولايتملكه نوم، خلق العباد ليكون لهم السرمد موعدا وميقاتا، بعد أن يعبروا جسر الحياة والإمتحان، إلى الدار الآخرة، دار البقاء،.. ذلك لأن عقارب الساعة تشبه حركة الأيام وتدل في ذات الوقت على حركة الزمن. من هنا كان حتما لـ"الإنسان بوصفه خاتمة شجرة الكون، وأجمع ما فيها من الصفات .. أن يكون له حشر ونشور" الشعاعات. ٢٧٣.

بل إن حياة الإنسان خاضعة لديمومة من التجدد، فهي تعيش نوعا من الحشر قبل الإبان. والإنسان في تجدده المتواصل هو بمثابة الكون الذي تتراوحه المواسم بلى وتجديدا. بل إنه في سيرورته المتجددة جماع لحيوات عاشها تباعا، عبر مراحل العمر المتصرمة، فطفولته، قد انقضت مع حلول كهولته، ولكنها في حقيقتها باقية في كينونته، ماضية معه، لا سبيل إلى الفكاك منها أبدا، وهو ما يثبت البقاء الذي قدره الله لعباده..

".. إن فرد الإنسان له ماض ومستقبل. إذ يجتمع في الشخص -معنويا-كل من مات منه من أفراد نفسه، إذ في كل سنة يموت منه فردان صورة، ويورثان فيه معنييهما من الآلام

والآثام والآمال وغيرهما، فكأنه فرد كلي.. وإحاطة فكره وعقله وسعة قلبه وغيرها تعطيه نوع كلية.. وكون فرده كنوعه في الخلافة والمركزية لعالم خاص كالعالم العام.. والعلاقة الشعورية مع أجزاء العالم وتصرفه في كثير من أنواع النباتي والحيواني والمعدني تحويلا وتغييرا خلافا لسائر الحيوانات وغيرها، أيضا تعطي له نوع كلية، كأن كل فرد نوع منحصر في الشخص.. ودعاء المؤمن لعموم أهل السموات والأرض يشير إلى أن الشخص يصير بالإيمان كعالم أو مركزه. فما تجري في نوع الحيوان من القيامات المكررة النوعية المشهودة في كل سنة، فإن شئت فانظر إلى آثار رحمة الله في كل سنة في الثمرات المتجددة الأمثال كأنها أعيانها، وإلى حشر أنواع الهوام والحشرات بكمال سهولة من القيامة-تجري بالحدس القطعي في كل فرد من أفراد الإنسان- فيدل كتاب العالم في هذه الآيات التكوينية على قيام القيامة الكبرى لأبناء البشر، كما يدل القرآن عليه بالآيات التنزيلية.. المثنوي ٢٤٦.

فالإيمان بالزمن البعدي أو باليوم الآخر-كما يرى النورسي- هو من أركان الإيمان بالله.. وكذلك الإيمان بالقدر،خيره وشره.. إذ بذلك الإيمان يقر الإنسان بأن ما يقدره الإنسان ويسعى إليه وينفذه.. هي جميعا حيثيات مشروطة بإرادة الله، فهي-من ثمة- رهن بالغيب، أي بالزمن القابل المجهود الذي لا إرادة لمخلوق عليه، لأنه من شأن الله وحده.. فلا غرابة بعد هذا اذا ما وجدنا أن ثلث القرآن جاء يدور الحشر والآخرة. الملاحق ٦٣٨. وذلك ما يؤكد حقيقة النشور التي لايفتأ النظر الإنساني المحصف يعاينها يوميا في ما تعج بها الطبيعة والأشياء حوله من حياة وتجدد..

هكذا فهم النورسي قيمة الزمن.. وهو فهم إيماني بلا مواربة.. فالزمن عنده فاعلية ربانية تؤطر الكون لتقرر في خلد الإنسان العاقل بداهة البدء والإنتهاء الذي لا يعني الفناء ولكن التحول من دار فتنة وعبور إلى دار نعمة وحبور أزلي.. إذ لا إطلاقية نشوئية وحشية انبثق عنها هذا الكون واستوى بها صدفة كما يزعم الزنادیق، ويقر على وتيرة من الرتابة،

وينخرط في سلك لولبي من التطور، تتمادى به نزوة التلقائية أو يطفر به منطق العضوية، فتحوله من شوه إلى شوه كما زعمت الداروينية والنشوئية وغيرهما من فلسفات الماديين..

بل لقد ضبط النورسي تجربة وجوده ذاتها على ايقاع زمني تنظيمي دقيق، بحيث رأيناه يتبع ما يمكن أن يسمى بفلسفة الإكتفاء.. تلك الفلسفة التي شملت مناحي حياته الفكرية والعملية على حد سواء، انطلاقا من استيعابه الخاص للزمن.. وكان من نتائجها بروز تلك الصورة المرتبة التي أخذتها حياته، سواء في جانبها الإجتماعي- بعدم الزواج وبالعيش المنقطع عن الناس- أو في جانب الإقتصادي، بحيث ألزم نفسه بقناعة كفافية أغنته عن التطلع إلى غير باب الله، ودرت عليه من الأفضال والكرامات ما عرفناه عنه.. أو في جوانبها الثقافية، بحيث حدد الوجهة التي سلكها في تحصيل معارفه واستمداد بيناته الروحية والعقلية، وحددها بالقرآن العظيم وصادر في ضوء تعاليمه الإلهية ما شاع وذاع من فكر وفلسفة وضعيين.. بل لقد سعى النورسي إلى أن يجسد واقعة النشور من خلال تكييف جذري لحياته وتحويل مجراها في الإتجاه الروحي المحض، وهو ما جعله يقبر هوية سعيد القديم، تلك الهوية التالية التي تلابست فيها منازع الروح والنفس فشوشت على المسيرة وأربكت الخطا، الأمر الذي حتم بعث هوية سعيد آخر، تلك الهوية الجديدة التي أناطت وجودها بالزمن البعدي، فأضحت الحياة وتفاعلاتها مجرد أصداء تتناهى إليه من خلال انهماك روحي والتفات قلبي صوب الله..

لقد جسدت تلك التجربة ميلادا في الزمن تستسيغها حكمة التوبة أو الإنابة التي تتشبب بها نفوس المؤمنين عندما تطرق باب الرحمان متخففة من أحمالها وعنائها.. لقد جاهد النورسي بإخلاص متجدد وباسل، كي يحقق الانفكاك عن زمنية الواقع الأرضي، التحاما مع مدار الجاذبية العليا، لا لانه غاص في وحل الإنغماس الدنيوي المقيت، ولكن تداركا منه لاجتهاد رؤيوي قدر أنه سيخدم من خلاله الإسلام،فجد في الطريق صادقا، لكنه سرعان ما تبين الحقيقة الصادمة، فانتفض مروعا، ووثب موليا من حيث انطلق.. من هنا

كان ذلك الانبتات الفعلي مع المجتمع، اللهم إلا على صعيد الروح، حيث كان النورسي يحرص على تصدير تعاليمه، باعتبارها كشوفات في حقل الروح، تفيد الأمة في رأب صدعها الروحي والحضاري البالغ..

ولقد دلت التفاصيل البسيطة في سجل حياته عل عمق القطيعة التي اختار أن يحصن بها قلعته وهو يشتبك وجها لوجه في معركة المصير التي خاضها ضد النفس وضد قوى البغي والردة في المجتمع العثماني..

لقد قضى عقودا لايقرأ الجريدة إذ أضرب عليها بعد أن تبين حقيقة حال السياسة والسياسيين، وعاش لايشارك الناس طعامهم، ولايقبل منحة، ولايرتبط بأهل، ولايسلبه أمل دنيوي يبعده عن أوامر الله ونواهيه، ولبث متيقظا، ناقما على أبسط المشاعر التي تخامر النفس وتزين لها شهوات الدنيا، لاتمتد يده من سماط هذه الحياة -رغم الإغراءات والضغوط- إلا إلى ما كانت فيه حاجة تقيم أود الجسد.. حاجة كانت -حقا- على حد من التقتير الارتياضي الذي أعطى كل تلك النتائج الروحية والكراماتية المرموقة.

لقد كانت حياة سعيد الجديد تجسد -فعلا- تجربة التجدد الإرادي الذي يباشره الإنسان إذا ما أخلص نية الانخراط في سبيل الله، تصفية للذات والسمو بها إلى درجة الشفوف، ارتكازا على برنامج من اليقظة والتشدد في محاسبة النفس وحملها على الإلتزام بأمر الله.. إن واقع التحول الذي عرفه سعيد النورسي يعد عنوانا للبعث والنشور المعنوي.. الشعاعات.٥٤٢. كما أنه دلالة إلى قابلية الانبعاث الروحي والحضاري التي تتأتى للأمة، إن أخذت بطريق الله والتزمت بتعاليمه في صناعة واقعها وبناء مصيرها..

لقد كانت موقف الانقطاع عن الحياة العامة النهج العملي والروحي المفضي إلى تزكية الذات، وتثمير زمنيتها على وجه نافع ومفيد وذي مردودية.. لقد كان انقطاعه عن أخبار العالم وعزوفه عن قراءة الجريدة، سياسة سلوكية سد بها الباب بينه وبين زمنية الابتذال والإرتذال..

لقد كان للنورسي في مشاهداته، وفي وقائع الحياة اليومية التي يحياها وسط أناس تعركهم الأيام بكرورها الدائب، وتدركهم الشيخوخة والعجز، عبرة وموعظة، إذ أن دورة الحياة كانت تبين له مدى جهالة أولئك الذين يركبون موج الخطيئة ويستنيمون للفاحشة والعصيان، ويسترسلون مع الإثم، مغترين بعهود الشباب والتخفف من الأسقام، ثم لا يلبثون أن تطوى صفحتهم ويضحوا مسخا ومعايب فاضحة.".. فلو أمكن إظهار حوادث ما بعد خمسين سنة من المستقبل مثلما يمكن ذلك لحوادث الخمسين سنة الفانية-بجهاز كجهاز السينما- وعرضت حوادث اهل الضلالة وأحوالهم في المستقبل، إذن لتقززوا ولتألموا ولبكو بكاء مرا على ما يفرحون منه الآن ويتلذذون به من المحرمات في الوقت الحاضر. الشعاعات ٢٤٧.

.. وفي هذا السياق نجد النورسي يحاور اهل الضلالة ممن يعتقدون أن الماضي واقع معدوم ومندرس ولاشأن له بالحياة وبالواقع.. وإنما الشأن كل الشأن -عندهم- هو الحاضر، وما تغتصب فيه النفس من لذائد فانية.. ويجيبهم قائلا :

"إن ذلك الماضي السحيق ليس بمعدوم وليس بمقبرة تبلي كل شيء وتفنيه، بل هو عالم نوراني موجود فعلا، الذي ينقلب إلى المستقبل، وهو ساحة انتظار الأرواح الباقية المترقبة للبعث، دخولا إلى فردوس السعادة الأبدية المعدة لهم، لذا يذيقك وأنت لازلت في الدنيا- لذة الجنة المعنوية حسب درجة إيمانك، كما أن المستقبل ليس مؤلما ولامقلقا، وليس محلا للوحشة ولا واديا مظلما مخيفا، بل هو بنور الإيمان، منازل سعادة أبدية للرحمن الرحيم.. الشعاعات ٢٤٩.

فبعقل الإنسان وبما يتماس فيه ذلك العقل مع عالم الغيب من خلال الدلائل والآثار التي تحسها النفس ويدرك كنهها الضمير الحي، فارق الإنسان الحيوان واكتسب خاصياته الوجدانية، وأضحى يعرب عن عواطف الألم والحنين، إذ أن عقل الإنسان مرتبط بمعرفة

منزلة، لايفتأ يغيبه عنها الضلال، لكن اثابته إلى الرشد لاتلبث من جهتها ان تدنيه من تلك المعرفية الربانية، إذ بالرشد الروحي يحقق الإنسان سكينته..

"أيها الإنسان، لقد خرج شيء من ماضيك ومستقبلك من الغيب، بحكم ما تحمله من عقل، فأنت محروم كليا مما تتنعم به الحيوانات من راحة واطمئنان بانسدال ستار الغيب أمامها، فالحسرات والآهات الناشئة مما مضى، وأنواع الفراق الأليم والمخاوف الناجمة من حيث اللذة، فما دامت الحقيقة هكذا فما عليك إذا إلا أن تتبرأ من عقلك وترميه خارجا، وتعد نفسك حيوانا فتنجو، أو تنور عقلك بنور الإيمان وتنصت إلى الصوت العذب للقرآن الكريم، فتكون أرقى من الحيوان وأرفع، مغتنما لذائذ نقية، صافية، طاهرة، وأنت مازلت في هذه الدنيا الفانية.. الشعاعات ٢٥٠.

فالإنسان يعيش على وعي عضوي بزمنه، فإدراك الزمن هو الذاكرة، وهو المخيلة .. فإذا ما عدم الإنسان زمنيته، وبات من غير ماض ولا مستقبل، أضحى ناقص السجايا.." إن مقام الإنسان الراقي وتفوقه على سائر الأحياء وامتيازه عليها إنما هو لسجاياه السامية، ولاستعداداته الفطرية الجامعة، ولعبوديته الكلية، ولسعة دوائر وجوده، لذا فالإنسان المنحصر في الحاضر فقط المنسلخ من الماضي، المبتوت الصلة بالمستقبل-وهما معدومان ميتان مظلمان بالنسبة إليه- هذا الإنسان يكسب سجايا المروءة والمحبة والأخوة الإنسانية على أساس حاضره الضيق، وتتحدد عنده تلك السجايا على وفق مقاييسه وموازينه المحدودة، فيولي المحبة لأبيه أو أخيه أو.. ويقوم بخدمتهم على وفق تلك المقاييس الضيقة في الوفاء، وليس على وفق مكانة الإخلاص في الصداقة، أو درجة الود المصفى من الشوائب في المحبة، أو مستوى الإحترام المبرأ من الغرض في الخدمة، لأن سعة تلك السجايا والكمالات قد تضاءلت وصغرت بالنسبة نفسها، وحينها يتردى الإنسان إلى درك الحيوانات عقلا.. الشعاعات ٢٧٩.

لكن الإيمان بالآخرة يضفي مساحة الوجود حيال الإنسان، ويبني روحيته على أسس ثابتة لاتقيس الأمور بمقياس الظرفية والإنقطاع.." ما أن يأتي الإيمان بالآخرة إلى هذا الإنسان لينقذه ويمده ويغيثه حتى يحول ذلك الزمن الضيق-الشبيه بالقبر- إلى زمان فسيح واسع جدا، بحيث يستوعب الماضي والمستقبل معا، فيريه وجودا واسعا بسعة الدنيا، بل بسعة تمتد من الأزل إلى الأبد، وعندئذ يقوم هذا الإنسان باحترام والده وتوقيره بمقتضى الأبوة الممتدة إلى دار السعادة وعالم الأرواح، ويساعده أخاه ويعاونه بذلك التفكير بالأخوة الممتدة إلى الأبد.. فتبدأ – من ثمة كمالاته وخصاله بالسمو والرقي بالنسبة نفسها، وتتعالى إنسانيته ولك حسب درجته.. الشعاعات ٢٧٩.

فالإيمان بالآخرة يوسع من رحابة الوجود ويركز عقيدة الدوام والأبدية، ويجعل من مطمح الخلود حقيقة منطقية، تنسجم مع روح القرن الذي جعل من الحياة الدنيا معبرا لحياة ابدية.. الشعاعات ٢٨٣.

الزمن الدنيوي ارهاص للزمن الأخروي، السرمدي..

ففيما تركز معتقد الماديين على الزمن الدنيوي، وقطعوا مشاعرهم بما وراء ذلك، رأى النورسي أن الزمن الدنيوي هو جزء من الزمن السرمدي وموصول به..

لقد ألحم النورسي مفهوم الزمان الأرضي بالزمن الأبدي، وجعل الموت عتبة عبور تنتقل منها الروح من وضع الظرفية والمرحلية إلى وضع الأبدية.. ومن خلال تلك النظرة قوم سائر القضايا الوجودية والحوادث الحياتية.. فخلت نظرته إلى الزمن من أي إحساس بالقسرية أو بالاضطرارية، وأسندت كل واقعة وكل رجاء الى اللوح المحفوظ، مخالفا بذلك احترازات المناطقة والفلاسفة الذين يلحون على السببية.. لقد دأب أولئك المناطقة والفلاسفة- كلما أخطأتهم في سبرياتهم لمستويات من الظواهر والقضايا- ينفخون ويتعزون بكون علمهم لم يرق بعد إلى الأفق الذي يمكنهم من التحكم في كل القوانين، والإجابة عن كل الأسئلة..

كرامة طي الزمن وبسطه.

هذا ويتحدث النورسي من ناحية اخرى عن ظاهرة غيبية شغلت افكار الناس زمنا، وربما لاتزال، لما تتسم به من طابع خارق، ونقصد بها فكرة طي الزمن وبسطه التي تنسب لبعض الأولياء.. لقد أقر النورسي تلك الكرامة قائلا : لاينبغي أن يستغرب فيستنكر، إذ فيما تراه له نظائر تقربه إلى الفهم. ألا ترى انك في الرؤيا كأن مر عليك سنة في ليلة بل في ساعة.. ففي انكشاف هذه الحالة لأهل الكشف في اليقظة ينبسط الزمان ويطول العمر ويتقرب إلى دائرة الروح التي لايقيدها الزمان..

إن هذا الفهم ليؤكد أن النورسي- إلى جانب إيمانه الراسخ بالكرامة، كان يتمثل للزمن رؤية تقوم على ماعرف بنظرية النسبية، إذ أن حقيقة الزمن تستوعب وفق منطق رياضي، يأخذ بعين الاعتبار مقدار حساب التسارع الزمني ضمن شرط المكان الذي يظرف الحدث الزماني.. بما في ذلك الفضاء الأرضي ونظام المجرات، وهو ما يبينه النورسي من خلال التوضيح التالي" .. افرض أن احدا ركب ميل الساعات وواحدا امتطى ظهر ميل العاشرات، فانظر كم بين ما رأيا وقطعا.. فقد انطوى لهذا ما انبسط لذلك بدرجة تكون ثانية ذا، سنة هذا، ولأن الحركة كجسم الزمان أو الزمان كلونها، فما يجري فيها يجري فيه أيضا، فلم لايجوز للوالي الغالب روحه على جسمانيته أن يصدر أفاعيله على مقياس سرعة الروح والخيال" المثنوي. إن ما يهمنا هنا هو هذا الاستيعاب النير والعصري الذي أظهره النورسي في تمثله لظاهرة تجريدية من أعقد الظواهر الكونية والروحية في وجودنا وهي ظاهرة الزمان.. تمثل لم يكن يكتفي بصوغه نظريا من خلال الشواهد والأمثلة الدالة على تفهمه للظاهرة على نحو ما أقرته إزاءها أحدث النظريات العلمية، بل لقد كان يسعى بحكمة المصلح، إلى إدماج ذلك الفهم المتقدم للزمن في عملية إرسائه للفكر والمعرفة الإسلاميين، من خلال إقامة ذلك التزاوج بين الروح الدينية كما قررها القرآن وبين الاستقراء الفكري الذي كانت العقلية الإنسانية قد أثلته لفكرة الزمن والمقايسة، خاصة وأن

النورسي قد لمس في ذلك التأثيل شيئا وجيها يسهم في ترجمة الأسرار الإعجازية التي انطوت عليها فاعلية الزمن، بوصفها شرطا كونيا ارست عليه القدرة الإلهية نظم الكون وإيقاعات حركته المجسدة لعظمة الخالق..

**المحتـو يــات**

**محورها : "التجديد في الفكر الحضاري والاجتماعي"**



**الجلسة الختامية**

